ذخيرة المعاد
بشرح راتب القطب الحداد

تأليف الشيخ الإمام العارف بالله
عبد الله بن أحمد باسودان
الكندي الدوعني
الحضرمي
رحمه الله

م

مطبعة لجنة البيان العربي

الطبعـــة الأولى
١٣٧٨هـ — ١٩٥٩م
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (وبعد) فإن الذكر المشهور بالراتب للإمام مجدِّد القرن الحادي عشر المجمع على جلالته وفضله الحبيب عبدالله بن علوي بن محمد الحداد العلوي الحسيني الحضرمي يقرأ في كثير من البلدان الإسلامية وعليه شروح ممتعة لأجلاء أعلام ، يعرف منها شرح السيد العلامة المؤرخ الشلي صاحب كتاب المشرع الروي ، وشرح العلامة الفقيه أحمد بن الحسن الحداد ، وشرح العلامة المحقق علوي بن أحمد الحداد ، وشرح لبعض فضلاء الأحساء لا يحضرني اسمه ، وشرح الشيخ العلامة الفقيه الصوفي عبد الله بن أحمد باسودان الدوعني الحضرمي وهو هذا الذي نزفُّهُ لقراء الراتب هدية ثمينة ينتفعون بها فيتم لهم به مع قراءة الراتب فهم معانيه أثاب الله الساعي والناشر ومنّ عليهم برضاه . وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال الشارح رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألهم خاصته وأولياءه حقيقة الذكر والتذكار والذكرى ، وجعل لهم فيه وبه ومنه وجدان التأثر والتأثير وأورثهم الهجران لما سوى المذكور مما أظلته الطباق العُلى وأقلته البسيطة الغبرا ، فأعاضهم عن ذلك قُرَّة العين بالزلفى لديه والبُشرى ، وحلول رضوانه عليهم في الدنيا وفي الأخرى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أزلا وأبدا مستمرا

شهادةَ أعِدها للقائه ذُخْرا، ولنعمائه شكراً، ومن بلائه حِصْنا وظَهْرا. وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله الذي رَفع له في الملأ الأعلى ذكرا، وشرح له بنيل الوسيلة والفضيلة قلبا وصدراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله اللاحقين به شرفا وطُهْراً، وعلى أصحابه معالم الدين وأوليائه حفظا ونصراً (أما بعد) فإن الله تعالى وله الحمد قد أظهر في العالمين من أوليائه آية كبرى، وآنسهم بذكره في كل الأحوال سراً وجهراً، وفتح لهم باب التعرّف إليه بملازمة الأذكار والأوراد تفضلا منه وبرّا، ليُوصّلهم إلى ذوق سرّها حدّا ومطلعاً وبطنا وظهراً، وليُفيض عليهم من أنوار وارداتها ما لا يحاط به وصفاً ولا حصراً.

هذا وقد طالما تعلقتْ الهمة بخدمة شيء من مؤلفات سيدنا القطب الجامع الحجة المكين خاتمة المجدّدين الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد. نفع الله بعلومه وأسراره الحاضر والباد، غير أني تأملت ما كان منها موضوعاً لتحقيق السلوك جامعا للطرائق الشرعية والرقائق الصوفية وأنواع العلوم الدينية الحقّية التي هي فقهُ القلوب ومستضاءُ أنوار الغيوب وغير ذلك. مما يدعو إلى تطهير النفوس وتحليتها بحميد الأخلاق وذواكي العمل، وحفظ الأفعال عما يفسدها من الشوائب والعلل، وما يدخل عليها من النقص والخلل. فرأيت ما هو بهذه المثابة وما جمعتْه من الحسن في تلك الرياض المستطابة. لا يحتاج إلى شرح وبيان بل من أراد أن يمزجها بغيرها مما ليس من جواهر السنة والقرآن فكأنما ينظم البهرجان[1] مع الياقوت والعِقْيان ويُغَيّر بذلك في الوجوه الحسان.

---

(١) في اللغة: البهرج: الباطل والرديء. أما البهرجان فلم أطلع عليه. والعقيان: الذهب.

وأما ما كان من كلامه رضى الله عنه متضمنا لبعض الحقائق التى هى من كلمات الله التى تنفد البحار لو كانت مداداً لها دون نفادها ، وتعجز العقول والألباب عن فهم مرادها ، والوصول إلى شىء من مفادها ، اللهم إلا بعض ذوى العنايات من أهلها السالكين بالرياضات لسبلها وذلك كمواضع فى الديوان وبعض حقائق فى المكاتبات وما يلتحق بها من الرموز والإشارات فقد رأيت فى شأنه إلجامَ القلم واللسان لمثلى أولى ، والاحجامَ عن الإقدام عليه مع تقصيرى بى أليقَ وأحرى .

فلما كان أواخر شهر شوال من سنة خمس واربعين بعد المائتين والألف — وقد اشتدت الأزمة بالعباد ، وتقطعت بهم أسباب المعاش والمعاد ، وظهر فى الأرض الفساد ، وذلك بما كسبت أيدى الناس من شمول العصيان ، واستيلاء الغفلة على الأفئدة والأركان ، وعموم الجهل وتقليد الأمر غير أهله ، وغلبة نسيان الرءوس لتسلط الهوى على النفوس ، وإيثار العاجلة على العقبى ، وإنفاق الأموال على غير الفقراء والمساكين وذوى القربى ، وغير ذلك مما تراكم به الصدأ والران على القلوب . من أنواع الآثام والذنوب ، ومع ذلك لم يشعروا بما منه أُتُوا ليتوبوا ويستعتبوا ولا بالوا بما به مُقِتُوا فلم يرجعوا ولم يتوبوا ، وطال عليهم الحال ، وشق على ذوى العيال ، معاناه الفاقات والأثقال ، ولحقهم العي والإعياء والكلال وبهذه الآصار تسلط الأشرار على الأخيار وقل الناصر للدين . بدفع المفاسد والمضار وخَمَلَ الحق وأهله واختاروا الاختفاء والاستتار إلى غير ذلك مما لا يحصره التعداد ولا تقوم له القوى البشرية من الأنكال والأنكاد — فعند ذلك — سنح للبال أن أصرف الهمة إلى شرح الراتب الذى وضعه هذا القطب الامام . لنفع الخواص والعوام ، وانتشر العمل به فى كل ناحية

وإقليم . وحصل به للناس النفع العظيم . لا سيما وقد كان أصل وضعه وووروده لكشف الشدائد والمهمات ودفع البلايا والملمات والحفظ من الأشرار والشر وتحصين الدين والأبدان والعقائد وغير ذلك مما سيأتي فيه التفصيل بالدليل والتعليل فابتدأت في ذلك سائلا من الله تعالى الإعانة والقبول ،وتحصيل المراد وبلوغ المأمول ،وقصدي بذلك — وقدشاع هذا الراتب وذاع صيته في الآفاق واتسع العمل به وقراءته في أوقات السعة والإملاق والحرص عليه من أكثر المسلمين إلا من صدّ عن خيره الكثير من المحرومين — أنْ تعظم رغبة قارئه ويزيد في ترتيبه حرصه عليه إذا وقف على ما فيه من الفضائل العظيمة والتحصّنات الجسيمة والفوائد الباطنة والظاهرة والمصالح العائدة على ملازمه في الدنيا والآخرة كما يأتي ذكر بعض ذلك في آخر المقدمات التي في أول هذا الشرح ،

وقد استطردت فيه بذكر كثير من الاذكار والدعوات مع ذكر ما فيها من الفضائل والخصوصيات وتقييد فوائد شاردة ومهمات نادرة لتتسع المادة للراغب وتتم الفائدة لطالب هذه الرغائب .

وأقدم على المقصود ثلاث مقدمات .

(الأولى) في بيان معنى الذكر ،وفضله وعموم نفعه مع فوائد جليلة والفائدة ضالة المؤمن وموارد العلم عذبة هيّنة ومشاربها غضة طريّة لكن لمن ذاق أرواقها واستشرف حقائقها فإن غايتها التنعم في حضرة الوصال والشهود لمعنى ذلك الجمال كما قال صاحب الراتب مشيرا إلى تلك المراتب نفعنا الله به

يارفيق ساعد وسرْ بنا حتى عسى نشاهدْ
ونرى المعاهد وننظر الأعلام والمشاهدْ
منتهى المقاصد يوم انتهاضك للربوع قاصدْ
شمّرْ وخلّفْ المال والأهلَ خلف الظهر لا تكن ذاله

(الثانية) في خاصّية الإجتماع للذكر بالجهر وما ينبغي للذاكرين من الآداب ويترتب على الإجتماع من الجدوى حسبما يقتضيه حال الذاكر والوقت والمكان

(الثالثة) في ذكر سبب وضع هذا الراتب والحث على ترتيبه من جامعه وغيره من أئمة ذلك الزمان وغيرهم ممن جاء بعدهم من الأعيان ، وفي خاصيته وعموم نفعه وتاريخ ترتيبه ووضعه ، وفي ذكر ما اختاره الأولياء العارفون والعلماء الراسخون من وضع الأحزاب والأوراد والدعوات النافعة في المعاش والمعاد ، وقد سميت هذا الشرح

« ذخيرة المعاد بشرح راتب القطب الحداد »

وأسأل الله تعالى أن ينفعني به في الدنيا والآخرة وأن ينظمني وأولادي وأحبائي وخاصتي في سلك أصحاب تلك الدائرة آمين .

واعلم أيها الواقف على ما في هذا الشرح من العبارات التي تشير إلى الذوق والوجدان الحاصل لذوي الإشارات أني إنما أثبتها وأنقلها وأنا معترف بالقصور عن العثور على ذوقها والوصول إلى حقيقتها لأني لم أسلك منهج سبيلها وطريقتها وإنما نقلتها تبركا وتعرضا لعلها يصادفها بعض ذوي الهمم العلية فيشتاق إلى تلك المعارف الإلٓهية والعطايا الوهبية وذلك حين يشيم بروقها ويستطلع مشارقها من أفق قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبُلَنا) ، ومن قوله ﷺ « من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم »

المقدمة الأولى

فى معنى الذكر وحقيقته وسر تأثيره وكثرة فوائده وذكر بعض آدابه والأحكام المتعلقة به والغاية التى يوصل اليها وهى معرفة الله تعالى و [عظيم] الأنس به ورضائه والبلوغ إلى غاية الأمنية بل الفرح والسرور بلقائه ، ومجاورته مع رسله وأنبيائه وأوليائه فى دار الكرامة والأمان وغير ذلك من الثمرات ، هذا من حيث بيان هذه الموارد على الإجمال .

وأما فضل الأذكار الواردة فى الراتب وما ينقل معها فسيأتى فى محله إن شاء الله تعالى .

فاعلم — أولا — أن الغاية التى شرع لها الذكر والنهاية التى لأجلها قام النهى والأمر هى معرفة الله تعالى ، ولما كان هذا العالم وما فيه من الأنوار والظُّلَم ومن عليه وما عليه من جنود الطاعة والعناد ، وما شرعه تعالى من الأحكام لانتظام أمر المعاش والمعاد ، كل ذلك كان للقيام بطاعته والعكوف على باب حضرته وامتثال أمره ودوام ذكره وشكره وقد حصر الله تعالى غاية خلق المكلفين وما أوجده من خلق السموات والأرضين فى آيتين : « الأولى » قوله تعالى (وما خلقتُ الجنّ والإنسَ إلاّ ليَعْبُدونِ ما أُريدُ منهم من رزقٍ وما أُريدُ أن يُطعِمُونِ) « والثانية » قوله تعالى (الله الذى خلق سبعَ سموات ومن الأرض مثلَهُنّ يتنزّلُ الأمرُ بينهُنّ لتعلموا أن الله على كل شىء قديرٌ وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً) فغاية الإيجاد والتكاليف معرفة الله تعالى والعملُ بطاعته (قال) بعضهم : فى الدنيا جَنّةٌ ، من دخلها لم يشتَق إلى جنة الآخرة ولا إلى شىء ولم يستوحش من شىء قيل : وما هى؟ قال

معرفة الله عزّ وجلّ (وقال) مالك بن دينار رضى الله عنه خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيبَ الأشياء قيل وما هو ؟ قال : المعرفةُ ثم قال :

إنّ عرفانَ ذى الجلال لعزٌ وضياءٌ وبهجةٌ وسُرورُ
وعلى العارفين أيضاً بهاءٌ وعليهم من المحبة نورُ
فهنيئاً لمن عرفكَ إلهى هو والله دهرَه مسرورُ

وقال آخر :

من عرف الله فلم تُغنِهِ معرفةُ الله فذاك الشقى
ما ضرّ ذا الطاعة ما ناله من طاعة الله وماذا لَقِى ؟
ما يفعل العبد بعزّ الغنَى ؟ العزّ كلّ العزّ للمُتّقِى

وطريق هذه المعرفة الموصلُ إليها والدالّ عليها هو الانقطاع إلى الله تعالى والاستغراق فى طاعته بوسيلتى العلم والعمل فإنهما طريقان موصّلان إليه وهما متلازمان بل متحدان لأن مسمى كل واحد منهما ومعناه يطلق على الآخر لاسيما إذا كان المتصف بهما من الأئمة المخلصين والسادة العارفين فإن علومهم تتجلى فى أعمالهم وأعمالهم تتشكل بعلومهم فعلومهم تدل على الله تعالى وأعمالهم تنهض إلى اقتفاء طريق السير إلى الله تعالى ، ومن عناية الله تعالى بهم إذا أراد أن يستخلصهم إليه ويصطفيهم له أن يبتليهم باعوجاج العامة فى البداية بل وفى النهاية فيولعوا بايذائهم وتنقيصهم لتصفولهم طريقة العلم والعمل ويدوم لهم الإقبال على الله عز وجل (ففى) لواقح الأنوار للإمام عبد الوهاب الشعرانى « قدس الله روحه » .

(قال) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه جرت سنّة الله تعالى فى أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الخلق فى ابتداء أمرهم وفى نهايتهم كلما

مالت قلوبهم لغير الله تعالى ثم تكون الدولة والنصرة آخر الأمر لهم إذا أقبلوا على الله كل الإقبال — ثم قال — قلت وذلك لأن المريد السالك يتعذر عليه الخلوص والسير إلى حضرة الله تعالى مع ميله إلى الخلق والركون إلى اعتقادهم فيه فإذا آذاه الناس وذموه ونقصوه ورموه بالبهتان والزور نفرت نفسه منهم ولم يصر عنده ركون إليهم ألبتة وهناك يصفو له الوقت مع ربه ويصح له الإقبال عليه لذهاب التفاته إلى وراء فافهم . اهـ .

والمقالات فى ذلك كثيرة وهو أمر معلوم من أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والكمل من وارثيهم .

واعلم — ثانيا — أن الذكر « كما فى فتح الإله » فى أصل وضعه هو ما تعبد الشارعُ بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحقِّ أو الثناء عليه ، ويطلق على كل مطلوب قولى اهـ وقريب منه فى تعريفه ما يأتى عن التحفة ، والكلامُ فى الذكر اللسانى ، أما الذكر القلبى وهو الذكر الخفى فهو أرفع الأذكار وذلك لأنه إرسال الفكرة فى عظمة الله وجلاله وجبروته وآياته فى أرضه وسمواته ، وأن الذكر لا ينحصر فى التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ ونحوها بل هو عام فى كل طاعة لله تعالى وكلُّ عمل يقصد به فاعله وجه الله تعالى فهو ذكر لله .

قال الإمام النووى رحمه الله — فى أذكاره : اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كلُّ عامل لله تعالى بطاعته ، فهو ذاكر لله تعالى كذا قاله سعيد بن جبير رضى الله عنه وغيره .

وقال عطاء رحمه الله تعالى مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام ، كيف تشترى وتبيع وتصلى وتصوم وتنكح وتطلِّق اهـ .

وقال الشيخ أحمد بن حجر في شرح خطبة المنهاج : الذكر لغةً هو كل مذكور ، وشرعاً قول سيق لثناء أو دعاء ، وقد يستعمل شرعا أيضا لكل قول يثاب قائله ا هـ .

وقال ابن علان فى شرح الرياض بعد نقله ما فى التحفه : وفى فتح البارى للحافظ ابن حجر العسقلانى ويطلق الذكر ويراد به المواظبة على العمل بما أوجب الله تعالى أو ندب إليه ، وقال الرازى المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد ، والذكرُ بالقلب هو التفكر فى أدلة الذات والصفات وأدلة التكليف من الأمر والنهى حتى يطّلع الذاكر على أحكامها وفى أسرار المخلوقات ، والذكرُ بالجوارح : هو أن تصير مستغرقة فى الطاعات ا هـ .

وقد ذكر صاحب الراتب رضى الله عنه فى نصائحه ما يدل على أن الاشتغال بالعلم من أعظم أنواع الذكر فإنه قال : الاتساع فى العلوم الدينية النافعة والاستكثار منها والزيادة على قدر الحاجة من أعظم الوسائل إلى الله وأفضل الفضائل عند الله ولكن مع الإخلاص لوجه الله وتلك المرتبة هى التى تلى مرتبة النبوة ، وجميعُ مراتب المؤمنين أنزل منها فإن العلماء العاملين هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين إلى آخر ما ذكره وهو يؤيد مامر من أن الذكر استحضار عظمة المذكور عند العمل بطاعته ، وقال سيدى الامام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوى فى كتابه الدوائر فى الكلام على الفقه : وأما من ذُكّر بالله وذكر الله فيه وأكثر من ذكر الله فى خلاله وتحفّظ من آفاته ومرائه وجداله وقصد به وجه الله تعالى فإنه له من أفضل الطاعات وأولى ما انفقت فيه نفائس الأوقات فإنه من الذكر لله تعالى فإن ذكر أحكام الله من ذكر الله وقد جاء ذكرا لبيع والنكاح والطلاق وغيرها من الأحكام فى الآيات فى كتاب الله ويُقرأ جميعها فى الصلاة .

وما علة البعد إلا الغفلة عن الله وإن كان فى معظم أبواب الدين فانظر إلى برّ الوالدين لعدم النية الصادقة لغلبة العادة فيه على العبادة وقلة الحضور مع الله تعالى قلّ أن يظهر أثره على القائم به ويحصل له السعادة كما حصلت لأويس القرني سيد التابعين وبالله التوفيق اهـ ، وهذا السيد الإمام من الآخذين عن الإمام صاحب الراتب والمقررين للراتب والعاملين به وسيأتى ذكر جواب له عمن سأل عن قوله الآتى يا ربنا واعف عنا وقوله فى ياذا الجلال والاكرام أمتنا على دين الاسلام (فإذا علمت) أن كل عامل بطاعة الله ذاكر لله بجمعيته على الله بما توجه إليه من أمر الله من أنواع الطاعات وفنون القربات والعبادات (فاعلم) أن ذلك الحال وأثر ما فيه من صدق المقال والأفعال يظهر على ذوى الإخبات(١) والحضور فيظهر أثر ذلك النور من وراء الستور فى أى عمل كانوا عليه وإن كان ظاهره الدنيا كالصناعات والحرف والمعاملات ، وإنما للذكر باللسان مع القلب ومع الاخلاص والحضور خاصيّة وسرّ عظيم فى استنارة القلب وطهارة السر وانفتاح عين البصيرة فإنه إذا كان مَنْ أسبغ الوضوء مستشعرا نظافة الظاهر يجد انشراحاً وصفاء فى باطنه كان لا يصادفه قلبه قبل ذلك [فهذا أولى](٢) (قال) الإمام الغزالى رضى الله عنه : وذلك لسر العلاقة التى بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته وإنما هبوطه إلى عالم الشهادة كالغريب عن حلّته(٣) وكما تنحدر من معارف القلب أنوار وآثار إلى الجوارح فكذلك قد يرتفع من أفعال الجوارح أنوار إلى القلب اهـ .

---

(١) الخضوع لله تعالى . (٢) زدنا ما بين القوسين تتميما للكلام .
(٣) جهته .

وإذا كان هذا فى عمل الطهارة فكيف فى الذكر الذى هو منشور الولاية وسلطان القرب وله النفع العظيم عند الموت وفى جميع المواقف التى آخرها مقرّ المقربين الأبرار وهى الجنة ومقرّ الكفار الفجار وهى النار فقد ورد « من قال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة » وفى حديث الشفاعة « أخرجوا من النار من قال لا اله الاّ الله » فما ظنك بمن كان ملازماً للأذكار آناء الليل والنهار كيف يتجلى عليه الوهاب بسواطع الأنوار ويفيض عليه من لدنه فائضات الأسرار ويصير مطالعاً للحقائق الآلهية جامعاً للطرائق المحمدية متمتعاً بالدقائق الحقّية والحقائق الصدْقيّة إلى أن صار كما قال سيدى عبد الرحمن قد أسلم شيطانُه وصار له على الحق كالمعين فهو بعين عناية الله ملحوظ ، وبزين رعايته محفوظ كلما زادت نعمة الله عليه بتوفيقه لطاعته وذكره ومعرفته وجلاله وعظمته وعلوّ جبروته وقهره عرف قصوره وتقصيره فى شكره واعترف بعجزه وفقره وتلاشى أمره فهو يستغفر الله فى اليوم أكثر من مائة مرة ويخاف الله أكثر من خوف العصاة لمّا عرف الله تعالى وأمْرَه فخوفُهُ واستكانتُهُ لجلال الجبار أعظمُ من خوفه من النكال ومن عذابِ النار اه من كتاب الدوائر ، فإذَنْ دوامُ الذكر من أعظم الرُّتب وهو لشدّة تأثيره كالسلطان فى القرب ولهذا خصه عليه الصلاة والسلام بقوله « ما عمل ابنُ آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » كما سيأتى ماله من الفضائل العظيمة والخصوصيات الكريمة ، قال صاحب الراتب رضى الله عنه فى البائية المسماة بالوصية .

واذكر إلهك ذكراً لا تفارقه ... فإنما الذكر كالسلطان فى القرب

وقال فى الرائية :

وإن رمت أن تحظى بقلب منوّرٍ نقيٍّ عن الأغيار فاعكف على الذكر
وثابر عليه فى الظلام وفى الضّيا وفى كل حال باللسان وبالسِّر
فإنك إن لازمته بتوجه بدا لك نورٌ ليس كالشمس والبدر
ولكنه نورٌ من الله واردٌ أتى ذكره فى سورة النور فاستقْر

وكلامه رضى الله عنه فى هذه الأبيات متضمن للحث على رفع الصدأ وكشف الران والغين التى تحجب البصائر عن إدراك الشهود والوقوف على العين، فقوله « وإن رمت أن تحظى بقلبٍ منور » أى محبوّ بالنور الذى هو عند أهل الحق كل وارد إلهى يطرد الكون عن القلب وإليه الإشارة بقوله « نقى عن الأغيار » أى خلىّ عن وجود غير الحق فيه الذى هو نور النور وبنوره ظهر كل شىء ولولا ظهور نوره لما ظهر شىء « وثابر عليه » أى لازم عليه « فى الظلام » أى الليل « وفى الضيا » أى النهار « وفى كل حال » من قيام وقعود واضطجاع كما فى الآية « باللسان وبالسِّر » أى وبالقلب « فإنك إن لازمته بتوجُّهٍ » أى لازمت الذكر بتوجه تام وأعطيته كلِّيتك ومنه إدامة كل ما منك إلى مولاك من عبادات ومعاملات ومجاهدات ومكابدات فكلها من الله لهم ومنهم له أنوار توجُّه ومواجهة وتعرُّف وتقرُّب وتودُّد وتحبُّب فحينئذ يبدو للذاكر ما ذكره بقوله « بدا لك نور ليس كالشمس والبدر ولكنه نور من الله وارد » وهو النور الذى يخرج به من سجن رؤية الأغيار إلى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار فتتسع مسافة نظر بصائرهم إلى العوالم الغيبية ويتصرفون فى العوالم المُلْكية والملكوتية فيصلون إلى حق اليقين وهو الوصول إلى حقيقة الكشف والشهود ويفنى لديهم ما سوى الآله المعبود .

واعلم، أنه لابد مع ذلك من التخلية والتحلية وهما الخروج عن الأخلاق

المذمومة الرَّدية والإتصافُ بالأخلاق الممدوحة السنيَّة كما قال رضى الله عنه ،

وَصف من الأكدار سرك إنه إذا ما صفا أولاك معنى من الفكر
تطوف به غيب العوالم كلها وتسرى به فى ظلمة الليل إذ يسرى

أى أنه إذا صفا السر عن الأغيار وشهود الآثار وانفتحت عين البصيرة لرؤية الأنوار بارتفاع حجب النفس والأكدار طاف العارف غيب العوالم وصارت عنده كعوالم الشهادة فى جميع الأطوار من غير أن يحجبه فى تطوافه ذلك ظلمة الليل ولا أشعة النهار .

وقد حقق هذا المقام الشيخ عبد الخالق بن على المزجاجى الزبيدى رحمه الله تعالى ، فإذا صار نوره بهذه المثابة سجد لله سجود الأبد ، وشهد تسخير العالَم له كما قال تعالى (وسخّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه) وعرف معنى «لولاك ما خلقت الأفلاك» وقوله «ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن» وقوله «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبى عرفونى» أى بمَظهرى الأكمل عرفونى فمن حصل له هذا التجلى فهو قبلة الوجود انتهى (قال) بعض العارفين فى معنى قوله تعالى «ما وسعنى أرضى ولا سمائى الخ أى وسع قلب المؤمن ما يلقيه فيه تعالى من الواردات الربانية والعلوم الصمدانية فإن قلب العبد المؤمن وسع معرفة الله تعالى الممكنة له اللائقة بالحق ولذلك أبت السموات والأرض مع وسعهن أن تسع معرفة الله وادّعت العجز عن ذلك وادعى المؤمن أن قلبه يسعها وذلك أن العبد لما انخلع عن صفاته الفانية خلع عليه تعالى صفاته الباقية بقوله «كنت له سمعاً وبصراً وفؤاداً» انتهى .

وفى كتاب « سفينة النجاه إلى طريق معرفة الإلـه » ما يبين ما استثناه الشيخ عبد الله ونفاه فى قوله كالشمس والبدر فإنه قال : وليس ذلك النور عبارة عن شعاع ينبسط على أشباحهم وصدورهم إنما هو عبارة عن نور الهداية انتهى أى وهو الذى يغيب عن الأكوان بشهود المكوّن فى النهاية فيرى أنه قائم فى جميع الأفعال والأعمال وحاكم فى جميع الأحوال بحول الله وقوته ولطفه وتوفيقه وقدرته ، ولا يشهد له فعلا ولا وجوداً بل هو فانٍ فى وجود الحق لكماله معرفة وشهوداً .

وقال الشيخ الدميرى فى كتابه المذكور فى المعنى المشار إليه فى سورة النور : فمعرفة العبد لربه نور الله الذى يقذفه فى قلب عبده المؤمن فيدرك بذلك النور أسرار ملكه ويشاهد غيب ملكوته ويلاحظ صفات جبروته ثم تنزل قوة إدراكه على مقدار ما أفيض عليه من ذلك النور (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة) الآية . فالمشكاة بمنزلة بشريتك لما فى البشرية من الكثافة فهى محل ظل وسواد ، والمصباحُ كلما كان فى الظل والسواد كان أشد فى الإشتعال والإبعاد ، فشبه نور التوحيد بنور المصباح يستضىء به كل ما يجاوره ويحاذيه ، وشبه القلب بالزجاجة لما فيها من اللطافة فإنها شفافة تطرح الأنوار على ما يقابلها ويحاذيها من الأجرام ، والقلب شفاف تنفذ إليه أشعة أنوار التوحيد إلى ما وراءه من الجوارح ، وشبه الزجاجة بالكوكب إشارة إلى إشراقها واستنارتها ، والدّرى منسوب إلى الدر مبالغة فى استنارته وصفاء جوهره ، وإنما سمى الله تعالى نفسه نوراً لأن النور هو الضياء المظهر للأشياء فإذا سُمِّى ما يُظهر غيرَه بالإضافة إلى الإدراك نوراً فلأن يُسمى مَن يظهر الأشياء من كتم العدم نوراً أولى بل هو نور النور لأنه مُظهِر المظهِر انتهى .

وقد ألف الإمام الغزالى فى تفسير هذه الآية (الله نور السموات والأرض..) كتاباً حافلا سماه مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار أبدى فيه معانى ولطائف خرجت من معدنها لأهلها .

وقال الشيخ الدميرى عند ذكر الأوراد والأذكار ومددها : فالفقير إذا لم يُحْيِ نفسه بالأوراد ويمنعها عن الشهوات وكثرة ميلها إلى أبناء الدنيا فليس بفقير، فالورد ماهو مطلوب منك لسيدك فهو حقه عليك، والوارد ماتطلبه منه فهو حظك منه ، فشروقُ الأنوار اليقينية الإيمانية على حسب صفاء الأسرار القلبية الصمدانية ، وصفاءُ الأسرار على قدر البعد عن الأغيار بحسب الأوراد والأذكار فالذكر ماندب الشارع إلى التعبد بلفظه ويكون بالقلب واللسان وهو طريقُ وُصْلةِ المحب بالمحبوب (الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكر الله ألا بذكرِ الله تطمئنُّ القلوب) ، إنْ أردتَ أن تكون عنده مذكورا فكن له من الذاكرين إذ جعل تعالى جزاءَ ذكركَ إياه وجودَ ذكره لكَ حيث قال عز وجل (فاذكرونى أذكركم) ، وقد سئل ﷺ أىُّ الأعمال أفضل؟ فقال «أن تموت ولسانُك رَطْب بذكر الله» وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : إن الذين ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك ، قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى: والمراد بالرطبة عدم الغفلة لاعدم يبس اللسان ، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود : أنَّ أسرع الناس مروراً على الصِّراط الذين يَرْضون بحكمى وألسنتهم رطبة بذكرى ، وكان أبو محمد الفتح الموصلى رحمه الله يقول : القلب إذا منع الذكر مات كما أن الإنسان إذا منع الطعام والشراب مات ولو على طول ، وقيل : أقرب الطرق إلى حضرة الله تعالى كثرة ذكره لأن الإسم لايفارق مسماه فلا يزال

العبد يذكر ربه والحجبُ تتمزَّق شيئاً بعد شيء حتى يبلغ الشهودَ القلبي فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور انتهى

فإذا استفدتَ من هذه الجملة أنموذجاً من سرِّ ماذاقه أهل الله وخاصته من مشارب الذكر وكرعوهُ من صافي مناهله بالكأس الذى لم تكدره خواطر الظنون والشكوك الواردة على الخيال والفكر علمتَ أن هذه المشارب والأذواق هى الغاية القصوى إذ الذكر والفكر هماالموصِّلان إلى المعرفة بالله والحب لله والأنس به في حضرة الوصال والمقْعَد المتعال المشار اليه بقول صاحب الراتب رضى الله عنه :

في مقعد الصدق الذى قد أشرقت أنواره بالعندِ يالك من سَنَا

وهذا حال من كان قلبه معموراً بذكر الله صافياً من كدورات الشهوات مستغرقاً بحب الله ليس فيه سوى الله تعالى فهذا هو حقيقة العِنديَّة وهذه هى المشارب المشار اليها بقول الإمام ابن بنت الميلق الشاذلى رضى الله عنه

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعوض أرواحاً وجاد بها فى كل طرفة عين لا يساويه

إلى آخر ماذكره فيها من أحوال أهل الله الواصلين إلى حضرة الله تعالى بذكر الله .

آداب الذكر

واعلم — أن الذكر الذى هو غذاء القلوب والدواءُ لأمراضها الناشئة عن الذنوب والعيوب له آداب منها أن يكون على أحسن الهيئات وأن يكون مع الطهارة

الباطنة والظاهرة ومع استقبال القبلة ومع الحضور والإخلاص ، وأكمله أن يكون بالقلب واللسان وإن اقتصر على ذكر القلب فهو نافع مؤثر ، وذكرُ اللسان بلا حضور القلب قليل الجدوى والتأثير والفائدةِ ولكنه خير من الإعراض والغفلة لأن إشغال اللسان بالذكر قد يستدعى حضور القلب .

الإسرارُ بالذكر والجهرُ به

وأما الكلام فى الإسرار بالذكر والجهر به ففيه للعلماء أقوال وللصوفية طرائق فمنهم من يرجح الجهر بالذكر ومنهم من يرجح الإسرار به ، وورد فى كل مايرجحه فقد ورد فى الإسرار قوله ﷺ « خير الذكر الخفى وخير الرزق مايكفى » وورد أيضاً « إن فضل الإسرار بقراءة القرآن كفضل الإسرار بالصدقة » والإسرارُ بالذكر كذلك .

وفى حاشية الأذكار لابن علان قال : أخرج أبو يَعْلى الموصلى فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « لفضل الذكر الذى لايسمعه الحفظة سبعون ضعفاً ، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال لهم انظروا هل بقى له من شىء فيقولون ماتركنا من شىء مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه فيقول الله إن لك عندى حسناً لاتعلمه وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفى » أورده السيوطى فى البدور السافرة فى أحوال الآخرة .

وورد فى الجهر أيضاً أخبار وآثار (قال) ﷺ « إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمّار الدار يستمعون لقراءته ويصلون بصلاته » ومرّ ﷺ على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله

عن ذلك فقال أوقظ الوسنانَ وأزْجرُ الشيطان » ومرَّ على أبي بكر وهو يخافت فسأله فقال الذى أناجيه يسمعنى .

(وقال) الإمام الغزالى ما حاصله ، والوجه فى الجمع بين الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والسمعة والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل أى أو نائم فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعلق بغيره والخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارىء أى والذاكر ويجمع همته إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم برفع الصوت ، ولأنه يزيد فى النشاط ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ، ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط ويشتاق إلى الخدمة فمهما حضره شىء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات يزكو عمل الأبرار وتتضاعف أجورهم اهـ .

(تنبيه)

ضابط الإسرار أن يُسمع نفسه حيث كان صحيح السمع ولامانع كلغط ونحوه فإن لم يسمع نفسه بالشرط المذكور فلا يحصل له ثواب الذكر إن كان مسنونا ولا يسقط عنه الفرض إذا كان واجبا سواء كان فى صلاة أو غيرها ويسمى ذاكرا بالقلب له ثواب إن حضر معه ، وأما الجهر فهو بأن يُسمع نفسه وغيره ، والحدر الذى ذكروا أنه سُنّة فى التلاوة هو أن يتوسط بين الجهر والإسرار ، وقيل يُسرّ تارة ويجهر أخرى .

(فضل الذكر)

اعلم أن الذكر عظيم الشأن والقدر وما ورد فيه من الفضائل والخواص والفوائد لا يدخل تحت الحصر فلنكتف بذكر شيء مما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار ، قال الله تعالى (وأقم الصلاةَ لذكرى). (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) (واذكروه كما هداكم) (واذكر اسمَ ربك وتبتّل إليه تبتيلا) . (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) ، قال ابن عباس رضى الله عنهما أى فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والمرض والسر والعلانية وقال تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة) إلى قوله (ولا تكن من الغافلين) (ولَذكر الله أكبر) قال ابن عباس أى ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه، أو ذكر الله أكبر من كل عبادة ، وقيل أكثر تأثيراً فى دفع المذموم وجلب الممدوح وقال تعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) إلى غير ذلك من الآيات ، (وقال) ﷺ « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقَوْا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال : ذكر الله » (وقال) ﷺ « مثل البيت الذى يذكر الله فيه والذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت » [ومن الآثار] قال أنس بن مالك رضى الله عنه ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله تعالى إلى منتهاها من سبع أرضين ، وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض ، وما من منزل ينزله قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم .

وفى كتاب الصلاة من الإحياء : روى أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام قل لعصاة أمتك لا تذكرونى فإنى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فإنهم إذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة ، قال الإمام الغزالى هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان » وفيه أيضاً أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ياموسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعاً مطمئناً وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدىّ فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وَجِل ولسان صادق انتهى ، [وروى] عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق فقال مالى أراكم هاهنا ، وميراث رسول الله ﷺ يقسَّم فى المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً يقسم فرجعوا وقالوا ما رأينا ميراثاً يقسم قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ ، [وقال] سفيان بن عيينة رحمه الله : إذا اجتمع قوم يذكرون الله اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا دعهم فإنهم إذا انصرفوا أخذت بنواصيهم إليك [وقال] داود عليه السلام إلـهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم ، فإنها نعمة تنعم بها علىّ ، وروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله تعالى ، وفى أخبار داود عليه السلام أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إنما اتخذت لخلق من لا يفتر عن ذكرى ولم يكن له همٌّ غيرى ولا يؤثر على شيأً من خلقى .

(قال) العارف بالله تعالى على بن عبد الله باراس فى رسالة له فى الذكر فى معنى قوله تعالى « فاذكرونى أذكركم » أى اذكرونى بعبادتى أذكركم برحمتى

وبرى ومغفرتى، فكل في الحقيقة ذاكر ومذكور ، فذاكر بالشكر مذكور بالفضل، وذاكر بالكفر مذكور بالعدل، فأهل الشكر ذاكرون بالطوع والفرح والاغتباط والشوق ، وأهل العدل ذاكرون بالكره والاحتياج والسوق ، وذكر الله للكل أكبر فجزاء أهل الشكر الثناءُ والهدى والبشارة والخلد في جواره ولطائف آلائه ومشرقات تجليات أنواره ومعاطف جنانه ومشاهدات جماله وتلطفات أسراره إلى غير ذلك ، وذكره لأعدائه بسطوة قهره وقواصف عواصف تجليات بأسه أكبر وقد طبع عليه بطابع الشقاء وأبعد عن الإيمان والتقى فإنه يشمئز من ذكر الله ويستبشر بالسوى قال الله تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) انتهى . فالذكر لله تعالى لا يكمل ثوابه ويظهر نوره ويتحقق تأثيره إلا مع طاعة الله تعالى واجتناب معاصيه وسيأتى لذلك قريباً زيادة بيان (وقال) ﷺ « ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ثم يضرب به حتى ينقطع ثم يضرب به حتى ينقطع » (وقال) ﷺ « ذاكر الله تعالى في الغافلين كالصابر بين الفارين » وفي حديث آخر « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم » (وقال) عليه الصلاة والسلام « من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله » وقال ﷺ « إن الذين لاتزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون » وفي خبر آخر « أحب الأعمال إلى الله تعالى أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » وفي آخر « أمس وأصبح ولسانك رطب من ذكر الله تصبح وتمس وليس عليك خطيئة » (وقال) ﷺ « لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف

في سبيل الله ومن إعطاء المال سَحًّا » (وقال) ﷺ « لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل » وقال ﷺ «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها» (وقال) عليه الصلاة والسلام « سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال المهتَرون في ذكر(١) الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً » ، المفردون بتشديد الراء المكسورة وروى بتخفيف الراء وإسكان الفاء مع كسرها وحكى مع فتحها — هذا حاصل ما ذكره ابن علان في حاشية الإذكار من خلاف طويل — قال وقال ابن الأعرابي: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس وخلا لمراعاة الأمر والنهي، وقال الأزهري هم المتخلون من الناس بذكر الله وقيل هم الهرمى الذين هلك أقرانهم من الناس وبقوا هم يذكرون الله، وفي كشف المشكل لابن الجوزي وقال بعضهم استولى عليهم الذكر فافردهم عن كل شيء إلا عن الله عز وجل فهم يفردونه بالذكر ولا يضمون إليه سواه انتهى .

(والحاصل) أن الذكر ونوره شامل لجميع العبادات ومهيمن عليها فما كان منها وقع مع الحضور من كل ما يدخل تحت العلم والعمل فهو الذكر حقيقة ، وكذلك مجالس العلم ومذاكراته من أقسام الذكر بل هي من أعلاها وكل طاعة تدعو إلى الحضور مع الله والإخلاص له والخشية منه فهي من الذكر بخلاف ما إذا كانت مع غير ذلك، (قال ابن علان) أخرج الواحدي في التفسير الوسيط بسنده إلى خالد بن عمران رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وصنعه للخير ومن عصى الله فقد نسيه وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وصنعه للخير » ، وقال البخاري الاسكاف في فوائد الأخبار الغفلة نوم القلب والنائم لا يذكر ، وذكرُ الله تعالى أن تشهده

---

(١) يقال أهتر بالضم فهو مهتر أولع بالقول في الشيء .

حافظاً لك رقيباً عليك قائماً بمصالحك فمن غفل عن هذه الأحوال فليس بذاكر وإن سبّح بلسانه وهلل وكبر، ومن كان متيقظاً فى هذه الأوصاف فهو ذاكر وإن سكت انتهى ما نقله ابن علان ، ففهم منه أن المحترف إذا كان قاصداً بحرفته التعفف والكفاية وصلة الرحم والقيام بحق العيال والتصدق بالفضل على المحتاجين وذوى الضرورات كان فى كل ذلك عاملا بطاعة الله بل هو أفضل من المتنفل بأنواع العبادات لما هو قائم به من النفع المتعدى وإن اقترن عمله بالذكر كان أكمل كما ذكروه فى حق المجاهد أنه يذكر الله فى الجهاد .

(قال) الإمام صاحب الراتب رضى الله عنه وقد عد العلماء رحمهم الله تعالى من فضائل الذكر وأرجحيته على غيره من الأعمال الصالحة أنه يمكن المداومة عليه فى جميع الأوقات والأحوال لأنه غير مؤقت بوقت بل هو مأمور به على الدوام ويتعاطاه المحدث والجنب والمشغول والفارغ ولا هكذا غيره من الصلاة والصوم والتلاوة فإن لها شرائط تتوقف عليها وأوقاتا لا تصح إلا فيها ثم بعد أن ذكر بعض الأوقات والأحوال التى تمتنع فيها تلك العبادات قال وإن كان لبعضها فضل عليه من حيثيات أخرى ، فمن خصوصيات الذكر خفة المؤنة فيه مع فضله وأنه يمكن المداومة عليه حتى إنه ينبغى لمن يكون على حالة يكره له فيها ذكر الله تعالى بلسانه مثل الخلاء والجماع أن لا يغفل عن ذكر الله بقلبه كذلك قال العلماء بالله ، فلا تزل رحمك الله ذاكرا ، وإن كنت صانعاً ومحترفاً وملابساً لشىء من أشغال الدنيا فلازم الذكر مع ذلك بقلبك وبلسانك حسب الإمكان ثم أشار إلى ما مر من الأشتغال بالذكر بالسر والجهر ومع الجمع بشرطه المار .

وفى مجموع الإمام النووى بعد ذكره الاكثار من الذكر وحضور مجالسه قال ويندب كون الذاكر على أكمل الصفات متخشعا متطهرا مستقبل القبله

خاليا نظيف الفم مع حضور قلبه وتدبر الذكر، ومن كان له وظيفة من الذكر ففاتته ندب له تداركها، وإذا سلم عليه مسلم رد السلام وعاد إلى الذكر، وكذا إذا عطس عنده إنسان فليشمته أو سمع مؤذنا فليجبه أو رأى منكرا فليزله أو مسترشدا فلينصحه ثم يرجع إلى الذكر، وكذا يقطعه إذا غلب عليه نعاس ونحوه اهـ . وقيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر أعطى المنشور ومن سلب الذكر عزل، وقال أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه: الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة الولاية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شىء وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر اهـ .

وفى الإحياء : أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والتفكر فى جلاله وذلك يستدعى قلبا فارغا وتحصيل الدين فى الدنيا وتحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الأنس بذكر الله عز وجل، فالأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر، وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله، فبدوام الذكر يحصل الأنس والمحبة، وبدوام الفكر تحصل المعرفة . لا يبقى مع العبد بعد الموت إلا ثلاث صفات القلب وهى طهارته عن أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله وحبه لله تعالى، وطهارة القلب لا تحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا، والأنس لا يحصل إلا بالمعرفة فهذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت وهى الباقيات الصالحات، وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد محبة الله فهو مغبون. بل من غفل عن ذكر الله ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين إلا

الشيطان قال تعالى (ومن يَعشُ عن ذكرِ الرحمن نُقيِّض له شيطانا فهو له قرين»
وقال رضى الله عنه فى موضع آخر .

فإن قلت فما بال ذكر الله تعالى مع خفته على اللسان وقله التعب فيه صار أنفع وأفضل من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ، فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذى نسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب وأما الذكر وهو لاه فقليل الجدوى ، وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عنه سبحانه مع الاشتغال بالدنيا أيضا، قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله سبحانه على الدوام أو فى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرات العبادات العملية ، وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب هو ذلك الأنس والحب فإن المريد أولا قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر الله تعالى فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور إلى أن قال فكذلك أول الذكر متكاف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجباً والمثمر مثمرا، وهذا معنى قول ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله سبحانه وما سوى الله هو الذى يفارقه عند الموت فلا يبقى معه أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله تعالى وإن كان قد أنس به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات فى الحياة تصدُّ عن ذكر الله تعالى ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خُلّى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعاً فيه عما به أنسه .

ولذلك . قال ﷺ « إن روح القدس نفث فى رُوعى أحبب ما أحببت فإنك مفارقه » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى فى حقه بالموت فكل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وهذا الأنس يتلذذ به العابد بعد موته إلى أن ينزل فى جوار الله تعالى ويرقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر ما فى القبور ، ولأجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ومعنى الخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله عز وجل والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره ومرّ ذكر فضل الشهادة وما يكون الشهيد عليه من قصد إعلاء كلمة الله وبذل الروح الذى هو أعز ما عند العبد فى سبيل الله وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم يسألون ويتمنون الرجعة إلى الدنيا ليقتلوا ثانياً فى سبيل الله عندما يشاهدون ما أعد الله لهم والذاكر لله تعالى شهوده وادّكاره وحضوره ومراقبته فى جميع حالاته كحالة الشهيد عند استعداده للقاء ربه عندما يبايع ربه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله) قال ومثل هذا الشخص هو الذى باع الدنيا بالآخرة وحالة الشهادة توافق معنى قول لا إلـه الا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إلـه فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إلـه الا الله إذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره إلى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر ولذلك فضل قول لا إلـه الا الله على سائر الأذكار انتهى كلام الغزالى ملخصاً ، وإنما ذُكر فى بعض المواضع الترغيبُ والمبالغة فى كثرة فضيلة هذه الكلمة الشريفة مطلقاً لأن ذكر اللسان يجر إلى ذكر القلب وحضوره الذى هو المقصود كما مرّ فى كلام الغزالى وغيره وورد

فى بعض المواضع مقيداً بالصدق والإخلاص ومع اجتناب الغفلة عن المذكور وعدم الوقوع فيما لا يرضاه تعالى فيحمل المطلق على المقيد وذلك كقوله ﷺ « من قال لا اله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة » وفى رواية « صادقاً (وفى الاحياء) أيضاً قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لا إلـه الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفى رواية « مالم ينالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فإذا لم يفعلوا ذلك فقالوا لا إلـه الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها مؤمنين » فنسأل الله تعالى أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إلـه الا الله حالا ومقالا وباطناً وظاهراً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها بل متبرمين منها ومحبين لقاء الله عز وجل فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

المقدمة الثانية

فى فضيلة مجالس الذكر وما ورد فيه من الدلائل الصحيحة الصريحة وفى عقد مجالس الذكر وعمل المشايخ عليه من لدن زمانه ﷺ إلى الآن وفى الجهر به وما يلتحق بذلك فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن لله ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله تعالى وهو أعلم بهم من أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألونى ؟ قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتى ؟ قالوا لا يارب قال فكيف لو رأوا جنتى ؟ قالوا ويستجيرونك قال ومم

يستجيرونى ؟ قالوا من نارك يارب قال فهل رأوا نارى؟ قالوا لا قال فكيف لو رأوا نارى قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ماسألوا وأجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مرّ فجلس معهم، قال فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » رواه مسلم رحمه الله فى صحيحه وفى صحيح البخارى رحمه الله تعالى إن لله عز وجل ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء » ثم ساق باقيها كرواية مسلم مع زيادات وفى آخره قال « فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » (وقال) رسول الله ﷺ « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » وعن معاوية رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام قال آلله ما أجلسكم إلا ذلك ! قالوا ما أجلسنا إلا ذلك قال أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أتانى جبريل عليه السلام فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة » (وقال) ﷺ « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يارسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر » وفى رواية الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه « قلت يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع يارسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وقال رسول الله ﷺ « سيعلم أهل الجمع اليوم مَن أهل الكرم قيل مَن أهل الكرم يارسول الله؟ قال أهل مجالس الذكر فى المساجد » وقال رسول الله ﷺ « ما من قوم جلسوا مجلساً وتفرقوا منه ولم يذكروا الله فيه إلا كأنما تفرقوا عن جيفة

حمار وكان عليهم حسرةً إلى يوم القيامة وما مشى أحد ممشى لم يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه ترة(١) ، وما آوى أحد إلى فراشه ولم يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه ترة » ، (وقال) ﷺ « لأنْ أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحبُّ إلى من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحبُّ إلى من أن اعتق أربعة » (وقال) عليه الصلاة والسلام « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العُرى وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارىء فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يارسول الله كان قارىء يقرأ علينا القرآن فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن أصبِّر نفسى معهم قال فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه الكريمة فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له فما رأيت رسول الله عرف منهم أحداً غيرى فقال « رسول الله ﷺ أبشروا صعاليك(٢) المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف عام وذلك خمسمائة سنة » رواه أبو داود رحمه الله تعالى « وروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ما من صباح ولا رَوَاح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضاً هل مرّ بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلة نعم ومن قائلة لا فإذا قالت نعم علمت أن لها عليها

---

(١) ترة : حسرة أو تبعة .

(٢) صعاليك : فقراء .

فضلا ، وما من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى عليها إلا وشهدت له بذلك عند ربه و بكت عليه يوم يموت» قيل فى قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكى عليهم ولا تبكى على من ركن إلى الدنيا ، وقال بعض الحكماء ارتفاع الأصوات فى بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات ، قال العلامة الغريني فى كتابه بهجة الأنوار فى مطلب فضيلة مجالس الذكر « واعلم أن مستضاء الأنوار أى أنوار الغيوب التى لا تقتبس الأنوار إلا منها هى حضرة الربوبية فبقدر الإقبال عليها تشرق أنوارها فى القلوب لقوله ﷺ « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» وقلما يخلو يوم عن نفحة من النفحات ، فعلى العبد أن يفرغ المحل لانتظار نزول الرحمة ويتعرض لهباب رياح الرحمة ويستدر أمطار اللطائف والمعارف من خزائن الملكوت وكما يقوى انتظار الأمطار فى أوقات الربيع يقوى انتظار تلك النفحات فى الأوقات الشريفة ، وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فإن الهمم بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته ، ثم ذكر أن الحجاب المانع من استدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف هو ما للنفس من العلائق الدنيوية والشهوات وإلا فالرب أقرب إلى العبد من حبل وريده وما حجابه إلا شغله بنفسه فهذه الدلائل دالة على الاجتماع للذكر وفعله فى بعض الأحيان برفع الصوت والجهر ومشايخ الطريق على ذلك .

قال السيوطى فى فتوى طويلة له قال سيدى يوسف العجمى وقد اعترض بعضهم على الذكر بالجهر بقوله تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة) وقوله ﷺ خير الذكر الخفى والجواب أن ذلك خاص به ﷺ و من له به أسوة فقد روى عن جابر رضى

الله عنه أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل لو أن هذا خفض من صوته فقال ﷺ دعه فإنه أوّاه [وروى] أن الناس كانوا يذكرون الله عند غروب الشمس فإذا خفيت أصواتهم أرسل إليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن نوّروا الذكر أى ارفعوا أصواتكم به، والأولى فى حق المجتمعين رفع الصوت اهـ.
وفى فتاوى ابن حجر رحمه الله ما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر بالجهر به فى المساجد لا كراهة فيه ، وحديث « إن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » لا يكون إلا عند جهره فحينئذ لا كراهة فى الجهر بالذكر ألبتة حيث لا معارض، على أن فيه مايدل على الاستحباب إما صريحاً وإما التزاما، وقوله تعالى [واذكر ربك فى نفسك] الآية أجيب عنه بأنها مكية نزلت حين كان ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبّون القرآن ومن أنزله فأمر بترك الجهر سدًّا للذريعة وقد زال هـذا المعنى، وأشار لذلك ابن كثير فى تفسيره ، والأمر فى الآية خاص بالنبى ﷺ الكامل المكمل، وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً فى دفعها .

وقال الشيخ على بن عبد الله باراس الخريبى ناصا على أرجحية الجهر بالذكر بشرط تأديته على الوجه المشروع .

ومن حقوق الذكر حسن تأديته لأنّ لا إلـه إلا الله آية من كتاب الله مشتملة على حروف تستدعى مروراً فى النطق من مخارج كل منها على التعظيم وعدم إبدال شىء من حروفها خصوصا ما يقرب منها فى اللفظ ويبعد فى الحظ كالهمز من إلـه ومن إلا الله بالياء حال التراخى والتساهل فى التأدية ، وكالمدّ على الهاء من إلـه مدة تستلزم ظهور ألف ، وكتسكينها فإنه يشبه أن يكون وقفا على كلّ قبل تمام معناه فالمقصود حركة بغير مد وسكون . وقال ابراهيم الشاذلى رحمه الله اختاروا أن يكون الذكر ساذجا عن النغمات بتجريد الألفاظ لئلا يبتعد فى العالم

الحسى عن الاستغراق فى حضرات الغيب المطلوب من الذكر ، ولا أعون للذاكر المبتدئ فى الطريق من الجهر به فإنه أبعدُ عن الغفلة وأبعثُ على اليقظة وأطرد لجيش اللعين اهـ . ومرّ عن الغزالى وغيره أن ذلك مشروطٌ فى الجهر بشروط مذكورة هنالك .

وإنما أطلتُ النقلَ فى دلائل الاجتماع للذكر والجهر به لكون هذا الراتب وغيره من الرواتب للسادة الأشراف آل علوى وغيرهم من السادة الصوفية لا تؤدَّى غالباً إلا بالجهر ولا يزال الإنكار عليهم فى كل زمن ووقت ، وهذا الراتب ممَّا جرى فيه الإنكار من بعض العلماء وردّ ذلك الإنكار بما لا مزيد عليه شيخنا الإمام الحبيب أحمد بن الحسن بن عبد الله صاحب الراتب فى شرحه وأكثر مابسطه فيه فى ذلك وفى بعض خواصه وتاريخه وفى ذكر من عمل به وقرره وأثنى عليه وسيأتى نقل بعض منه فى ذلك .

اتخاذ السبحة

ومن آلات الذكر ومتعلقاته اتخاذ السُّبحة وأكثر مايكون عدد حباتها مائة وقد يكون خمسمائة أو ألفا ، قيل اختص اسم المعدود به الذكر بالسبحة دون بقية الأذكار لأن ورود الأعداد الآتية فى قوله سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلى آخره بالتسبيح اهـ ، وحاصل ما استدل به الإمام السيوطى خبر أبى داود والترمذى وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : رأيت النبى ﷺ يعقد التسبيح بيده ، وأخرج الترمذى والحاكم عن صفية رضى الله تعالى عنها قالت دخل علىَّ رسول الله ﷺ وبين يدى أربعة آلاف حصاة أسبِّح بهن فقال ماهذا يابنت حُيَي ؟ قالت أسبِّح بهن فقال « قد سبَّحت مذ قمتُ على رأسك

أ كثر من هذا » قالت علمني يارسول الله قال قولى « سبحان الله عددَ ماخلق من شيء » قال وأخرج عبدالله ابن الإمام أحمد بسنده أن أباهريرة رضى الله عنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبِّح أى بعددها ، وقد رأيت فى كتاب تحفة العباد « ومصنفه متأخر عاصر الجلال البُلقينى » فصْلاً حسنا فى السبحة قال فيه مانصه . قال بعض العلماء عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة لحديث ابن عمر رضى الله عنهما لكن يقال إن المسبح إن أمن من الغلط كان عقده بالأنامل أفضل وإلا فالسبحة أولى ، وقد اتخذ المسبحةَ ساداتٌ يشار اليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم كأبى هريرة رضى الله عنه كان له خيط فيه ألفا عقدة وكان لاينام حتى يسبح به اثنتى عشرة الف تسبيحة قاله عكرمة ، وفى سنن أبى داود من حديث أبى بَصْرة الغِفارى قال رضى الله عنه حدثنى شيخ من طُفاوة قال تثوّيت أباهريرة رضى الله عنه بالمدينة فلم أر رجلا أشد تشمرا ولا أقوم على ضيف منه قال فبينما أنا عنده يوما وهو على سرير له ومعه كيسٌ فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبِّح بها حتى إذا نفِد مافى الكيس ألقاه اليها فأعادته فى الكيس فدفعته اليه ليسبح ، قوله تثوّيت أى ثويت عنده وتضيَّفْتُه ونزلت فى منزله ، وقيل كان أبوهريرة رضى الله عنه يسبح بالنوى المجزّع يعنى الذى حك بعضه حتى ابيضّ شىء منه وترك الباقى على لونه وكل مافيه سواد وبياض فهو مجزع قاله أهل اللغة ، وذكر الحافظ عبد الغنى فى ترجمة أبى الدرداء عويمر رضى الله عنه أنه كان يسبح فى اليوم مائة ألف تسبيحة ومن المعلوم المحقق أن المائة ألف والأربعين ألفا وأقل من ذلك لاينحصر بالأنامل فقد صح وثبت أنهما كانا يعُدّان بآلة .

وفى حاشية الأذكار لابن علان نقلا عن شرح المشكاة لابن حجر : ويستفاد من الأمر بالعقد المذكور فى الحديث ندب اتخاذ السبحة وزعمُ أنها بدعة غيرُ صحيح إلا أن تحمل على تلك الكيفيات التى اخترعها بعض السفهاء مما يمحضها للزينة أو الرياء أو اللعب اه ونوزع بأن أخذ الشيخ بظاهره مناف لهذا الحديث لأنه يفيد العدد بالأصابع على وجه تفضيله كما أشير إليه بتعليله ، وجرى فى الحرز على كونها بدعة قال لكنها بدعة مستحبة لما سيأتى من حديث جويرية أنها كانت تسبح بنوى أو حصى . وقد قررها عليه ﷺ والسبحة فى معناها إذ لا فرق بين المنظومة والمنثورة فيما يعد به اه . وقوله حديث جويرية وهمٌ لأن الحديث جرى مع صفية . وقوله بدعة غير مسلّم لأن البدعة إحداث ما لم يكن فى عهده ﷺ والأمر هنا ليس كذلك لنقله إقرار الرسول عليها فلا يعتد بقول من عدّها بدعة ، وقد قال المشايخ إنها سوط الشيطان ، وروى أنه رؤى مع الجنيد بن محمد رضى الله عنه سبحة فى يده حال انتهائه فسئل عن ذلك فقال شىء وصلنا به إلى الله تعالى كيف نتركه ولعل هذا أحد معانى قولهم النهاية الرجوع إلى البداية اه كلام السيوطى .

وقال ابن علان وقد افردت المسبحة بجزء لطيف سميته «إيقاد المصابيح لشروعية إتخاذ المسابيح» وأوردت فيه ما يتعلق بها من الأخبار والآثار والاختلاف فى تفضيل الاشتغال بها أو بعقـد الأصابع فى الأذكار ، وقال الشيخ أحمد زورق فى قواعد الصوفية عند ذكره هذا المبحث ما نصه : إن أبا هريرة رضى الله عنه كان له خيط ربط فيه خمسمائة عقدة يسبح به ، قيل والسبحة أعون على الذكر وأدعى للدوام وأجمع للفكر وأقرب للحضور وأعظم للثواب إذ له ثواب أعدادها اه .

وحاصل ذلك أن استعمالها فى أعداد الأذكار الكثيرة التى يلهى الاشتغال

فيها عن التوجه للذكر أفضل من العقد بالأنامل ، ونحوه والعقدُ بالأنامل فيما لا يحصل له فيه ذلك سيما الأذكار عقب الصلوات ونحوها أفضل .

وهنا إشارة ذوقية ، قال بعضهم لمن يذكر الله تعالى بالعدد تذكرُ الله بالحساب وتذنب بالجزاف وتعصيه بلا كتاب ، وقال ابن علان أيضاً في حديث (سبحان الله وبحمده عدد خلقه) إلى آخره وحديث (سبحان الله ملء الميزان) إنه أفضل لأن ما تعدُّه بالنوى أو الحصى قليل تافه بالنسبة إلى ذلك الكثير الذى لا يعلم كنهه إلا اللطيف الخبير ، وقال ابن مالك تبعاً للطيبي لأنه إعتراف بالقصور وأنه لا يقدر أن يحصى ثناءه وفي العدّ إقدام على أنه قادر على الاحصاء ، وتُعقب ابن مالك والطيبي بأنه لا يلزم من هذا العد هذا الإقدام ولا يقدم على هذا المعنى الا العوام كالهوام بل المراد أنه ﷺ أراد أن يرقيها من عالم كثرة الألفاظ والمباني إلى وحدة الحقائق والمعاني وهو خارج عن الأعداد بل متوقف على مداد الامداد والعد في الأذكار يجعل لها شأناً في البال ويخطرها به في كل حال وهذا معيب عند أهل الكمال أى والسبب مطرّح عندهم بكل حال لما مر عن بعضهم في التتميم والله واسع عليم انتهى . ما ذكره ابن علان من مواضع من كتابه المذكور .

قلت وكان لصاحب الراتب قدس الله روحه سبحة ألفيه باقية إلى الآن يقال أنها من نوى المدينة وأخرى حباتها كبار لراتب ليلتى الخميس والاثنين يهلل مع الحاضرين للراتب بعد صلاة العشاء وبعد قراءة الراتب ألف مرة وكفى به في هذا الباب أسوة ، قال العلامة الفاكهى في شرح البداية عند قول الإمام الغزالى وتكررها أى الأذكار والدعوات في مسبحة أى ونحوها من حصى للحديث المشهور «يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة

واعقدن بالأنامل فإنكن مسئولات مستنطقات» رواه أحمد وغيره، لكن المسبحة أولى من حيثية لأن الصوفية يسمونها حبائل الوصل ووردت فيها آثار وأفردها الجلال السيوطى بتأليف وكلام الجنيد سيد الطائفة فيها مشهور، وحسبك تنصيص حجة الإسلام عليها هنا وهو إمام الفقهاء والصوفية فلاشبهة ولا وقفة بعد كلامه رحمه الله، على أن أثر بركتها وتذكارها مشاهد محسوس لمن جربه من المتعبدين فجربه تجده انتهى كلام الفاكهى.

تتمة

«فى ذكر أسماء الأعداد من غير استقصاء للعدد».

اعلم أنه اختلف فى مجرد ذكر أسماء الأعداد باللسان من غير استقصاء للعدد هل يحصل به ثواب مثل الثواب المترتب على العدد المكرر فيكون ثواب من قال بلفظ واحد سبحان الله ألف مرة مثلا كثواب من كرر سبحان الله ألفاً أم لا، قال ابن الطيب فى شرحه على حزب الإمام النووى: الذى مال إليه الشيخ زورق فى قواعده أنه يحصل له ذلك ورجح كثيرون أنه لا يحصل له واختار ابن عرفة أنه يحصل له درجة متوسطة وتبعه على ذلك تلميذه وغيره اهـ وقد بنوا على ذلك الإستغفارات الواردة والصلوات المشهورة وغيرها من الأذكار، فأما القول بحصول الثواب مع اجمال العدد فاعتمده ابن حجر وغيره من أئمة الشافعية وقد صنف فى ترجيحه من المتأخرين العلامة يوسف بن حسين البطاح الأهدل رسالة وأطال فى الإستدلال له والرد على من لم يوافقه من فقهاء عصره وغيرهم، وأصل المسئلة الجارى الخلاف فيها إذا قال المصلى فى سجوده أو ركوعه «سبحان ربى الأعلى» أو «سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثا» بلفظ ثلاثا

مضموماً إلى التسبيح استغناء به عن تكريره ثلاثا هل تبطل الصلاة بذلك أولا وهل يحصل له ثواب من كررها ثلاثا أولا . فأجاب بأنه لا تبطل الصلاة ويحصل له ثواب من كرر هذا الذكر ثلاثا قال وهو الذى يظهر من قواعدنا معشر الشافعية وأخذا من قوله ﷺ فى حديث التسبيح «سبحان الله عدد خلقه» ثم نقل بعده نصوصاً عديدة فى الإستدلال لمراده من اعتماد ترجيح حصول الثواب ، وقد وافق على ذلك كثيرمن أئمة الشافعية كما مر ، فى حاشية الأذكار لابن علان على قول المصنف «لوزنتهن» مالفظه وفى حواشي سنن أبى داود للسيوطى «سئل» الشيخ عز الدين بن عبد السلام عمن يأتى فى التسبيح بلفظ يفيد عدداً كثيراً كقوله : سبحان الله عدد خلقه أو عدد هذا الحصى وهو ألف مثلا هل يستوى أجره فى ذلك وأجر من كرر التسبيح قدر ذلك العدد «فأجاب» قد يكون بعض الأذكار أفضل من بعض لعمومها وشمولها واشتمالها على جميع الأوصاف السلبية والذاتية والفعلية فتكون القليلة من هذا النوع أفضل من الكثيرة من غيره كما جاء فى قوله ﷺ سبحان الله عدد خلقه اهـ . وصريحه أن أجر التكرار إذا اتحد النوع أفضل ولا إشكال فيه بل غيره لا يظهر لئلا يلزم مساواة العمل القليل للعمل الأكثر مع التساوى فى سائر الأوصاف وذلك مما تأباه قواعد الشرع الشريف والله أعلم .

وفى فتاوى الحافظ ابن حجر «سأل» المحقق الجلال المحلى عما ورد من نحو هذا الخبر من حديث صفية رضى الله عنها فقال ما المراد منه حتى يرتفع فضل التسبيح الأقل زمناً على الأكثر زمناً «فأجاب» قد قيل فى الجواب إن لألفاظ الخبر سراً يفضل به على لفظ غيره فمن ثمَّ أطلق على اللفظ القليل أنه أفضل

من اللفظ الكثير ، ويحتمل أن يكون سببه أن معنى اللفظ القليل يشتمل على عدد لا يمكن حصره فما كان منها من الذكر بالنسبة إلى عدد ما ذكر في الخبر قليل جداً فكان أفضل من هذه الحيثية والله أعلم .

وفي شرح الحصن الحصين لابن الحنفي واعلم أن قول سبحان الله وبحمده إذا كان مطلقاً محمول على أول مرتبة وهى الوحدة ، وإذا قيد بقولنا عدد خلقه كان هذا المجمل قائماً مقام المفصل فيقاربه ويساويه وكذا الحال في باقي الأحاديث اهـ .

وسئل الإمام أحمد بن عبدالعزيز النويري بما صورته «هل الأفضل» الإتيان بسبحان الله عشر مرات أو بسبحان الله عدد خلقه مرة «فأجاب» الظاهر أن قوله سبحان الله عدد خلقه مرة أفضل وقد يكون القليل أفضل من العمل الكثير كقصر الصلاة في السفر أى إذا زاد على ثلاث مراحل أفضل من الإتمام مع كون الإتمام أكثر عملا اهـ . وقال ابن حجر في فتاويه من قال اللهم صل على محمد ألف مرة أو عدد خلقه يكتب له بهذا اللفظ الواحد صلاة عدد الألف أو عدد الخلق كما قال ﷺ لبعض نسائه لما رآها تسبح بالحصى لقد قلت كلمة عدلت ماقلتيه سبحان الله وبحمده عدد خلقه الحديث » ، وفي الفتاوى الكبرى له : هل من قال سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلى آخره يعدل في الفضل من يقول ذلك ويعده ألفاً مثلا ؟ «فأجاب» نعم ذلك أفضل من ألوف مؤلفة كما دل عليه الحديث الصحيح انتهى . وفي فتاوى الشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني سئل عن نحو ذلك ، فأجاب بقوله جاء في الأحاديث النبوية مايعدل حصول ذلك الثواب المرتب على العدد المذكور ، وقد أورد جملة من ذلك الحافظ الجزري في عدة الحصن الحصين ، وكذا العلامة ابن

حجر فى باب الصلاة من فتاويه فإنه صرح بذلك وإن تردد فى ذلك الجمال الرملى فى علم الحديث من فتاويه وليس هذا من باب لك من الأجر على قدر نصَبِكَ بل هو من باب زيادة الفضل الواسع والجود العظيم اهـ ، وفى تاج العروس لابن عطاء الله مالفظه : ومن قارب فراغ عمره ويريد أن يستدرك ما فاته فليذكر بالأذكار الجامعة فإنه إذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلا اهـ . ونقل الشيخ على الوفائى الحسنى رحمه الله تعالى عن السخاوى فى القول البديع عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال من حج حجة وغزا بعدها غزوة كتبت غزوته بأربعمائة حجة فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد فأوحى الله تعالى اليه ماصلى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة وهذا من باب فضلى أوليه من أشاء لا من باب أجرك على قدر نصبك فإن للجواد أن يجعل الثواب الجزيل على العمل القليل كما فى بعض سور القرآن فقد ورد أن آية الكرسى تعدل ألف آية وذلك نحو سبعة عشر جزأ ، وكذلك آخر الحشر والتكاثر وورد من قرأ آخر الحشر بعد الاستعاذة ثلاثا صباحا ومساء بعث الله تعالى له سبعين الف ملك يطردون عنه شياطين الإنس والجن الى المساء والصباح ومن قرأ الإخلاص عقب صلاة الغداة قبل أن يتكلم إحدى عشرة مرة لم يدركه ذلك اليوم ذنب وأجير من الشيطان وورد أن سورة الكافرون تعدل ربع القرآن وكذا النصر وأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن وأن الفاتحة تعدل ثلثى القرآن وهى وآية الكرسى يمنعان عين الجن والإنس قراءة وأن الزلزله تعدل نصف القرآن والله تعالى ما أعلمنا بذلك إلا لنتدارك التقصير فى الزمن اليسير فإن العمر وإن طال لا يساوى طول السفر الذى بعده وكلما طال السفر احتاج المسافر فيه إلى زيادة الزاد والله ذو فضل عظيم اهـ .

القول الثانى : فى ذكر دلائل من قال إن مجرد ذكر أسماء الأعداد باللسان من غير استقصاء وتكرير للعدد لا يحصل منه الغرض المطلوب ولا الثواب على العدد المكرر وقد علمت مما مرَّ أن كلام ابن علان والرملى ومن وافقهما دليل لاعتماد هذا القول وأن ابن عرفة توسط فقال يحصل بالإجمال فى الأعداد ثواب أكثر لاثواب من سبح أو صلى مثلا مكرراً لذلك العدد وقال يشهد لما ذكر حديث «من قال سبحان الله وبحمده عدد خلقه» من حيث أن للتسبيح بهذا اللفظ مزية وإلا لم تكن فائدة وأفتى بقريب من قول ابن عرفة صاحب الراتب رضى الله عنه فإنه سئل بما نصه قوله عليه الصلاة والسلام « سبحان الله وبحمده عدد خلقه » إلى آخر الكلمات هل يحصل من الثواب لمن قال فى التكبير والتهليل كذلك فأجاب المنصوص عنه عليه الصلاة والسلام لا يقاس بغيره ولكن إن فعل ذلك عبد مخلص على وجه الرجاء ففضل الله واسع ولا بأس بذلك إن حصل للثواب الموعود على الأول وإلا فلا يخلو ما قيس عليه من ثواب وأجر وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا انتهى من الفتاوى الصوفية .

فقد تقرر من هذين القولين تقرير طريقين يشبهان طريقى الكسب والوهب والسلوك والجذب وهما متلازمتان إذ لابد للسلوك من جذب وللجذب من سلوك بعده بحسب أحوال المتوجهين وتوجه العاملين فأما العلماء العاملون المقررون لأحكام الله المرشدون لعباد الله والطلبة المحصلون لفنون العلوم مع إخلاص الجميع فالذى ينبغى لهم مشاركة أرباب الأذكار فيما يعظم فضله ويضاعف ثوابه منها وكذا من قارب فراغ عمره كما مر عن تاج العروس إذ العالم المشتغل بالتدريس ونشر العلم بتعليم أو تصنيف معدود من الذاكرين الله العاملين بطاعة

الله بل هو أفضلهم كما هو مقرر ومرّت الإشارة إليه فى المقدمة الأولى ومثله الطالب المتجرد لذلك كما ذكر الإمام الغزالى رضى الله عنه فى كتاب ترتيب الأوراد من الاحياء وأما ذوو التبتل والإنقطاع والتجرد للعبادة وسلوك طريق الإرادة فشأنهم الإستغراق فى الذكر والمذكور وليس لهم عنه مناص لا فى الغيبة ولا فى الحضور وقد مرّ فى المقدمة الأولى تفصيل ذلك وإجماله ، وذكر الشيخ على الونائى رحمه الله فى رسالة له فى التوحيد للذكر أربعين فائدة عشرون فى الدنيا وعشرون فى الآخرة وعدّ قريباً مما عدّ الإمام الغزالى فى منهاج العابدين ما يكرم الله به الأولياء المتقين فانظر فيه بل لا تنحصر فوائد الذكر فيما ذكره الشيخ على إنما هو على وجه التقريب للتشويق والترغيب والله سبحانه أعلم .

المقدمة الثالثة

«فى وضع الأئمة العارفين والعلماء الراسخين فى طرائق الذكر وأنواعه المجاميع العديدة من الأحزاب والأوراد والرواتب وغير ذلك من وظائف الطاعات وفى خاصّية هذا الراتب ونفعه وسبب جمعه وتاريخه ومن قرره ولازمه وأثنى عليه»

أما وضع الأئمة العارفين والعلماء العاملين للأوراد والأحزاب والرواتب وغيرها فقد ذكر الشيخ زروق وغيره من شراح أحزاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى والإمام النووى وغيرها أن تقرير ذلك والعمل به صحيح صريح من السنة وشواهده كثيرة وذلك بتقريره عليه الصلاة والسلام لأذكار وأدعية سمعها من كثير من أصحابه مختلفة بألفاظ متباينة ومعان واضحة بلا تقدم تعليم ولا تعلم منه ﷺ فى ألفاظها ، فمن ذلك حديث عبد الله بن بريدة رضى

الله عنه أنه ﷺ سمع رجلا يقول اللهم إنى أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » رواه أبو داود والترمذى وحسَّنه وصححه ابن حبان والحاكم وقال على شرط مسلم » ، ومنها حديث أبى هريرة وأبى أيوب رضى الله عنه فى حفظ تمر مال الصدقة فى حبسهما الجنىَ وحلفه لهما أنه لا يعود فيرسلانه حتى قال له فى المرة الأخيرة ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقال إنى ذاكر لك شيئاً إذا ذكرته فى بيتك لا يقربك شيطان ولا غيره قال وكنا أحرص شىء على الخير فذكر له آية الكرسى فأطلقه وأخبر النبى ﷺ فقال له لقد صدق وهو كذوب ، وحديث أبى سعيد رضى الله عنه فى رقيته الملدوغ بالفاتحة فاعطوا النفر الذين معه قطيع غنم فاخبره ﷺ فقال وما يدريك أنها رقيه حق ، والحديث بطوله فى الصحيحين وفيه أنه قال اضربوا لى معكم بسهم ، وحديث رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال كنا يوماً نصلى وراء النبى ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده فقال رجل وراءه ربَّنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه فلما انصرف قال مَن المتكلم ، قال أنا قال لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أوّل » ، وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رجلا جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلى فقال حين انتهى إلى الصف اللهم آتنى أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال من المتكلم آنفا قال أنا يا رسول الله قال إذاً يعقر جوادك وتستشهد فى سبيل الله تعالى ، فهذه الأحاديث كلها مذكورة ثابتة أوردها الإمام النووى فى كتاب الأذكار وهى شواهد فى الباب وهو عليه الصلاة والسلام مبعوث بالحق مقرر له وآمر به وداع إليه فقد روى أنه سمع يهودية تستعيذ من عذاب

القبر فاستعاذ ﷺ منه فلا يقال أنه ائتسى فى ذلك بها بل إنها لما قالت شيئاً من الحق وافقها عليه .

قال ابن علان فى الكلام على المأثور هل هو ما أُثر عنه ﷺ أو ما أُثر عن صحابى أو تابعى ؟ ذكر فى ذلك خلافاً وقال بعده : وقد قال الشيخ الإمام أبو الحسن البكرى رحمه الله فى شرح مختصر الإيضاح ويتلخص من كلام النووى أن الوارثين من الأولياء إذا خصُّوا ذكراً بوقت أو حال كان سنة فيه وفى مسامحة الفقهاء بذلك نظر أى فيقال فى ذلك لا بأس بكذا لأن فى ثبوت السنة بذلك نظرا غير أن موافقة النووى فى ذلك عندى، أحسن .

وأما حقيقة الحزب والورد والراتب فهو المعمول به تعبداً ونحوه وفى الإصطلاح مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكر والتعوُّذ من الشرِّ وطلب الخير واستفتاح المعارف وحصول العلم مع جمع القلب والهم على الله تعالى ولم يكن فى الصدر الأوّل ولا من بعدهم وضع شئ من ذلك لكن جرت على أيدى الصوفية وصالحى الأمة بحكم التعريف والنقل السديد شغلا للبطالين وإعانة للمريدين وتقوية للمحبين وحرمة للمنتسبين وترقية للمتوجهين من العبّاد والزهاد ذوى الجد والإجتهاد والطاعه والسداد وفتحاً للباب حتى يدخله عوام المؤمنين ثم أن منهم من اقتصر على الوارد ومنهم من زاد عليه من لطائف رقائق المعانى، والطيبات الموارد والمبانى، هذا حاصل ماذكره شراح أحزاب الإمام النووى والشاذلى وغيرها من الأوراد .

وأعلم أنهم قالوا أحزاب المشايخ صفة أحوالهم وصفة منازلهم وميراث علومهم وأعمالهم وبذلك جروا فى كل أمورهم لا بالهوى فلذلك قوبل كلامهم بالقبول وربما جاء بعدهم من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه فعاد ما توجه به عليه بعكسه

وكان كما يحكى أن النحلة علمت الزنبور طرق النسج فنسج على منوالها وصنع بيتاً على مثالها ثم أدعى أن له من الفضيلة ما لها فقالت له هذا البيت وأين العسل، وإنما السر فى السكان لا فى المكان ، وقال بعضهم أحزاب أهل الكمال وأورادهم ممزوجة بأحوالهم مؤيدة بعلومهم مسددة بإلهامهم مصحوبة بكراماتهم فلا يسمع أحد من كلامهم شيئاً إلا وجد له أثراً فى نفسه ما لم يكن مشغولاً بلاوى أو مشغوفاً بدنيا أو مصروفاً بدعوى .

قالوا ولوضع الأحزاب والأوراد شروط : منها — أن يجرى وضع الحزب بحكم الحال لا بالهوى والإختيار الصناعى، وأن يكون سالم اللفظ من الإيهام والإبهام والإشكال لموافقته ألفاظ الشارع ومعانيه ورجوعه لأصوله ومبانيه ، وإنما اشترط أن يكون بحكم الحال لا بالإختيار الصناعى والهوى إلى آخره لأن أرباب صناعة الكلام قد يخترعون كلاماً يضاهى كلام الأولياء العارفين والعلماء الراسخين لكنه لم تكن حقيقته إلا كما مر فى كلام النحلة للزنبور ولهذا قال الإمام الشريف محمد بن الحسن الحسينى الواسطى رحمه الله تعالى « فى مقدمة كتابه المسمى مجمع الأحباب فى مبحث الكلام على أن من لم تثبت ولايته لا يغتر بقوله » ! وسبب ذلك أن الأقوال لا تدل على الولاية فى نقير ولا قطمير فإن الفلاسفة والملاحدة قد تكلموا بأزين تصوف وأحسنه كابن سينا وغيره فلا تعرج على كلام أحد حتى تثبت ولايته عند من له قدم راسخة فى العلم والولاية وقد قال شيخ الإسلام شهاب الدين السهر وروى أن بعضهم يتكلم بالطامات عن قوة نفس وذكاء قريحة وقد قال لابن حمويه وقد دخل عليه بكراس فى كفه صنفه فى علم الحروف وكان الشيخ فى سبحة الضحى وسلم على ركعتين هاتان الركعتان خير مما فى يدك فدل على أنه لا اعتبار بالكلام وأن الإعتماد فى أمر

الولاية إنما هو على العمل على وجه السنة الشريفة على أنها عناية محضة ربانية ولكن الكلام إنما يرد على الأسباب ا هـ .

ومن شروط واضع الحزب كونه ممن يقتدى به لقيامه بحرمة الله تعالى ورسوله ﷺ وصحة أعماله بالسنة والتقوى وتكميل ذلك لشهود المنة وترك الدعوى والرحمة لعباد الله وإحكام أمره بالبصيرة النافذة والعلم الصحيح فكل ذلك شرط للقبول وقد قيل أحزاب المشايخ جامعة بين إفادة العلم وأدب التوجه وتعريف الطريقة وبلوغ الحقيقة وذكر جلال الله وعظمته .

ومن آداب المرتبين لها أن يقدموا الأهم فالأهم والمحافظة على الفرائض والرواتب المؤكده والفروض العينية من علم العقائد وعلم الباطن والعبادات والمعاملات عند الحاجة إليها وروحُ ذلك كله وخاصيَّتُه هو فى الحضور والإخلاص ، قال صاحب الراتب مقصود الأوراد وروحها إنما هو الحضور مع الله تعالى فيها فإذا واظبت على ذلك غشيتك أنوار القُرب وفاضت عليك أنوار المعرفة فعند ذلك يقبل قلبك على الله بكلّيته ويصير الحضور مع الله تعالى سجيةً له وخُلُقاً راسخاً فيه فيصير يتكلف الحضور مع الخلق عند الحاجة إليه وربما لم يقدر عليه وعن هذه تنشأ الغَيْبَة والإستغراق والفناء عما سوى الله تعالى إلى غير ذلك من مواجيد أهل الله وأصل ذلك كله المواظبة على الأعمال الظاهرة والمحافظة عليها ا هـ .

وأعلم أن من المشايخ الذين جمعوا الأحزاب والأوراد مَن اقتصر على الوارد النبوى ومنهم من زاد عليه من جوامع الدعوات وحقائق التوحيد فالقسم الأول كورد الإمام النووى المشهور وورد الشيخ عبد الله الذى فى أذكار الصباح والمساء الصغير وأما الكبير المسمى بمفتاح السعادة والفلاح فهو

مشتمل على الوارد وغيره وكذا الورد الجامع الذى أوله ياالله ياواحد ياأحد ياجواد انفحنى منك بنفحة خير إلى آخره فأكثره من الوارد وشىء فيه من الاحياء كما ذكر ذلك ، وله دعوات مطلقة مشهورة وكلها مستعملة معمول بها منتشرة مرغوب فيها لاسيما من المنتسبين إلى الطريقة الحدادية العلوية وقد قيل إن الكلام صفة المتكلم وإن ما فيك ظهر على فيك وفى حكم ابن عطاء الله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز ، والكلام فى هذا الباب طويل وفيما ذكرناه كفاية وغنية .

ما يتعلق بهذا الراتب

(وأما مايتعلق بهذا الراتب) الشاملة بركاته الكثيرة خيراته وما جاء فى فضله وعموم نفعه وخواصه وانتشار العمل به وترتيبه وما فى بعض أذكاره من رفع الدرجات ومضاعفة الحسنات وتكفير السيئآت فقد (قال) شيخنا الإمام أحمد بن الحسن بن الشيخ عبد الله فى شرحه على الراتب المذكور : وأعلم ، أن إنشاء هذا الراتب المبارك كان سنة إحدى وسبعين وألف ، وسببه أن بعض الفضلاء من أهل حضر موت لما سمع بخروج الزيدية إلى الجهة الحضرمية فى تلك السنة طلب من القطب الحداد نفع الله به أن يملى شيئا من الأذكار النبوية يلهج بها أهل الجهة ويجتمعون عليها ويجعل فيها شيئاً من العقائد الأيمانية ليحصنوا بذلك معتقدهم خوفاً عليهم من تلبيس تلك الفرقة ، ولا سيما على العوام فأملى القطب هذا الراتب واشتهر عند الخاص والعام وكان ابتداء ترتيبه بالحاوى فى مسجده سنة اثنتين وسبعين وألف ؛ حتى قيل له رضى الله عنه أن فى هذه السنة مزية على غيرها فيها رتبتم الراتب وأقمتم الذكر ليلة الجمعة فقال نعم ومنذ اشتهر وهو يُقرأ ويُرتب فى مساجد الجهة الحضرمية وفى

الحرمين الشريفين وفى غالب مساجد أهل الإسلام من اليمن والهند والشام (قال) العارف بالله تعالى محمد بن زين بن سميط باعلوى فى كتابه المسمى «غاية القصد والمراد فى مناقب شيخ البلاد والعباد القطب عبدالله بن علوى الحداد» نفع الله به فى الباب التاسع فى ذكر ما اشتهر عنه من أوراد الصباح والمساء : الورد الرابع من الراتب المشهور كثير الخير والبركة والنور يقرأ بعد صلاة العشاء فى الجمع وبالجهر . كان رضى الله عنه يثنى عليه ويوصى به ويقول راتبنا هذا يحرس البلدة التى يقرأ فيها ، وقال رضى الله عنه من أعرض بظاهره أو باطنه عن أن يقام راتبنا بعد صلاة العشاء لاقى جزاء عمله وناله ما ينال المعرضين عن الذكر الذين أغفل الله قلوبهم ، ووجدت مكتوبا عليه ما صورته هذا راتب مبارك مما فتح الله به على عبده الملتجىء إلى حمى عزته وحرم حضرته عبد الله ابن علوى الحداد ورده فى بعض ليالى رمضان سنة إحدى وسبعين بعد الالف وينبغى أن يرتبه كل مريد صادق سيما إن كان صاحب الراتب واسطة له إلى الله تعالى فإن رتبه بعد صلاة العشاء والصبح فذلك هو الاكمل ويكفى ترتيبه فى اليوم والليلة مرة وأوله أن يحضر قلبه ويستشعر أنه يرى ربه ويقرأ الفاتحة إلى آخر الراتب المذكور (وقال) رضى الله عنه الذى سأل منا الراتب رجل كان يقرأ علينا من بنى سعد يقال له عامر وأقامه بقرية موشح المعروفة من نواحى شبام بإذن منا ولم نقمه نحن إلا فى المحرم من السنة التى انشىء فيها وادركنا به رجلا يقيمه عندنا وأقمناه سنة حججنا فى الحرمين الشريفين وحضره جمع كثير فبقى من ذلك الحين قلت وإقيم بالحرم المكى كل ليلة عند باب الصفا وفى الحرم النبوى عند باب الرحمة انتهى ملخصا من المناقب المذكورة [وقال] الإمام أحمد بن زين بن علوى الحبشى باعلوى فى شرح قصيدة صاحب الراتب المسماة الموارد الروية الهنية عند قوله .

وأذكر الهك ذكراً لا تفارقه

فإنما الذكر كالسلطان في القرب

وقد سمعت بعض أهل الصلاح يقول إن من قرأ اسمَ الجـــلالة بأدب وحضور ويقين ونيّة وأتم الجلالة ألفا لابد أن يظهر له شيء من الأنوار والفتوح «قال الراوي» وقد عمل بذلك أخ لي فظهر له شيء من أنوار الله تعالى اهـ قلت وسمعت شيخنا الإمام عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي الأخير يحكي عن الشيخ العارف محمد بن أبي بكر بانافع وكان من أصحاب سيدنا الشيخ الحسن بن عبد الله الحداد وشيخنا الحامد بن عمر حامد نفعنا الله بهم أنه لما بلغه أن من قرأ الراتب كذلك ظهر له شيء من عالم الملكوت رتبه كذلك مع جماعة من أصحابه فلما كانوا في اثناء الجلالة جعل المكان الذي هم فيه يدور بهم فكفوا عن ذلك يعني ختموا الراتب على مامعهم من الجلالة ثم قال الشارح قال الشيخ العلامة عبد الله بن محمد شراحيل الاشرم في مؤلف له في مناقب القطب الحداد عند ذكره الراتب وبلغني أن صاحب الراتب يقول من واظب عليه رزق حسن الخاتمة أهـ ، ووجدت بخط بعض الفضلاء قيل أن ورود هذا الراتب كان ليلة القدر ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم من سنة التاريخ المتقدمة ، وقال العلامة أحمد بن عبد الكريم الاحسائي وكان قد ورد هذا الراتب على مؤلفه في إحدى ليالي رمضان وكانت ليلة القدر وكان لا يقام بحضرة مؤلفه إلا بعد الفراغ من صلاة العشاء ورواتبها البعدية وأذكارها المرتبة بعد الصلوات وفي شهر رمضان يقدم قراءته قبل صلاة العشاء انتهى هذا حاصل ما ذكره ، وقد وقفت على وصية وأجازة لسيدي العلامة سليمان بن يحيى

بن عمر مقبول الإهدل نفع الله بهم أوصى بها العلامة الأمين بن الطاهر الحكمى يقول وأجزتك فى جميع الأذكار والدعوات والأحزاب والأوراد والصلوات ودلائل الخيرات وحزب النووى وراتب الشيخ السيد القطب الشهير سيدى عبد الله بن علوى الحداد انتهى فتنصيصه بعد التعميم على هذه الثلاثة ومن جملتها الراتب المذكور فيه إشارة واى إشارة ، ونقل عن صاحب الراتب أنه اذن فى قراءة الراتب على غير الصفة التى تقرأ فى مساجده بالحدر وبأن يقرأه الجمع معاً وأن من أراد قراءة راتب الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس يقدمه على راتبه .

وقد مرّ أن أذكار الراتب المذكور خمسة وعشرون ذكرا (وهذا أو ان الشروع فى شرحها) والله المستعان وعليه التكلان .

الذكر الأول

فاتحة الكتاب

ومن أسمائها أم القرآن لأنها جامعة لأسراره ومتضمنة لما فيه ، والكلامُ عليها من وجهين الأول فى معناها والثانى فيما يتعلق بفضائلها وخواصها وأسرارها .

معنى الفاتحة

فأما معناها فهو سرّ لا يتناهى والمقصود هنا الإشارة إلى ما يستحضره قارئها فى صلاته أو غيرها وكفى بفضلها شرفا أنه لا تصح صلاة بدون قراءتها فى كل ركعة ومرّ فى أول الخطبة أن فضل الذكر وثوابه لا يحصل إلا بفهم

معناه ؛ أما تلاوة القرآن فلشرفه والتعبد بتلاوته يحصل ثوابها بفهم وبغير فهم وإنما الكمال وتحصيل التأثير لا يحصل إلا بالتدبر والتفهم .

قال الإمام الغزالى فى كتاب الأربعين الثالث أن تجنى فى تدبرك ثمار المعرفة من أغصانها وتقتبسها من أوطانها ولا تطلب الترياق من حيث تطلب منه الجواهر ولا الجواهر من حيث تطلب منه المسك والعودفان لكل ثمرة غصنا ولكل جوهر معدنا وإنما يتيسر هذا لك بأن تعرف الأصناف العشرة التى حصرنا فيها أقسام القرآن فهى عشرة معادن فما كان يتعلق من القرآن بالله تعالى وصفاته وأفعاله فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة والوحدانية والكبرياء ، وما يتعلق منه بالإرشاد إلى الصراط المستقيم فاقتبس منه معرفة الرحمة والعطف والحكمة وما يتعلق منه بإهلاك الأعداء فاقتبس منه معرفة العزة والإستغناء والقهر والتجبر وما يتعلق بأحوال الأنبياء فاقتبس منه معرفة اللطف والنعمة والفضل والكرم وكذلك تقتبس من كل صنف ما يليق به ولا تنظرن إليها بعين واحدة وشرح ذلك يطول اهـ ، ومن تأمل الفاتحة اقتبس هذه الأنواع منها .

وقال أيضاً فى كتاب الصلاة من الاحياء : وأعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها ، وأما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعانى أولا ثم يخدم اللسانُ قلبه فيترجمه ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو أن يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب اهـ .

ثم قال فى معنى الفاتحة بعد أن صدّر بذلك التعوذ والتحصن بحصن الله

تعالى عن شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال الله تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ لا إله إلا الله حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى والتحصن به من لا معبود له سوى الله عزوجل فاما من اتخذ إلهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله تعالى .

ثم قال وتفصيل ترجمة المعانى أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ، فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله عزّ وجلّ وافهم أن معناها أن الأمور كلّها بالله تعالى وأن المراد ههنا بالاسم هو المسمى فإذا كانت الأمور بالله تعالى فلا جرم كان (الحمدُ لله) ومعناه أن الشكر لله تعالى إذ النعم من الله عزوجل ومن يرى من غير الله عز وجل نعمة أو يقصد غير الله تعالى بشكره لا من حيث إنه مسخر من الله تعالى ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فاذا قلتَ (الرحمنِ الرحيم)، فأحضر فى قلبك أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك (مالكِ يومِ الدّين) أما العظمة فلأنه لا ملكَ إلا لَهُ وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدّد الإخلاص بقولك (إياكَ نعبُدُ) ثم جدّد العجز والإحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك (وإياكَ نستعينُ) وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا باعانته وأن له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان الرجيم اللعين ثم إذا فرعتَ من التعوّذ ومن التفويض بقولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل (أهدِنا الصراط المستقيمَ) الذى يسوقنا إلى جوارك ويفضى بنا إلى مرضاتك وزده شرحاً وتفصيلا وتأكيداً وقل (صراط الذين أنعمتَ عليهم) واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمه من

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين [غـــير المغضوب عليهم] من اليهود [والضالين] من النصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل « آمين » اهـ ما ذكره الإمام الغزالى بتصرف .

ومعانى الفاتحة وهى السبع المثانى لا تتناهى من أوجه التفسير والتعبير كما مر لأنه تعالى خص أولى العلم من البشر من الأنبياء والعلماء والأولياء من أهل الظاهر والباطن كُـلا بعلم خاص به وعلوم المكاشفة والأسرار المتعلقة بعلوم القرآن وغيره لا يجوز إفشاؤها عندهم إلا بإذن أو مع الغلبة كما قيل .

من اطلعوه على سر فبـــاح به   لم يطلعـــوه على الأسرار ما عاشا

وقيل .

سقونى وقالوا لا تغنى ولو سقوا   جبال حُـنَـيْنٍ ماسقـوْنى لـغَنَّـت

ولا تظن أن ما ذكره الغزالى غاية ما عنده بل ذلك إنما جعله تبصرة وهداية لعوام المسلمين ليستحضروا عند قراءة الفاتحة وجها من معانيها العظيمة ليثابوا على قراءتها وهى جامعة لمجامع العبارات والإشارات الدالات على الإله المعبود الحقيقى والموجود الواجب الوجود والإشارة إلى صفة من اختاره نسخة للوجود الذى سميت باسمه الأعلام وجرت بمعارفه الأقلام فقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) من معانيه بى كان ما كان وبى يكون ما يكون واسم علمٌ على الذات العلية مشتق من الألوهية ومتصف بالرحمانية والرحيمية اللذين هما مادة الإيجاد والإمداد وبهما أدامة النعم واستمرارها فى المعاش والمعاد وأردفا باسم الربوبية الدال على الإيجاد أيضا وعلى التربية والتدبير لعاجل النعم وآجلها ومفضولها وفاضلها قليلها وكثيرها جليلها وحقيرها وفى تصوير الإنسان وغيره من الحيوان وابداع الأكوان على ما فيها من عجائب الصنع وأفنان الصور واختلاف الألسن والألوان المشار إلى ما أجمله فيها بقوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

فمن هذا شأنه العظيم ووصفه القديم مستحق أولا للحمد لذاته وقد
قال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده
ومستحق أيضاً للشكر الذى هو اعتقاد الجنان وعمل الأركان والنطق باللسان .
ومستحق للعبادة التى هى فرع عن الشكر والحمد فعلّم عباده أن يقولوا
فى أفضل عباداتهم وأجمع توجهاتهم إياك نعبد أى إنك تستحق عبادتنا لألوهيتك
واستحقاقك الحمد وللربوبية والرحمة المقتضية لأفاضة النعم من تيار بحر الجود
والكرم بلا وجوب عليك بحال ، وكرر الإسمين الشريفين الدالين
على ما مر لشمول دلالتهما على النعم الباطنة والظاهرة فى دار الدنيا وفى
الآخرة ،وخص بأنه مالك يوم الدين وملكه لكونه يوم الجزاء القائل فيه لمن
الملك اليوم وليتذكر عباده ما فى هذا اليوم العظيم من الأهوال ووضع الموازين
القسط والحساب على النقير والقطمير وعلى القليل والكثير ليخلصوا العبادة
والعبودية له تعالى ويرجوا رحمته فى ذلك اليوم ويخافوا عذابه فان لمن خاف
مقام ربه جنّتين وأنه تعالى لا يجمع المؤمن أمنين ولا خوفين بل من خافه
فى الدنيا أمنه فى ذلك اليوم ومن أمنه فى الدنيا أخافه فى الآخرة كما فى الحديث
ثم لما كان من شأن العارف الاستغراق فى شأن الإله العظيم وإدرار رحماته
وسوابغ نعمه وفى التأمل فى أسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على
عظم شأنه وباهر سلطانه والاشتغال بمحامده والثناء عليه فكأنه بعد ما عاد
من الغيبة إلى الحضور ومن الذكر إلى المذكور ومن البرهان إلى العيان
والشهود والقرب من حضرة الدنو بالركوع والسجود قال حينئذ (إياك نعبد
وإياك نستعين) فالعبادة أقصى غايات الخضوع ،وطلبُ الإعانة عليها مع الوحدة
والجوع أقصى مراتب الاعتراف بالعجز إذ لا قدرة للعبد على ما ندبه مولاه
إليه إلا بإعانته عليه وتوفيقه له وتقريبه لديه ،وقيل: إياك نعبد شريعة وإياك نستعين

حقيقة ، ولذلك كان الموحد العارف يقول حالا ومقالا — فى أول مباديه أُصلى لله ثم عند نظره إلى قيامه بربه وبما أفاده به من أياديه يقول أصلى بالله ثم عند فنائه به يقول صلى الله لى ولكل وجهة هو موليها ولكل درجات مما عملوا ، ومعنى الأخيرة نستعين بك فى العبادات وغيرها من جميع المهمات ، وقدم ضمير الفصل فى الأول والثانى للتعظيم وللدلالة على قصر العبادة عليه واختصاصها به وكذا فى الاستعانة لأنه تعالى يُعبَد ولا يُعبَد غيره ويُستعان به ولا يُستعان بسواه (قال الإمام) القاضى ناصر الدين فى تفسيره : وتقديم ما هو مقدم فى الوجود أى الضمير العائد إليه تعالى للتنبيه على أن العابد ينبغى أن يكون نظره إلى المعبود أولا وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه ووصلة بينه وبين الحق فإن العارف إنما يتحقق نظره إلى وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى أنه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها إلا من حيث إنها ملاحظة له ومنتسبة إليه ، ولذلك فُضِّل ما حكى الله عن حبيبه حين قال (لا تحزن إن الله معنا) على ما حكاه عن كليمه حيث قال (إن معى ربى سيهدين) ، وقال أيضا فى التعبير بنون الجمع فى قوله إياك نعبد وإياك نستعين ، والضميرُ المستكن فى الفعلين للقارىء ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحدين إنه أدرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم فى إياك نعبد وخلط حاجته بحاجتهم فى إياك نستعين لعل أن تقبل ببركتها وتجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة انتهى .

وقدمت العبادة على الاستعانة ليعلم أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (ومن أعظم المطالب ومهمات الرغائب) طلب الإعانة على الهداية إلى الصراط المستقيم من الله الهادى إلى الحق بأنه تعالى فقالوا (إهدنا الصراط

المستقيم) أى دلنا وأرشدنا إلى طريق الحق والعمل بالخير والمصالح الدينية الموصلة إلى الفوز والنجاة عند لقائك فى الدار الآخرة وثبتنا عنده — بواسطة الثبات على صراط الشريعة ومعالم الدين التى هى أشق على النفس من معاناة غيرها من أمور الدنيا — على الصراط الممدود على متن جهنم الذى هو أدق من الشعر وأحدُّ من السيف فإن من استقام على صراط الشريعة الاستقامة المشروحة فى الكتاب والسنة عبَر ذلك الصراط كالبرق أو كالجواد المسرع أو كعدو الرجل أو مشيه أو حبوه بحسب استقامته على هذا الصراط صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض .

وهذا ينقسم إلى صراط عام وإلى صراط خاص فأما الصراط العام فهو إتباع سبيل المؤمنين من أصحاب اليمين الذين لهم من معنى البر والتقوى نصيب بامتثال الأوامر واجتناب المناهى من الصغائر والكبائر ، وأما صراط الخواص وهم المقربون الأبرار والصفوة الأخيار فهو ماساروا عليه لمحق ظلمات النفوس وبذلوا فى ذاته كل نفيس ومنفوس فعبادتهم عبادة تعظيم وإجلال وتعلُّق بذلك الجمال كما فى حديث « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » وهم الذين قال لهم « أنتم عبيدى حقاً » ثم بين هذا الصراط المطلوب الهداية إليه فقال على لسان حال أهله الذين غمرهم بعَلِّ الهدى ونَهَله (صراط الذين أنعمت عليهم) أى بالنعم الوهبية والكسبية والدنيوية والأخروية والسماوية والأرضية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إلى الارتقاء إلى عليين ثم استثنى مستعيناً به تعالى أن يسلك به صراط المغضوب عليهم وهم اليهود والضالين وهم النصارى فقال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وفسر بما هو أعم من ذلك وهو مناسب لحال الطالب للسلامة من سلوك طريق كل فريق مخالف وهو أن المغضوب عليهم — العصاة من مسلمين وكفار

والضالين ــ الجاهلون بالله تعالى من فجار وأغمار ــ آمين ــ ومعنى آمين استجب يا الله. ورد أنه عليه الصلاة والسلام إذا قرأ ولا الضالين قال «آمين» ورفع بها صوته. وهو محمول على القراءة الجهرية فى الصلاة وغيرها، وقال على رضى الله تعالى عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده وهو مأخوذ من قوله ﷺ علمنى جبريل عليه السلام آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال أنه كالختم على الكتاب واتفقوا على أنها ليست من الفاتحة .

فضل الفاتحة

وأما فضلها وفضل البسملة فمن مجموع أخبار أوردها الجلال السيوطى فى كتابه الدر المنثور فهى الفاتحة وأم القرآن وأم الكتاب وهى السبع المثانى وهى القرآن العظيم، وكان سفيان بن عيينة يسميها الواقية، وسئل عبدالله بن يحيى ابن أبى كثير عن قراءتها خلف الإمام فقال هى الكافية قيل وما الكافية؟ قال أما علمت أنها تكفى عن سواها ولا يكفى سواها عنها، وأخرج الثعلبى عن الشعبى أن رجلا شكى إليه وجع الخاصرة فقال عليك بأساس القرآن قال وما أساس القرآن؟ قال فاتحة الكتاب، وعنه ﷺ أنه قال لرجل لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن فسأله عنها فقال «الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته» وأنه قال لأبى بن كعب فى حديثه الذى ناداه وهو يصلى فلم يجبه فقال «مامنعك إذ دعوتك أن تجيبنى فقال يارسول الله كنت فى الصلاة قال ألم تجد فيما أوحى الله إلى أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا أعود إن شاء الله قال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها؟ قال نعم يارسول الله فقال

رسول الله ﷺ كيف تقرأ في الصلاة؟ فقلت بأم القرآن فقال والذى نفسى بيده ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها وإنها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته» وفى رواية عن أبى هريرة « وإنها مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل» وقال فى حديث السرية لما رقوا بها الملدوغ وأعطوهم قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة « إنها رقية حق اقتسموها واضربوا لى معكم بسهم وإنها شفاء من كل داء» وفى أخرى من السم ، وعن أنس رضى الله عنه أنه قال له ﷺ « إذا وضعت جنبك على الفرش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شىء إلا الموت» وفى أخرى «من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن» وعن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال «إن الله تعالى فيما منّ به على قال إنى أعطيتك فاتحة الكتاب وهى من كنوز عرشى ثم قسمتها بينى وبينك نصفين» قال وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن الحسن قال أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع التوراة المفصل ثم أودع المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزله وفى حديث آخر إن الملائكة لا تقرأ من القرآن إلا الفاتحة وأن قراءة القرآن خاصة بالبشر دون الملائكة وأنهم حريصون على سماعه من الإنس ، وأما فضل البسملة فعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جُنّة من كل واحد ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً أن المعلم إذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب للمعلم وللصبى ولأبويه براءة من النار اهـ. ملخصاً وفى كتاب نزهة المجالس — للعلامة مفتى الأنام أبى هريرة عبد الرحمن ابن زين الدين عبد السلام بن بهان الصفورى الشافعى رحمه الله — فى كتاب

عظة الألباب الباء من بسم الله بابه والسين سلامه والميم إنعامه وقيل الباء بركته والسين ستره والميم معرفته وفى غيره الله علام الغيوب الرحمن كشاف الكروب الرحيم غفار الذنوب وقيل الله مجيبُ الدعوات الرحمن منزل البركات الرحيم يعفو عن السيئآت (لطيفة) افتتح الله كتابه بثلاثة أسماء والخلق ثلاثة أقسام ظالم ومقتصد وسابق فالله للسابقين والرحمن للمقتصدين والرحيم للظالمين ، وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الفخر الرازى والإشارة فى ذلك أنه إذ صار هذا الإسم حجاباً لك من أعدائك فى الدنيا أفلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية وقال الشعبى لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على آدم عليه السلام قال الآن أمنت على ذريتى من العذاب فلما مات ارتفعت فلما نزلت على نوح عليه السلام نجا بها من الغرق ثم ارتفعت بعد موته ثم نزلت على إبراهيم عليه السلام فصارت النار عليه برداً وسلاما ثم نزلت على سليمان عليه السلام فاستقام به ملكه ثم ارتفعت ثم نزلت على موسى عليه السلام فسلم من البحر ثم ارتفعت ثم نزلت على عيسى عليه السلام فأوحى الله تعالى اليه قد أنزلت عليك آية الأمان فلما رفعه الله ارتفعت ثم نزلت على المصطفى ﷺ وهى باقية إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة يأخذ المؤمن كتابه بيمينه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم فإذا هو أبيض لا شىء فيه فيقال إنه كان مملوءاً من السيئات ولكنه محته بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال القرطبى البسملة(١) من خصائص هذه الأمة ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما اجلال القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح القرآن بسم الله الرحمن الرحيم اه .

---

(١) أى إنزالها فى الكتاب المنزل .

وجميع مافي القرآن من التحميد والتمجيد والثناء تحت قوله (الحمد لله) وجميع مافيه من أسمائه الحسنى وصفاته العليا تحت قوله (رب) وجميع مافيه من ذكر المخلوقين تحت قوله (العالمين) وجميع مافيـه من العفو والغفران تحت قوله [الرحمن الرحيم] وجميع مافيه من الوعيد وذكر القيامة تحت قوله (مالك يوم الدين) وجميع مافيه من الطاعة والعبادة تحت قوله (إياك نعبد) وجميع مافيه من السؤال والتضرع تحت قوله (وإياك نستعين) وجميع مافيه من سؤال الهداية وخوف الخاتمة تحت قوله (إهدنا) وجميع مافيه من الإنعام والإكرام وذكر المقربين تحت قوله (الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم)وجميع مافيـه من ذكر الـكافرين تحت قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

ورأيت في سراج القلوب لابن الجوزى رحمـه الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال لى جبريل عليه السلام إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك إذا وقف العبد بين يدىّ للصلاة وقال « الله أكبر » رفع الحجاب الذى بينى وبينه ، وإذا قال « الحمد لله » يقول الله تعالى لمن الحمد ؟ فيقول لله فيقول ومن الله ؟ فيقول « ربِّ العالمين » فيقول ومن رب العالمين ؟ فيقول « الرحمن الرحيم » فيقول ومن الرحمن الرحيم ؟ فيقول « مالك يوم الدين » فيقول ياعبدى ومن مالك يوم الدين ؟ فيقول العبد « إياك نعبد وإياك نستعين » فيقول ياعبدى إذا كنتَ إياى تعبد وإياى تستعين سلْ تعـط فيقول « اهدنا » فيقول أىَّ الهدى تريد ؟ فيقول « الصراط المستقيم » فيقول تعالى أىَّ الصراط تريد ؟ فيقول « صراط الذين أنعمت عليهم » فيقول تعالى ياملائكتى اشهدوا أنى جعلت عبـدى من الذين أنعمت عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين فيقول العبد « غيرِ

المغضوب عليهم ولا الضالين » فيقول الله تعالى اشهدوا أنى قد جعلته من الذين أنعمت عليهم ولم أجعله من المغضوب عليهم ولا الضالين فيقول العبد « آمين » فتقول الملائكة آمين(١) .

وذكر الثعلبي فى تفسيره أن « آمين » كنز من كنوز الجنة لا يعلم تأويله إلا الله ويستنزل به الرحمة ، وقيل هى درجة فى الجنة تجب لقائلها اه ونقل ابن الملقن أنها طابع الله تعالى على عباده يدفع عنهم الآفات اه .

لطيفة

قال النيسابورى وغيره أسقط الله تعالى من الفاتحة سبعة أحرف « الثاء » من الثبور وهو الهلاك « والجيم » من جهنم « والخاء » من الخزى « والزاى » من الزفير « والشين » من الشهيق « والظاء » من اللظى « والفاء » من الفراق يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما أسقطها غلب على الظن أنّ من قرأها خلّصه الله تعالى من أبواب جهنم السبعة ولأن آياتها سبع أيضا .

وفى الحديث الصحيح قسمت الصلاة بينى وبين عبدى فإذا قال العبد « بسم الله الرحمن الرحيم » قال أثنى علىّ عبدى وإذا قال العبد « الحمد لله رب العالمين » قال حمدنى عبدى فإذا قال العبد « مالك يوم الدين » قال فوض إلىّ عبدى وإذا قال « إياك نعبد وإياك نستعين » قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل وإذا قال « اهدنا الصراط المستقيم » إلى آخرها قال تعالى هذا لعبدى ولعبدى ما سأل اه.

---

(١) كلمة «أمين» ليست من القرآن؛ بالاجماع ومعناها استجب كما تقدم .

تتمة

ذكر القرطبي فضل الوصل بين البسملة والحمدلة ، وهو من الأسرار التى تعرف بالكشف ولا تحتمل الجدل وقد ذكره الشيخ الاكبر فى كتاب الوصايا من فتوحاته ونقله عنه الشيخ حسين بن عبد الشكور المدنى فى كتابه « الفيوضات الحسنى من مشاهدة الحبيب الأسنى » . وذكره العارف بالله شهاب الدين احمد بن محمد بن يونس الدجانى فى كتابه « الترغيب فى مزيد فضل الله القريب المجيب » .

وقد ذكرت فى تكملة شرح فتح المعين أن وصل البسملة بالحمدلة فى قراءة الفاتحة فى الصلاة هو المنقول فى المذهب وأن ما فى التحفة من الوقف على رءوس الآى حتى البسملة مختار من حيث الدليل ، وعلوم الفاتحة لا تتناهى وسرها لا يساوى ولا يضاهى والله أعلم ، وسيأتى فى آخر شرح هذا الراتب عند ذكر ترتيب الفواتح فوائد تتعلق بالفاتحة وسرها وشمول بركتها وترتيبها فى المهمات .

الذكر الثانى

آية الكرسى العظيمة الخطر الجامعة لقارئها كل أمل ووطر

والكلام عليها من وجهين (الأول) فى بيان معناها (والثانى) فى فضلها وخصوصياتها .

فأما معناها فقوله تعالى (اللهُ) أى المعبود القاهر فوق عباده الواجب الوجود لذاته المنزه عما لا يليق به من شوائب النقص وسماتة الغنى عما سواه

المفتقر إليه كل ما عداه ، وهو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) فهو سبحانه المنفرد بالألوهية وهو المستحق وحده للعبودية (الحىُّ) أى دائم البقاء، وحياتُه تعالى هى الحياة الحقة الكاملة المطلقة، ومن صفاته العلية العلم التام والإحاطة الشاملة بالكليات والجزئيات وبما كان وما يكون وبخائنة الأعين وما تخفى الصدور والقدرةُ الكاملة على كل ممكن إيجاداً وإعداماً فى كل الشؤون والأحوال والذوات والصفات والإرادةُ والسمع والبصر والكلام والإحياء والإماتة وسائر ما سمى به نفسه ووصف به ذاته من الأسماء الحسنى والصفات العلية ولا يكون كذلك الا إذا كان حياً — وقد وصف تعالى نفسه فى الآية بالحى معرفا باللام لافادة أن حياته هى الحياة الحقيقية وكل حياة غيرها فهى مجاز إذ هى مستمدة من حياته ولا قيام لها إلا بها .

* * *

فهو سبحانه المحى والمميت والباعث للأرواح والأشباح وهو المنشىء للعوالم النشأة الأولى فى الدنيا والأخرى فى الآخرة وله تعالى فى كل نشأة منها نشآت . قال حجة الإسلام الغزالى : إن للإنسان نشآت كثيرة ولذلك قال الله تعالى « وننشئكم فيما لا تعلمون » وقال بعد خلق النطفة والعلقة والمضغة وغير ذلك «أنشأناه خلقاً آخر» بل النطفة نشأت من التراب والعلقة نشأت من النطفة والمضغة نشأت من العلقة والروح نشأت من المضغة ولشرف نشأة الروح وجلالها وكونها أمراً ربانيا قال عند ذلك (ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين) وقال تعالى (ويسألونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربى) ثم خَلْقُ الإدراكات الحسية بعد خلق الأرواح نشأةٌ أخرى ثم خَلْق التمييز الذى يظهر بعد سبع سنين نشأةٌ أخرى ثم خلْقُ العقل بعد

خمس عشرة سنة أو ما يقاربها نشأةٌ أخرى وكلٌّ نشأة طورٌ وقد خلقكم أطواراً، ثم ظهور خاصية الولاية لمن رزق تلك الخاصية نشأةٌ أخرى، ثم ظهور خاصية النبوة نشأةٌ أخرى، وهو نوع من البعث وهو تعالى باعث الرسل كما هو باعث الموتى يوم النشور، وكما أنه يعسر على من فى المهد فهم حقيقة التمييز قبل حصول التمييز يعسر على المميز فهم حقيقة العقل وما ينكشف به فى طوره من العجائب قبل حصول العقل كتعسر فهم طور الولاية والنبوة فى طور العقل المجرد فإن الولاية طور كمال وراء نشأة التمييز، والتمييز طور كمال وراء نشأة الحواس، وكما أنّ من طباع أكثر الناس إنكار مالم يبلغوه ولم ينالوه حتى أن الواحد منهم قد ينكر مالم يشاهده ولم يحصل له ولا يؤمن بما غاب عنه فمن طباعهم إنكار الولاية وعجائبها والنبوة وغرائبها بل من طباعهم إنكار النشأة الثانية فى الحياة الآخرة لأنهم لم يبلغوها بعد، ولو عرض طور العقل وعالمه وما يظهر فيه من العجائب على المميز لأنكره وجحده وأحال وجوده فمن آمن بشىء مما لم يبلغه فقد آمن بالغيب وذلك مفتاح السعادات، وكما أن طور العقل وإدراكاته وإنشاءاته بعيد المناسبة عن الإدراكات التى قبله كذلك النشأة الأخرى بل هى أبعد فلا ينبغى أن تقاس النشأة الأولى بالأخرى إذ لامناسبة بين النشأتين إلا من حيث الإسم فمن لم يعرف النشأة الأخرى والبعث لم يعرف اسم الباعث وشرح ذلك يطول فلنتجاوزه اهـ. بتصرف.

فتأمل رحمك الله تعالى فيما حققه هذا الإمام قدس الله روحه فيما هو شأن الحي المطلق المحي المميت الباعث المبدئ المعيد الذى له العلوم الكاملة ومظاهر الإحياء والإماتة فى جميع تطورات الإنسان الذى هو نسخة الوجود وأن

الحى من أحياه الحياة الطيبة والميت من أقصاه عن حضرة المعرفة به ، ولهذا قال رضى الله عنه بعد ما تقدم (**تنبيه**) حقيقة البعث ترجع إلى إحياء الموتى بإنشائهم نشأة أخرى ، والجهل هو الموت الأكبر ، والعلم هو الحياة الأشرف وقد ذكر الله تعالى الجهل والعلم فى كتابه العزيز وسماهما حياة وموتا فمن رقى غيره من الجهل إلى المعرفة فقد أنشأه نشأة أخرى وأحياه حياة طيبة أخرى فإن كان للعبد مدخل فى إفادة الخلق ودعائهم إلى الله تعالى فذلك نوع من الإحياء وهى رتبة الأنبياء ومن يرثهم من العلماء انتهى .

ثم لما كان من شأن الألوهية الحياة المطلقة وبها حياة كل شىء ناسب أن تتصف بالقيومية فقال تعالى (القَيُّومُ) أى القائم بتدبير ما خلقه وبحفظه ، ولا يتصور للأشياء وجود إلا به تعالى لأنه قِوامها وقِوامه تعالى بذاته وقِوام كل شىء به ولا يصح هذا إلا للإله الحى القيوم .

ولما كان الحى القيوم لاتعتريه صفات الحدوث والنقص والتغير عما هو عليه من الحفظ لما خلق والتدبير للعوالم ومن فيها وما فيها بحيث لو أعرض عنها لفتة ناظر لاضمحلت وتلاشت وهلكت — أخبر تعالى أنه تقدس بذاته عن الغفلة والفتور قال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) أى عما يعامله العبد به من خير وشر وطاعة ومعصية (وهو معكم أينما كنتم) أى بالعلم والإحاطة وفى مقام القيومية بالتدبير والحفظ فى جميع الأطوار فهو قائم بأمورهم مُمِدُّهم فيها وقال : [لاتأخذه سِنَةٌ ولا نَوْمٌ] قال الإمام المناوى فى كتابه التوقيف فى مهمات التعاريف « السنة » بالكسر مجال النعاس فى العينين قبل أن يستغرق الحواس ويخامر العقل « والنوم » حالة طبيعية تتعطل معها

القوى تسير في البخار إلى الدِّماغ ، وفي الصباح غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء ، ولذلك قيل انه آفة لأن النوم أخ الموت ، وقال البيضاوى والنوم حال يعرض من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً اهـ والجملة نفي للتشبيه وتنزيه له تعالى أن يكون له مثل ما للأحياء المخلوقة .

فالحياة والقيومية الثابتان له تعالى لما كان من مقتضياتهما الحفظ والتدبير التام ناسب أن ينزها عن سمات النقص والقصور في ذلك بنحو النوم والسِّنة .

واعلم أن من كمالاته تعالى تستمد كمالات الأنبياء والأولياء فمن كمالاته ﷺ أن عينه تنام وقلبه لا ينام فهو يقظان في جميع حالاته ففي الحديث إنما أُنَسَّى لأشرع ، وكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم والملائكة فإنهم أُعطوا نوعاً من الحفظ والتدبير لأنفسهم ولغيرهم كما مرّ عن الحجة الغزالى أن من رقى غيره من الجهل إلى المعرفة فقد أنشأه نشأة أخرى وكذا منحوا الكشف والإطلاع على اختلاف مراتبهم في القرب والبعد ، فأعلى المراتب في ذلك للملائكة قال الإمام الغزالى وأما الملك فدرجته أعلى درجات المخلوقات لأنه عبارة عن موجود لا يُؤَثِّر القربُ والبعد في إدراكه بل لا يقتصر إدراكه على ما يتصور فيه القرب والبعد إذ البعد والقرب يتصور في الأجسام والأجسام أخس أقسام الموجودات ثم هو أى الملك بمعزل عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضى الشهوة والغضب بل داعية الأفعال أمر أجل من الشهوة والغضب وهو طلب القرب إلى الله تعالى اهـ ، ثم فصل الفرق بين الإنسان والبهائم بأن الإنسان درجة بين الدرجتين فمن فنيت شهوته وغضبه التحق بأفق الملائكة ومن قويتا فيه التحق بالبهائم ، ولانتزاع الشهوة والغضب وانتفائهما عن الملائكة كانوا لا تأخذهم

سنة ولا نوم ولا فتور ولا غفلة عن ذكر الله وجازت الأعراض البشرية على الأنبياء والرسل لكونهم لا يطيقون معاناة الخلق ودعوتهم إلى الله تعالى وإلى توحيده وطاعته الذى به نجاتهم وفوزهم إلا بالرجوع إلى البشرية .

وإذا كان هذا الإله الحى القيوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم فهو الذى [له ما فى السموات وما فى الأرض] ففى هذه الجملة تقرير لقيوميته واحتجاج لتفرده بالالوهية فله العوالم كلها السموات والأرض وما فيهما وما بينهما خلْقا وملْكا وتصريفا فهو خالق ذلك وإلهه ومدبره وحافظه ومظهره إذ لم يظهر إلا بتجلى نوره «الله نور السموات والأرض» ولولا ظهور نوره فيه وعليه لما ظهر شيء ولا يكون شيء ، وخص السموات والأرض بالذكر لأنهما من عالم المُلْك مرئيان للثقلين وإلا فهما بالنسبة إلى ما عداهما من العوالم المخلوقة له تعالى كنسبة القِشر إلى اللُّب كما ستأتى الإشارة إلى ذلك عند ذكر الكرسى .

وإذا كان هو الإله القاهر فوق عباده وهو مالِك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن فـ (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) لعظم شأن كبريائه وتعاليه عن أن يدانيه أو يساويه غيره فلا يقدر أحد أن يدفع ما يريده تعالى بشفاعة أو غيرها إلا بإذنه .

ومن شأن هذا الإله وحقيقة ما يتصف به أن يعلم جميع شؤونهم ولذا قال تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلْفهم) أى جميع ما هو سابق من أفعالهم وأعمالهم وما هو لاحق سواء كان متقدماً أو متأخراً فى النشأة المار ذكرها جميعها وفى أطوار الدنيا والآخرة لأن ذلك سابق فى علمه وعلمُه قديم فقد أحاط بكل شيء علماً ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

ولما كانت السموات والأرض فيهما العقلاء من الملائكة والأنبياء وغيرهم وهى وهم له ملكا وخلقا وتصريفا أخبر أولا بأنه لم يكن منهم أحد يشفع عنده إلا بإذنه وقال ثانياً (ولا يحيطون بشىء من علمه) أى من معلوماته (إلا بما شاء) أن يعلموه فهو منفرد بالعلم الذاتى التام المحيط بكل شىء كما قال تعالى « فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول » ، ثم لما نسب إلى نفسه عالم السموات والأرض بتصدير الجملة بلام الملك نبه العقلاء منهم إلى أن له من عوالمه ما هو أعظم منهما فقال تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) وهو كما ذهب إليه بعض المفسرين مجرد تمثيل وتصوير لعظمته تعالى وسعة سلطانه كقوله « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » وأنه لا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد ولا قعود ، وقيل أن الكرسى جسم بين يدى العرش وهو كالكرسى الذى يضع عليه الملوك أرجلهم عند جلوسهم على السرير ، وقول ثالث أنه كناية عن علمه المحيط بكل شىء ، والثلاثة الأقوال حقيقتها ومجازها كلها تشير إلى عظمة الإله الحى القيوم ، فعلى القول بأنه جسم فهو عالم محيط بالسموات والأرض والعرش محيط به فهو أعظم منه لقوله عليه الصلاة والسلام «ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسى إلا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» وفى الدر المنثور عن عكرمة قال : الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزءا من نور العرش اهـ. قال الشيخ عقيلة فى كتابه المسمى نسخة الوجود وهو بالنسبة إلى اللوح جزء من سبعين جزءاً واللوح بالنسبة إلى القلم كذلك والقلم بالنسبة إلى الحقيقة الكلية كذلك فانظر إلى هذه السعة العظيمة ، وهذا العرش له أربعة قوائم تحمله أربعة من الملائكة العظام لا يقدر على عظمهم وكبرهم

إلا الله سبحانه وتعالى ، وألقى عليه سبعين ألف حجاب من النور والظلمة ، وهذه المرتبة فيها من الملائكة المعروفة المشهورة إسرافيل عليه السلام وباقى الملائكة مرتبتهم ما تحت الكرسى إلى ما تحت ذلك من العوالم وليس لمن له المرتبة السفلى الصعود فلو تقدم عن مرتبته قدماً لاحترق، ثم ذكر إيجاد الكرسى المذكور وقال بعده (واعلم) أن هذا الكرسى عالم عظيم ومُلك جليل وهو فى الأصل عبارة عن السرير الصغير الذى تحت العرش لتدلى أقدام الجالس على العرش عليه والعرش عبارة عن السرير العظيم والكرسى دونه يوضع تحت العرش .

[واعلم] أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل العرش ولا الكرسى لحاجة الجلوس عليه والإستقرار فيه بل أوجدهما سبحانه وتعالى لتعريف عظمته وجلاله وكبريائه فإنه عزّ شأنه لو استوى على العرش والكرسى استواء استقرار وجلوس للزم من ذلك التحديد والجهة وهو متعال عن ذلك فإنه لا تحده الجهات ولا تحصره الأماكن والذوات بل هو محيط بسائر الكليات والجزئيات لا يوصف بالعلو ولا السفل ، بل له استغراق سائر الأماكن والأزمان وإنما له تجل عظيم فى العرش والكرسى والتجلى غير الذات والإستقرار فاياك والغلط ،وقد وكل الله تعالى بحفظ العرش والكرسى من الأملاك والأرواح ما لا يحصى عددهم إلا هو سبحانه فما من موضع من العرش والكرسى إلا وهو مملوء بهؤلاء العوالم، وفى هذين الموضعين طائفة عظيمة من الأملاك يسمون العالين مستغرقين فى جمال تجلى الصانع جل وعلا لا يشعرون بشيء منذ خلقهم الله تعالى إلى أن يفنيهم هائمين طائفين حول العرش والكرسى لا يستقرون منذ وجدوا إلى أن يفنوا [وأعلم] أن العوالم الخمسة التى هى العقل الكلى الموجود من نور

الذات ويسمى بالروح الكلى وبالحقيقة المحمدية وبالعرش الأكبر ثم القلم واللوح والعرش والكرسى هى عالم الأمر وماعداها من الموجودات هو عالم الخلق ولله الخلق والأمر اه [وأمّا] السموات والأرض التى وسعها الكرسى [فقد نقل] السجاعى عن صاحب غرر التفسير أنه قال السماء جمع سموات وهى جمع سماوة كجرادة وجرادات وجراد ، وقال المحقق حسن الفنارى : المحققون على أن السماء المظلة للأرض مؤنثة لا غير ، ولهذا وجهوا قوله تعالى «السماء منفطر» بوجوه منها أنه بمعنى ذات انفطار وجمعها سموات لا غير (أما) السماء بمعنى المطر فيذكر ويؤنث والأغلب التأنيث وذكر أقوالا فى جمعها وتذكيرها وتأنيثها ثم قال وأخرج الإمام أحمد فى مسنده وابو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم وابن أبى عاصم فى مسنده وابو الشيخ وابو يعلى وابن خزيمة والطبرانى عن العباس بن عبد المطلب قال كنا عندالنبى ﷺ فقال أتدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائةعام وكثْف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين وركهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرشُ وبين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ذكره السيوطى فى الهيئة السنية .

وما فى الآية من أن السموات سبع لا ينافى قول الحكماء إن الأفلاك تسعة إذ ليس فيها نفى الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسى لم يبق خلاف كما ذكره القاضى ، والتسعة هى فلك الأفلاك ويسمى بالفلك الأطلس عندهم لكونه غير مكوكب وهو المسمى فى لسان الشرع بالعرش المجيد ثم فلك الثوابت سمى بذلك لثبوت الكواكب فيه غير السبعة السيارة وهو

المسمى فى لسان الشرع بالكرسى ثم فلك زحل ثم فلك المشترى ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس ثم فلك الزهرة ثم فلك عطارد ثم فلك القمر وهو المسمى فى لسان الشرع بالسماء الدنيا وهى أفضل من الأرض ما عدا البقعة التى ضمت حضرته الشريفة ﷺ ، وحاصل ما نقله فى الكتاب المذكور أن الأرض طبقات كالسماء وإنما أفردت لكونها من جنس واحد وهو التراب بخلاف السموات (ولا يؤده) أى لا يثقله ولا يعجزه (حفظهما) أى حفظ السموات والأرض وهما بالنسبة إلى غيرهما أصغر العوالم فكيف يتصف بالعجز عن حفظهما ورعايتهما (وهو العلى) أى المتعالى عن الأنداد والأشباه العاجزين عن مساواته فى المراتب جميعاً من الأسماء والصفات وعلوه سبحانه وتعالى معنوى لا العلو الذى هو ضد السفل الحسى وإلا للزم من ذلك الجهة وهو تعالى منزه عنها بالأدلة القاطعة بل هو متعال فى الدرجات العقلية المعنوية إذ العلو والسفل إنما هما جهتان للمخلوقين (العظيم) أى المستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه والعِظَمُ يتصور فى الأجرام والأرواح كما هو الأصل وأما عظمته تعالى فهى عظمة معنوية فالعظيم يطلق على ما عظم على من دونه وهو فى حق غيره تعالى لا يكون عظيماً إلا وفوقه ووراءه عظيم بل عظماء وأما سبحانه وتعالى فهو العظيم المطلق الذى يتصاغر لعظمته كل شىء ولا يمكن العقول أن تتصور وتحيط بكنه حقيقته بل تعود خاسئة حسرى عن إدراك ذلك والله أعلم .

فائدة

قال الإمام البيضاوى وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الآلهية فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد فى الإلهية متصف بالحياة واجب الوجود

لذاته موجد لغيره إذ القيوم هو القائم المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعترى الأرواح مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلاّ من أذن له عالم بالأشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لا يؤده شأن ولا يشغله شأن، تعالى عما يدركه وهم، عظيم لا يحيط به فهم اهـ.

فضل آية الكرسى وخواصها

وأما فضيلتها وخواصها فأكثر من أن تحصر فمن مجموع أحاديث فى الدر المنثور أنها أعظم آية من كتاب الله وأنها وآية سورة البقرة من قالها حين يمسى أجير من الجن حتى يصبح ومن قالها حين يصبح أجير منهم حتى يمسى وأنها هى وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله تعدل ربع القرآن أى كل من الثلاث وأن من قرأها دبر كل صلاة حفظ إلى الصلاة الأخرى وأنه لا يحافظ عليها إلا نبى أو صدّيق أو شهيد وفى رواية كان فى ذمة الله حتى إلى الصلاة الأخرى وأنها ما تليت على طعام ولا إدام إلا أنمى الله بركتهما وأنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله ولم تترك خيراً فى الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه. وفى حديث ابن مسعود مع الجنى الذى صارعه وأخبره أنه إن صرعه يعلمه آية إذا قرأها لم يدخل بيته شيطان وأنه أخبره لما صرعه الأنسى قال تقرأ آية الكرسى فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار، الخبج الضراط.

وقد تكررت أحاديث الحفظ بها من الشياطين فى روايات متعددة وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رجل يا رسول الله علمنى شيئاً ينفعنى الله به

قال اقرأ آية الكرسى فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات التى حول دارك .

وعن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج ذات يوم إلى الناس فقال أيكم يخبرنى بأعظم آية فى القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها فسكت القوم فقال ابن مسعود على الخبير سقطت سمعت رسول الله ﷺ يقول أعظم آية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وأعدل آية فى القرآن (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وأخوف آية فى القرآن (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وأرجى آية فى القرآن (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال ما أرى رجلا ولد فى الإسلام أو أدرك عقله الإسلام يبيت أبداً حتى يقرأ هذه الآية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) ولو تعلمون ما هى إنما أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش ولم يعطها أحد قبل نبيكم وما بت ليلة قط حتى أقرأها ثلاث مرات أقرؤها فى الركعتين بعد العشاء الآخرة وفى وترى وحين آخذ مضجعى من فراشى .

وأخرج ابن السنى عن أبى قتادة أن النبى ﷺ قال من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله تعالى . وعن النبى ﷺ من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة كان الذى يتولى قبض نفسه ذو الجلال والإكرام وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت أقرؤها فأصابنى وجع شديد فرأيت فى منامى رجلين يقول أحدهما للآخر أنه يقرأ آية فيها ثلثمائة وستون رحمة أفلا تدركه منها رحمة واحدة قال فاستيقظت وقد عافانى الله تعالى . وقال نجم الدين النسفى ورد يا محمد إن عفريتاً من الجن يكيدك فاطرده عنك بآية الكرسى .

وفى شمس المعارف للبونى عن سلمان الفارسى عن النبى ﷺ من قرأ آية الكرسى هون الله عليه سكرات الموت وما مرت الملائكة فى بيت فيه آية الكرسى إلا صعقوا ولا ببيت فيه قل هو الله أحد إلا سجدوا ولا ببيت فيه آخر سورة الحشر إلا جثوا على الركب اه .

فائدة

ذكر الإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن الكورانى فى كتاب الأذكار والدعوات مانصه: ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن الحكيم الترمذى عن النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام إن ربك يقول : «من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة اللهم إنى اقدم إليك بين يدى كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض من كل شىء هو كائن فى علمك أو قد كان — أقدم بين يدى ذلك كله — الله لا إله إلا هو الحى القيوم إلى العلى العظيم فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلىّ فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى يُنفخ فى الصور وتشتغل الملائكة بذلك» وهذا ما وصى به الشيخ محيي الدين قدس سره فى الباب السادس والخمسين من الفتوحات ، قال وكذلك تقول فى أثر كل صلاة فريضة قبل الكلام اللهم إنى أقدم اليك بين يدى كل نفس إلى آخر مامر اه .

وقد وقع السؤال عن المراد بقوله اللهم إنى أقدم اليك بين يدى كل نفس إلى آخره فأجبت بأن المراد تكثير المضاعفة والتحصين بأن يكون ماورد فى هذه الآية الكريمة من الأجور التى لاتحصر والثواب الذى لايقدر والكرامة لقارئها فى الدنيا والآخرة مقدماً بين يدى جميع الآنات والأزمنة التى تستغرق

عمر الدنيا إلى نهايتها فيكون الحفظ والتحصين والثواب والإحاطة معدوداً ومُعَدّاً له بين يدى كل تلك الآنات والأشياء ، ويؤيد هذا ماذكره السجاعى فى شرحه لحزب الإمام النووى عند قوله وأقدم بين يدىّ وأيديهم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد إلى آخرها أى أجعل ذلك مقدماً فى التحصن والإحاطة انتهى لكن رأيت فى شرح حزب البر للشيخ أبى الحسن الشاذلى وهو للشيخ محمد بن عبد السلام بن حمدون البنانى ما قد يخالف ما مرّ فإنه قال لما قصد بقوله أقدم اليك مجرد ثبوت الفعل من غير تعلق بمفعول وأتى به مجملا أكده مبيناً له بقوله أقدم اليك بين يدى ذلك كله أى أقر وأعترف بتقدم ألوهيتك الموصوفة بالصفات المذكورة من الحياة ومابعدها على جميع ماذكر مما هو كائن أو قد كان ، ومحصله الشهادة بأوّليته وأزليته وسبقيته على كل شىء من المكوّنات إذ كان الله ولا شىء معه ، وليس معنى أقدم أجعله مقدّما بل معناه أعتقده وأعلمه مقدماً سابقاً لا أول له بجميع صفاته وأسمائه — نبه على هذا المعنى جملة صاحب نوادر الأصول .

ويجوز حمله على معنى تقديم الشفاعة أى أقدم اليك شفاعات على عدد ماذكرت آية الكرسى فجعل الآية كلها شفيعاً لما تضمنته من عظمة الله وصفاته الجميلة الجليلة التى وصف بها نفسه ، أو المعنى أقدم اليك بين يدى كذا أنت وصفاتك أى لا أقدم شفيعاً اليك إلا أنت حتى لايكون واسطة فى الاستشفاع غيرك كما فى خبر ماتركت لنفسك ياأبابكر قال الله ورسوله كأنه يقول لاشاغل لى عنكما غيركما اه والنفس بالتحريك هو الريح الخارج والداخل من الفم قال البنانى قال الحكيم الترمذى حصلنا حساب ليلة أى من الأنفاس فبلغ ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف وبالنهار كذلك وكله ألف ألف ألف

وستمائة ألف ألف وثمانون ألف ألف فى اليوم والليلة فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك اهـ وقال الإمام الربانى الحبيب أحمد بن زين الحبشى باعلوى فى شرح العينية : والأنفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على الإنسان مادام حيا جمع نفس وهو دفع البخار الدخانى عن القلب وكل نفس طرفتان والطرفة تحريك الجفن وقد ذكر بعض العارفين أن للإنسان فى كل ساعة ألف نفس فيكون فى الليل والنهار أربعة وعشرون ألف نفس ، وذكر بعضهم أن للقلب فى كل يوم سبعين ألف خطرة على عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم ولا يعودون اليه ولا شك أن القلب بيت معمور إما بخير وإما بشر وكان بعضهم يذكر الله فى كل يوم على عدد أنفاسه أربعاً وعشرين ألف مرة اهـ وأما اللحظة فهى تحريك جفن العين ، واللمحة المرة من اللمح وهو لمعان البرق ، والطرْفة مؤنث الطرْف بسكون الراء : تحريك الجفن إذا فتحه أو رجعه وقوله « يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض » أى ساكنوهما أى وبين يدى أنفاسهم ولحظاتهم ولمحاتهم أى مدة بقائهم ودوامهم فيهما ولا ينقضى ذلك إلا بانقضاء عمر الدنيا ، ثم قال « وكل شىء هو كائن فى علمك أو قد كان » فيكون على وجه الشمول والعموم لغير أهل السموات وأهل الأرض من ملك وملكوت ومن الموجود والمعدوم والأزمنة والأمكنة والأجرام والجواهر والأعراض والماضى والمستقبل إذ الشىء مايصح أن يعلم ويخبر عنه أى عند سيبويه وهو أعم العام — كما أن الله تعالى أخص الخاص — يجرى على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والمحال ، وقولُ الأشاعرة المعدوم ليس بشىء معناه أنه غير ثابت فى الأعيان قاله المناوى فى توقيفه ، وفضائل آية الكرسى وأسرارها لاتتناهى والله أعلم .

الذكر الثالث

الآيتان من آخر سورة البقرة من قوله تعالى «آمن الرسولُ» والكلام عليها أيضاً من وجهين ما يتعلق بمعناها ثم ما يتعلق بفضلها .

معنى الآية

(آمن الرسول) صدّق الرسول (بما أنزل إليه من ربه) من القرآن والوحى (والمؤمنون كلٌّ) أى منهم أى رسول الله والمؤمنون (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) كما ورد وثبت [لا نفرق بين أحد من رسله] كما فرقت اليهود والنصارى [وقالوا] أى المؤمنون [سمعنا] سماع قبول [وأطعنا] أمرك نسألك [غفرانك ربنا وإليك المصير] المرجع ، روى عن أبي هريرة أنه لما أنزل على رسول الله ﷺ [لله مافى السموات ومافى الأرض وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله] . اشتد الأمر على الصحابة فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب وقالوا أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله ﷺ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى فى أثرها آمن الرسول الآية فلما فعلوا ذلك أنزل الله تعالى [لا يكلف الله نفساً إلا وسعها] أى ماتسعه وتطيقه فضلا وتكرما ورحمة منه تعالى لا وجوباً ، ومذهب أهل السنة أن له تعالى تكليف العبد ما لا يطيقه لأن الخلق ملكه وعبيده فله أن يتصرف فيهم بما يشاء وليس لخلقه أن يكلفوا ملكهم كرقيق ودابة ما لا يطيق لأن

ملكهم لذلك إنما هو مجاز لا حقيقة ولذلك يرتفع الرق بالموت [لها] أى لكل نفس [ما كسبت] من الخير [وعليها ما اكتسبت] من الشر وقولوا فى دعائكم [ربنا لا تؤاخذنا] أى لا تعاقبنا [إن نسينا أو أخطأنا] إن وقع منا تفريط أو إغفال، سألوا ذلك تجويزاً أن يؤاخذ الله به إذ ما أخبر به ﷺ من قوله تجوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان بمعنى وعده تعالى بذلك رحمة وفضلا [ربنا ولا تحمل علينا إصرًا] أى لا تكلفنا أمرًا يثقل علينا حمله من التكاليف الشاقة [كما حملته على الذين من قبلنا] أى بنى اسرائيل من قتل النفس فى التوبة أى فى قصة توبتهم عن عبادة العجل وقد أمر من لم يعبد منهم العجل بقتل من عبده وكان جملة القتلى سبعين ألفا وبتمامها نزلت التوبة وسقطت الشفار من أيديهم .

ومما كلفوا به اخراج ربع المال فى الزكاة وقطع موضع النجاسة من البدن والثوب وقيل وبخمسين صلاة فى اليوم والليلة أى فى حق البعض فخفف الله عن هذه الأمة ورفع عنهم الآصار والتكاليف الشاقة ببركة النبى ﷺ [ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة] أى قوة [لنا به] أى من البلاء والعقوبة ومن التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية ففيه أيضاً دليل لجواز التكليف بما لا يطاق كما مرّ [واعف عنا] أى امح ذنوبنا [واغفر لنا] أى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة بها [وارحمنا] تعطف بنا وتفضل علينا فإننا لا ننال العمل إلا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك [أنت مولانا] أى سيدنا ومتولى أمورنا ومدبرها [فانصرنا على القوم الكافرين] بإقامة الحجة والغلبة عليهم والمراد الكافرين بالله بالجحود وعدم الاتباع لهذا الدين وينبغى أن يقصد الداعى النصر والغلبة وإقامة الحجة على جميع المضادين الحقّ

فى مراده من العبودية ، ومن أعظمهم النفس لقوله ﷺ «اعدى الأعداء نفسك التى بين جنبيك» وفى الحديث الآخر «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» وفسره بجهاد النفس ،ومن الأعداء الشيطان والهوى والدنيا والمرأة والولد الذين لم يطاوعوا فى الدين ولم يعاونوا على البر والتقوى لقوله تعالى : [إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم] وكذا الصاحب لغرض الدنيا، وروى أنه لما دعا ﷺ بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة قد فعلت فالحمد لله على ما أولانا من دين الاسلام ونعمته اللهم اجعلنا عليها من الشاكرين .

فضل الآية وخواصها

وأما فضلها وخواصها (فروى) عنه ﷺ أنه أعطى ليلة أسرى به ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً ، (وروى) عنه ﷺ أنه قال «أنزل الله آيتين أى أولهما آمن الرسول من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل » والكتابة باليد تمثيل وتصوير لإثباتهما ، وتقديرهما بألفى سنة تصوير لقدمهما لأن مثل هذا يقال لطول الزمان لا للتحديد ، (وروى) عنه ﷺ أنه قال «أوتيت خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى» (وروى) عنه ﷺ أنه قال «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه عن قيام الليل أو عن كل ما يسوؤه » .

وفى الدر المنثور عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن الله تعالى ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهما وعلموهما نساءكم وأبناءكم فإنهما صلاة وقرآن ودعاء» وفى خبرانهم

إنهنَّ قرآن وإنهن دعاء وإنَّهنَّ يُدخلن الجنة وانهن يُرضين الرحمن» وفى آخر «آيتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله» وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من قرأ الثلاث الأواخر من سورة البقرة فقد أكثر وأطاب وقيل إنه لما نزلت هذه الآية (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) فكلما قالها جبريل للنبى ﷺ قال النبى آمين رب العالمين انتهى

(تتمة)

وورد ترتيب هذه الأذكار الثلاثة مع الإفراد والجمع فى وظائف وأحوال كثيرة متغايرة فى الصباح والمساء وبعد الصلوات المكتوبة وعند النوم ومع أسباب وفى بعضها يضاف إليها آيات أخرى فمنها قراءة الفاتحة وألم إلى المفلحون، وإلٰهكم إلٰه واحد الآية وآية الكرسى إلى العظيم وآمن الرسول إلى آخر السورة و «شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إلٰه إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام» و «قل اللهم مالك الملك» إلى «بغير حساب» والإخلاص عشراً والمعوذتين مرّة مرّة بعد كل مكتوبة والفاتحة وآية الكرسى وآمن الرسول والإخلاص والمعوذتين صباحاً ومساءً .

فأما الفاتحة وآية الكرسى وآمن الرسول فقد مرّ مافيها من الفضل، وأما فضلها مجموعاً مع غيرها ففى الدر المنثور عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران آية «شهد الله أنه لا إله إلا هو» و «قل اللهم مالك الملك» إلى «بغير حساب» هن معلقات بالعرش مابينهنّ وبين الله حجاب .

(وفى) كتاب غنية الخير لشيخنا مفتى المدينة المنورة أحمد بن علوى باحسن باعلوى نفع الله به (قال) فى السؤال الرابع عشر فى أسباب حسن الخاتمة

ولنختم الكلام بحديث مما نحن بصدده ونسوق سندنا فيه إلى الصادق المصدوق استمطاراً لهواطل أسراره وأمداده (فنقول) أخبر غير واحد من أساتذة الأسناد والرواية وجهابذة التحقيق والتحديث والدراية عن الإمامين الحبرين المسندين الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي الشافعي والشيخ الصالح المسند المحرر الشيخ أبي طاهر محمد الكردي الشافعي عن والده العارف الهمام والعلم الإمام برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ثم المدني عن العارف الوارث الختم صفي الدين سيدي أحمد القشاشي المدني عن الشمس محمد الرملي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني ، قال ابن حجر في المجلس الحادي عشر من أماليه ، ثم ساق سنده إلى سيدنا جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم ساق الحديث المار ذكره ، وجاء أيضاً الحث على قراءة الفاتحة مع بعض هذه الآيات ومع غيرها (وفي) تنبيه الأخيار للشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى (قال) وفي شرحي العباب : تسن المحافظة كل وقت على قراءة يس والواقعة والملك والاخلاص والمعوذتين وآية الكرسي وآمن الرسول إلى آخرها وقراءة أواخر الحشر ، وينبغي أن يضم لذلك كل ما ورد فيه ترغيب كلا اقسم بيوم القيامة وسبح وإنا أنزلناه وإذا زلزلت والعاديات والتكاثر والكافرون وإذا جاء والفاتحة اهـ . ما ذكره ابن حجر

(وأما) قراءة آية (شهد الله) إلى آية (إن الدين عند الله الإسلام) ففي حديث كما في الدر المنشور «أنه يجاء بصاحبها يوم القيامة ويقول الله عبدي عهد إلي وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة» ، وفيه أنه ﷺ قال بعدها «وأنا على ذلك من الشاهدين» وفي نزهة المجالس قال وفي الحديث أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج باب الجنة مغلقا عن عبد ثم رآه مفتوحاً فسئل عن ذلك فقيل إنه

قرأ «شهد الله» الآية (وقيل) إنه قرأها رجل فقال يارب هذه وديعتى عندك فردها على يوم وفاتى ، فلما قرب أجله أنطق لسانه بشهادة أن لا إلـه إلا الله فنودى من فوقه هذه وديعتك قد رددناها إليك .

وفي تفسير الخطيب الشربينى وكان الأعمش يقول بعد قراءة شهدالله وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة وقد أكثر صاحب الراتب من ترتيب هذه الآية فى صلوات مخصوصة معروفة يعمل بها أصحابه المنتسبون إليه وكذا جمع غيرها من الآيات الواردة صباحاً ومساء فى أوراده وكتبه ، وأكثر ذلك بل كله مروى فى خبر أو أثر .

ولما ابتدأ راتبه نفع الله به بهذه الآيات أتى بعدها بأفضل الأذكار كما فى الحديث وهو :

الذكر الرابع

(لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير « ثلاثاً »)

وهو ذكر جامع لمجامع أنواع التوحيد وهو إفراد الألوهية بالوحدة فى الذات والصفات والأفعال ، ثم اتصافه تعالى بأن «له الملك» أى له لا لغيره السلطان المطلق الحقيقى الدائم الذى لا انتهاء لوجوده وإردافه بأن « له الحمد» أى له لا لغيره الثناء باللسان على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم ، ثم إنه تعالى لما كان له النشأةُ السابق ذكرها والإحياءُ والإماتةُ فى سائر أطوارها قال «يحي ويميت »والحياة فى الأصل هى الروح الموجبة للتحرك ولها اعتبارات فى الإنسان وغيره وأعلاها فى الإنسان إذا تكاملت علومه ومعارفه وأخلاقه وإليها الإشارة بقوله تعالى (أوَ مَن كان ميتاً فأحييناه) ويوصف حينئذ بكمال

القوة العاقلة ، والموتُ ضد الحياة وله اعتبارات أيضاً فباعتبارٍ هو انتقال من الحياة بخروج الروح إلى طور آخر وهو البرزخ وما بعده وباعتبارٍ آخر هو زوال القوة العاقلة وهى التى يعقل بها أمر الله ونهيه فيتمثله ويعمل به وضدها الجهالة ومنه قوله :

لقـد أسمعْـت لو ناديت حيّاً ولـكن لا حيـاة لمن تنادى

وكذا قوله :

ليس من مات فاستراح بميت إنمـا الميت ميت الأحيـــاء

فوصفُه تعالى بأنه يحيى ويميت من شأن الألوهية التى من صفاتها الرحمانية والرحيمية المقتضيان الإيجاد والإمداد ، ثم إنه لما كان فى قصة إبراهيم عليه السلام التى حكاها الله تعالى عنه بآية (ألم تر الى الذى حاجَّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت) استدلال بالإحياء والإماتة ثم باتيان الشمس من المشرق على القدرة الكاملة الشاملة — ختم هذا الذكر بقوله «وهو على كل شىء قدير » أى هو قادر على إيجاد كل شىء وإعدامه وغير ذلك.

والقدرة صفة قديمة قائمة بذاته تعالى متعلقة بالجائز وهى كالفرع عن العلم والإرادة فالعلم يكشف والإرادة تخصص والقدرة تبرز (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

وقد جاء هذا الذكر بروايات وصيغ متعددة فمنها «لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير »(١). قال ﷺ « أفضل

---

(١) روى الشيخان عن أبى هريرة بلفظ «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » وفى رواية أبى أيوب =

ماقلته أنا والنبيون قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له» إلى آخره وأنها أكثر دعائه يوم عرفة وأنها أفضل الأذكار بعد القرآن وأنه ينبغى أن تكرر فى هذا اليوم مائة أو ألفاً ، وتطلب هذه الصيغة بعد كل صلاة بلا قيد عدد بل مرّة ومن قالها فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر منه رواه الشيخان وغيرهما .

قال الشيخ محمد بن سليمان الكردى فى فتاويه وروى ذلك أبو داود ولم يقيده بعشر ولا مائة ولا بدبر صلاة ولا غير ذلك بل بالصباح والمساء، قال الحافظ ابن حجر وحديثه حسن صحيح وكذا رواه ابن ماجه أيضاً قال الفاكهى فى شرح بداية الهداية وذلك يصدق بمرة اهـ . وورد بزيادة « يحيى ويميت » ومقيداً

= الأنصارى بدل مائة مرة عشر مرات وبدل باقى الحديث . كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل » .

ونقل ابن علان فى حاشيته على الاذكار أن هذه الفضائل التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هى لأهل الشرف والدين والكمال والطهارة من الكبائر والجرائم ولا تظن أن من فعل هذا وأصر على ماشاء من شهواته يلحق السابقين المتطهرين وينال منزلتهم فى ذلك بحكاية أحرف ليس معها تقوى ولا إخلاص ولا عمل . ماأظلم من تناول دين الله على هواه اهـ .

وقال الشاطبى : كل مندوب إليه مرتب بعد الواجب فلا نظر فيه شرعا إلا بعد تقرر الواجب كالنوافل إنما جاءت مرتبة بعد الفرائض والحاجيات إنما جاءت مرتبة على ما هو ضرورى والتحسينات إنما جاءت مرتبة على ما فوقها مما تقتضيه مكارم الأخلاق ومحاسن العادات أن يكون محسنا فإذا ثبت هذا فالدليل الشرعى منتهض بأن المندوبات إنما تعتبر بعد أداء المفروضات وبالنسبة إلى ذلك جاء فيها من الترغيب ماجاء ، وبحسبه يرد مورد الرضاء والقبول اهـ .

بعشر مرات بعد الصبح وبعد المغرب وبعد العصر وبزيادة وهو ثان رجليه وقبل أن يتكلم، روى الترمذي عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ «من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم لا إلـه الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه في حرز من كل مكروه وحُرِسَ من الشيطان الرجيم ولم يَنْبَغِ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى» وأخرجه الطبراني في الكبير بلفظه بسند حسن وفيه يحيي ويميت بيده الخير وزاد في آخره وكان له بكل كلمة عتق رقبة من ولد اسمعيل عن كل رقبة اثنا عشر ألفاً ومن قالها بعد كل صلاة كان له مثل ذلك .

وفي رواية النسائي في عمل اليوم والليلة وكان له قدر عتق عشر نسمات، لكن ليس في روايته وهو ثان رجليه . وفي رواية أخرى له ومن قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطي مثل ذلك في ليلته ؛ نقلها في العهود المحمدية.

وأخرج ابن السني وهو حسن أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه من قال في دبر صلاة الغداة لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرّة قبل أن يثني رجليه كان يومه أفضل أهل الأرض عملا إلا مَنْ قال مثل ما قال أو زاد على ما قال اهـ .

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من دخل السوق فقال لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله

له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتاً فى الجنة » وكان ابن عمر رضى الله عنهما وسالم بن عبد الله ومحمد ابن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين نيل فضيلة هذا الذكر، وكان قتيبة ابن مسلم يركب فى موكبه حتى يأتى السوق فيقولها ثم ينصرف .

قال الإمام الطيبي فى حاشية مشكاة المصابيح : إنما خص السوق بالذكر لأنه مكان الاشتغال عن الله تعالى وعن ذكره فى التجارة والبيع والشراء فمن ذكر الله تعالى فيه دخل فى زمرة من قيل فى حقه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) قال أبو عبد الله الحكيم الترمذى إن أهل الأسواق قد افترص العدو منهم حرصهم وشحهم فنصب كرسيه وركز رايته وبث جنوده فرغبهم فى هذا الفانى فصيرها عدة وسلاحاً لفتنته بين مطفف فى كيل وطائش فى ميزان ومنفق السلعة بالحلف الكاذب وحمل عليهم حملة فهزمهم إلى المكاسب الرديئة وإضاعة الصلاة ومنع الحقوق وما داموا على هذه الغفله فهم على خطر من نزول العذاب فالذاكر فيما بينهم يرد غضب الله ويهزم جند الشيطان ويتدارك ماحث عليه من تلك الأفعال قال الله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) فيدفع بالذاكرين عن عن أهل الغفلة ،وفى تلك الكلمات نسخ لأفعال أهل السوق فبقول «لا إله إلا الله» ينسخ وله قلوبهم لأن القلوب منهم ولهت بالهوى قال تعالى «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» وبقوله «وحده لا شريك له» ينسخ ما تعلقت به قلوبهم بعضها ببعض فى نوال أو معروف وبقوله «له الملك» ينسخ ما يريدون من تداول أيدى المالكين وبقوله «وله الحمد» ينسخ ما يريدون من صنع أيديهم وتصرفهم فى الأمور وبقوله «يحيي ويميت» ينسخ حركاتهم وما يدخرون فى أسواقهم للتبايع فإن تلك

حركات تملك واقتدار وبقوله «وهو حى لا يموت» ينفى عن الله تعالى ما ينسب إلى المخلوقين ثم قال «بيده الخير» أى أن الأشياء التى يطلبونها من الخير فى يده «وهو على كل شىء قدير» فمثـل أهل الغفلة فى السوق كمثل الهمج والذباب مجتمعين على مزبلة يتطايرون منها على الأقذار ، فقصد هذا الذاكر إلى مكنسة عظيمة ذات شعور وقوة فكنس هذه المزبلة ونظفها من الأقذار ورمى بها وجه العدوّ وهزمهم وطهر الأسواق منهم قال تعالى (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) أى بالوحدانية (ولّوا على أدبارهم نفورا) فجدير بهذا الناطق أن تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئآت وترفع له الدرجات والله أعلم انتهى .

وقد جاء فى بعض الروايات زيادة على هذا الحديث وهى «يفعل مايشاء» وكلها زيادات وبيـــان لشرح معنى الألوهية ذات الجلال والجمال والكمال وتتضمن كلمة التوحيد الجامعة لجميع معارج التفريد والتجريد والترقى إلى معرفة أسرار الألوهية كما سيأتى شرح ذلك .

قال الإمام الغزالى فى كتاب التوحيد والتوكل من الإحياء فى بيان حقيقة التوحيد : إعلم أن جميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل والإيمان هو التصديق وإذا قوى سمى يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما ينبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذى يترجمه لسانك بقولك لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدرة التى يترجم عنها قولك له الملك والإيمان بالوجود والحكمة الذى يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال «لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير» فقد تمّ له الإيمان الذى هو أصل التوكل فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة وهو البحر الخضم الذى لا ساحل له انتهى .

(فإن) قلت روايات لا إلـه إلا الله وحده لاشريك له إلى آخره ليس فيها رواية بالثلاث كما فى الراتب وإنما الوارد من الأعداد مرّة وعشراً ومائة على اختلاف الروايات فيها وكذا أذكار الراتب كلها مروية بالثلاث إلا «ياذا الجلال والإكرام» الخ فسبعاً والا «استغفر الله رب البرايا» فأربعاً و«الجلالة آخره» فخمسين أو مائة أو ألفاً كما حكى ذلك عن جامعه والاخلاص ثلاثاً والمعوذتين مرة مرة (قلت) اختيار الثلاث لوروده فى أذكار الصلاة المختصة بالركوع والسجود وفى أكثر الأذكار الواردة صباحاً ومساء قال الفاكهى ويحصل ما ورد أى مطلقاً بمرة والتثليث فيه أولى كما يأتى وقياساً على أكثر ما الوارد فيه التثليث، وقال الشيخ احمد السجاعى المصرى فى شرحه على حزب الإمام النووى فى الكلام على التكبير فى أوله ثلاثاً انه رعاية لما ورد أن النبى ﷺ كان يعجبه أن يدعو ثلاثا وأن يستغفر ثلاثا ولأن التكرير من محاسن الفصحاء وله فوائد منها التعظيم نحو وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. اهـ وأما تكرير ياذا الجلال والإكرام سبعاً فلما ورد من قوله ﷺ ألظوا بياذا الجلال والإكرام والسبع بالنسبة إلى الآحاد من أعداد الكثرة فيظهر بها معنى الإلظاظ وهو الاكثار من هـذا الذكر ولأن المسئول تحصيله بها أمر مهم وهو الموت على الإسلام فتأكد فيه الزيادة على الثلاث، وأيضاً فهى كالثلاث وكالعشر كثيراً ما ورد الذكر بهذه الأعداد وكذا بالسبعين والمائة ولذلك أسرار مخبأة تحت هذه الأعداد.

قال الشيخ ابن حجر رحمه الله فى التحفة ما حاصله: ينبغى الاقتصار على الأعداد الواردة فى الأذكار لكون الأعداد المنصوص عليها من الشارع صلوات الله وسلامه عليه لها سر فى تحصيل ما يترتب عليها من الثواب وغيره ثم إذا أراد الزيادة على ذلك بعدُ زاد عليه اهـ.

وقال الشيخ محمد الجزرى فى حاشية كتابه الحصن الحصين : ما نُصَّ على العدد فيه حصل الثواب المرتب عليه والأجر بما زاد وليس هذا من الحدود التى نهى الله عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها وأن زيادتها لافضل فيها أو تبطلها كالزيادة فى عدد الطهارة وعدد ركعات الصلاة وبالغ بعض الناس فقال إنما الثواب الموعود به على العدد المعين فلو زاد لم يحصل له ما وعد به لأن هذا العدد المعين له سر وخاصيَّة رتب عليه ما ذكر فلو زاد بطلت الخاصية وهذا غلط ظاهر اهـ وقال بعضهم إنه يأتى بالعدد الوارد وإذا انتهى إليه قصد به المأثور ثم يأتى بما شاء بنية الزيادة .

وفى قوله ﷺ «من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامه بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه» دليل على أن الزيادة فى العدد لا تبطل ثواب الوارد وخاصيته ، ولم أر من نبه على ذلك وفيه تأييد لكلام الجزرى .

وأما قوله استغفر الله رب البرايا الخ أربعاً فلعل صاحب الراتب رضى الله عنه لما رأى أن النعم تنقسم إلى ظاهرة وباطنة وإلى إيجادية وإمدادية وكان كل منعم عليه بها لا يقدر على القيام بشكرها حسن أن يقابل كل نوع منها بالإستغفار اعترافا وجبرا للتقصير كما فى « اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك » الخ لما كان الشهود على توحيد القائل لها أربعة — عتق كل مرة منه ربعه ، أو يقال التكفير للنفس من موبقات المخالفات الناشئة عن الهوى ووسوسة الشيطان وهو يجرى من الإنسان مجرى الدم والذنوبُ الواقعة من الإنسان سببها وسوسة الشيطان وهو من الطبائع الأربع فجعل المكفر من العدد أربعاً لتكون كل مرة مكفرة لإثم كل واحدة من الطبائع ، أو لمعنى آخر وجميع ما يرتبه صاحب الراتب أو ينص عليه له أصل فى السنة .

وأما لا إلـه إلا الله فالاقتصار على خمسين وهو الأقل أو مائة وهو الأكثر والمراد مجرد التكثير إذ هي أفضل الذكر (تنبيه) قوله ثلاثا وسبعاً وأربعاً مفعول مطلق لقول مقدر أي يقولها القارىء ثلاثا وسبعاً وأربعاً

الذكر الخامس

(سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر — ثلاثاً)

« سبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله وهو سبحت سبحان وسيأتي في سبحان الله وجعل علماً للتنزيه سيما مع قصور العلم بكنه ما تستحقه الذات العلية من الكمال وكذا الصفات ومالها من التجلي والأفعال ولذا اعتذر الملائكة . من قولهم في حق آدم عليه السلام (أتجعل فيها) الآية بقولهم (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) وجعل مفتاح التوبة التي هي أول قدم للسالك في قول موسى عليه السلام (سبحانك إني تبت إليك) وفي قول يونس عليه السلام (سبحانك إني كنت من الظالمين) فالتسبيح نفي النقص ، وقيل إنه لا يجوز أن يكون التسبيح فيه معنى التنزيه عن النقص إذ لا ينبغي أن يتخيل النقص وينسب إلى جناب الذات المقدسة حتى ينفي ، ويدل له قول علي كرم الله وجهه معنى التسبيح تعظيم اجلال الله تعالى ، وسئل رسول الله ﷺ ما نسبة الإلـه فقال عليه السلام التقديس والتنزيه عن التشبيه » قال الماوردي رحمه الله التقديس لغة التطهير وعرفا تنزيه الحق تعالى عن كل مالا يليق بجنابه من النقائص الكونية مطلقا ومن جميع ما يعد كمالات بالنسبة إلى غيره من الموجودات مجرّدة أولا وهو أخص

من التسبيح كيفية وكمية أى أشد تنزيها منه وأكثر ، ولهذا يؤخر فى قولهم سُبّوح قُدّوس انتهى لكن قيل: الجمهور على أن التسبيح للتنزيه إذ درجات أهل الإيمان ومراتبهم متفاوته وبعضهم أهدى من بعض وكل أهل الإيمان على الصراط المستقيم قال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيله أيهم أقرب) ولكن من هو أقرب فهو واصل إلى درجة عليا ونهاية قصوى فلا يشهد إلا الكمال ، وبهذا المعنى كان سبحان الله من قائلها نصف الميزان والحمد لله تملؤه كما فى حديث مسلم أى يملؤه ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها وهو شهود مادل عليه القول من لفظ الحمد والفعل الذى هو أثر الكرم والجود ودلالات الكمالات التى لا تتناهى وكل ذرة من ذرات الوجود شاهدة بها ودالة عليها كما قيل .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

ولما نظر رسول الله ﷺ إلى أن كمالاته ومحامده تعالى لا يجمعها ذكر ولا يحدها حصر ولا يتناهى لها حد ولا يشار إلى استقصائها حتى بالأبد والسرمد قال ﷺ « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » قال ابن حجر فى شرح الاربعين والأولى أن يقال فى حكمة ذلك إن حمده عز وجل اثبات لسائر صفات كماله فبسبب ذلك عظم ثوابه حتى ملأ الميزان اه .

ثم لما أتى بصيغة التنزيه وهو التسبيح وباثبات الكمال وهو الحمد ترقى إلى ما يجمع التنزيه والكمال فقال «ولا إله إلا الله » وبهذا المعنى فى بعض الروايات سبحان الله نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه أى ليس لقبولها حجاب يحجبها عنه تعالى

وفى رواية أخرى «والله أكبر تملأ السموات والأرض»[1] ، وفى رواية «والله أكبر ملء السموات والأرض وما بينهن» ،قال ابن علان عند قوله « أحب الكلام إلى الله أربع » لا معارضة بين هذا الخبر وما قبله (هو حديث أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده) لأن ما فى هذا الحديث من الكلمات مندرج فى تلك الكلمة : أما «سبحان الله والحمد لله» فبالتصريح وأما « لا إلـه إلا الله والله أكبر» فبطريق الالتزام ولا يلزم منه أفضلية سبحان الله وبحمده على لا إلـه الا الله لما سبق أن مفاد لا إلـه الا الله صريح التوحيد الذى عليه المدار وسبحان الله تستلزمه وما أفاد المقصود بالتصريح أبلغ مما أفاد بالمفهوم ،نعم سبحان الله أبلغ فى الدلالة على التنزيه من لا إلـه الا الله لأنها وان دلت عليه اذ يلزم من اثبات الألوهية انتفاء سائر النقائص وهو معنى التسبيح إلا أنه بطريق الالتزام وسبحان الله يدل عليه بالتصريح التام اهـ وقد جعل التكبير خاتمة الباقيات الصالحات وجامعا لجميع الكمالات فهو تعالى أكبر أى أعظم وأجل من أن يحاط بنعوته أو يحصر ما يستحقه من نعوت التقديس والكمال وسمات الجلال والجمال ومن قدّسه وحمده ووحدّه لا يحيط بكنه ما جعلت هذه الكلمات دالة عليه،وقد ورد أن دون سبحات وجهه أى أنوار ذاته سبعة آلاف حجاب لو تجلى بها على خلقه لأحرقتهم ولتلاشى وجودهم عندها قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً) فكيف يحاط بذرة من كمالاته ،وأكملُ الحامدين له

---

(١) فى الأذكار النووية : فى صحيح مسلم سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الكلام أفضل قال « ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده » وفى صحيح مسلم قال قال رسول صلى الله عليه وسلم « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت »

وأعرفُ القائمين بحقه فى هذا المقام قال « لا أحصى ثناء عليك » .

قال الإمام الغـــزالى فى مشكاة الأنوار : لم يفهموا من قوله تعالى الله أكبر أنه أكبر من غيره وحاشا الله إذ ليس فى الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل معناه أنه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الإضافة والمقايسة وأكبر من أن يدرك غيرُه كنهَ كبريائه نبياً كان أو ملـــكا بل لا يعرف اللهَ كنهَ معرفته إلا الله اهـ ملخصا .

وقال فى شرح الأسماء الحسنى فى الكلام على اسمه الكبير : هو ذو الكبرياء والكبرياء عبارة عن كمال الذات وأعنى بكمال الذات كمال الوجود إلى آخر ما ذكره ، وإلى هذا المبحث أشار صاحب الراتب بقوله قدّس سرّه :

وعلوتَ عن إدراكنا وإن أطلنا الإعتنا
فنهـــايةُ المتعمـــقين تحـــيرٌ يا مُنْعنا
ما عنـــه حِرْنا إنما فيـــه تحيرُ لعجزنا

ففيه إشارة إلى ما حكى عن الصديق الأكبر أبى بكر رضى الله عنه لما قيل له بم عرفت ربك ؟ فقال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى فقيل له وهل يتأتى لبشر أن يدركه ؟ فقال العجز عن درك الإدراك إدراك ومعناه أنه تعالى لا يدرك بالحواس وأنها لا توصل إلى معرفته فهو منزه عن ذلك كما قال على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد سئل بم عرفت ربك ؟ فقال بما عرّف به نفسه . لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس . قريبٌ فى بُعْده بعيدٌ فى قُرْبه فوق كل شىء ولا يقال فوقه شىء وتحت كل شىء ولا يقال تحته شىء وأمام كل شىء ولا يقال أمامه شىء وهو فى كل شىء لا كشىء فى شىء فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره انتهى .

ومما يؤيد ما مر من معنى هذه الكلمات الأربع وما فيها من الترتيب والمناسبة ماذكره الإمام الطيبي في حاشية مشكاة المصابيح قال : روى أنه ﷺ قال أفضل الذكر بعد كتاب الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والموجب لفضلها اشتمالها على جملة أنواع الذكر من التنزية والتحميد والتوحيد والتمجيد ودلالتها على جميع المطالب الإلهية إجمالا وهذا النظم وإن لم يتوقف عليه المعنى المقصود لاستقلال كل واحدة من الجمل الأربع ولذلك جاء في رواية « لايضرك بأيهن بدأت » لكنه حقيق بأن يراعى لأن الناظر المتدرج في المعارف يعرفه سبحانه أولا بنعوت الجلال التي هي تنزيه ذاته عما يوجب حاجة أو نقصا ثم بصفات الكمال وهي الصفات الثبوتية التي بها يستحق الحمد ثم يُعْلَمُ له أن من هذا شأنه لايماثله غيره ولا يستحق الألوهية سواه فينكشف له من ذلك أنه أكبر إذ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون هذا مانقله عن القاضي ثم قال بعده أقول قوله ﷺ لا يضرك الخ بعد إيراد الكلمات على النسق والترتيب يشعر بأن العزيمة أن يراعى الترتيب والعدول عنه رخصة ورفع للجناح ، وروى عن مالك بن أنس رضى الله عنه أن الباقيات الصالحات هي هذه الكلمات ولعله صلوات الله وسلامه عليه خصها بالباقيات الصالحات لكونها جامعات للمعارف الإلهية فالتسبيح تقديس لذاته عما لا يليق بجلاله وتنزيه لصفاته عن النقائص ، والتحميد منبه على معنى الفضل والإفضال من الصفات الذاتية والإضافية ، والتهليل توحيد للذات ونفي للضد والند وتنبيه على التبرى من الحول والقوة إلا به واختتامها بالتكبير اعتراف بالقصور في الأفعال والأقوال قال ﷺ « لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وفي هذا التدرج لمعة من معنى العروج للسالك العارف وتسميتها بالباقيات الصالحات لما أنه تعالى قابلها بالفانيات

الزائلات في قوله تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » الآية وخص منها العمدة فيها وما يحصل به تزيين المجالس والتفاخر في المحافل من المال والبنين وجعلها خيراً منها ثوابا وخيراً أملا اه وفيه تأييد لما قدمناه من سر الترتيب .

وفي شرح الأربعين النووية لشيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله ماقد يخالفه فإنه قال وبه يعلم أن الحمد لله أكثر ثوابا من لا إله إلا الله لما تقرر أن الحمد يملأ الميزان وأنه أكثر مما يملأ السموات والأرض ومع ذلك لا تملؤه لا إله إلا الله إلا مع ضم الله أكبر اليها ، وقد حكى ابن عبد البر وغيره خلافا في ذلك قال النخعي كانوا يرون أن الحمد لله أكثر الكلام تضعيفا ، وقال الثوري ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله انتهى . وقال ابن علان في حاشية الأذكار بعد نقل كلام ابن حجر وابن عبد البر وفي شرح المشكاة في حديث الترمذي وابن ماجه أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله : قيل الحمد لله أفضل لأنه جعلها أفضل العبادة وتلك إنما جعلت أفضل الذكر الذي هو نوع منها وأيضا في الحديث إن الحمد لله بثلاثين حسنة ولا إله إلا الله بعشر حسنات وهو صريح في أفضلية الحمد لله ، وقيل الأفضل كلمة لا إله إلا الله لأنها كلمة النجاة المتكفلة بكل خير ديني ودنيوي وأنها هي أصل العبادات القولية والفعلية والأمر المبني عليه غيرها ، وهذا هو الصحيح الذي لا محيد عنه فيتعين أن يكون المراد من الحديث ، أفضل الدعاء ماندب الشارع صلوات الله عليه إلى بدئه وختمه به وهو الحمد لله أفضل الذكر أي العبادة لا إله إلا الله لما فيها من الفضائل والخصائص غير الحسنات ماليس في الحمد لله انتهى كلام ابن حجر في شرح المشكاة ، وقال الطيبي لا إله إلا الله هي الكلمة العليا وهي القطب الذي تدور عليه رحى الإسلام والقاعدة التي بني عليها أركان الدين وهي أعلى شعب

الإيمان ثم قال ويؤثرها العارفون وأرباب القلوب على سائر الأذكار لما رأوا فيها من الخواص التي ليس الطريق إلى معرفتها إلا الذوق والوجدان اهـ بتصرف ويؤيده ماذكره ابن حجر في شرح الأربعين بعد الكلام الأول المنقول عنه الدال على ترجيح الحمد لله فإنه قال وروى أحمد أن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر وأن في كل من الثلاثة عشرين حسنة وحط عشرين سيئة وفي الحمد لله ثلاثين ، وحجة الآخرين مافي حديث البطاقة المشهور وهو عند أحمد والنسائي والترمذي أن لا إلـه إلا الله لايعدلها شيء في الميزان ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى أحمد لو أن السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع في كفة ولا إلـه إلا الله في كفة مالت بهن اهـ.

وفي الكلمات الأربع وماورد في فضلها جمعا وفرادى مالا يحصى ، ومما ورد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس » أخرجه مسلم والترمذي وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لقيت ليلة أسري بي إبراهيم عليه السلام فقال لي يامحمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة المـاء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر » أخرجه الترمذي وورد أيضا أنها أحب الكلام وأنه لايضرك بأيهن بدأت وقد مر الكلام عليه وأن من قالها غرست له بكل واحدة شجرة في الجنة وفي حديث أبي الدرداء أنه قال له ﷺ « قل سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها » .

فائـــدة

قال ابن عباس رضى الله عنهما نزل إسرافيل على النبي ﷺ وقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه الا الله والله أكبر ولا حول ولاقوة إلى بالله العلى العظيم عدد ماعلم لله ووزن ماعلم الله وملء ما علم الله، وفى الحصن الحصين قال ﷺ «أما يستطيع أحد كم أن يعمل كل يوم مثل أحد عملا قالوا يا رسول الله ومن يستطيع ذلك قال كلـكم يستطيعه قالوا يا رسول الله ماذا قال سبحان الله أعظم من أحد ولا إلـٰه الا الله أعظم من أحد والحمد لله أعظم من أحد والله أكبر أعظم من أحد » انتهى .

وفى الأذكار والدعوات من الاحياء: قال رسول الله ﷺ « ماعلى ظهر الارض أحد يقول لا إلـٰه الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الابالله إلا غفرت ذنوبه ولوكانت مثل زبد البحر» رواه ابن عمر رضى الله عنهما

الذكر السادس

(سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم « ثلاثاً »)

مر ما فى الثلاث من الاتباع وورد أن « من قال سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله عز وجل وكان من آخر يومه عتيقـاً من النار ومن أتى بها مائة لم يأت أحد بمثل ما أتى به إلا رجل أتى بمثل ما أتى به » وفى رواية او زاد عليه ، وقال عليه الصـلاة والسلام «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » وقال ﷺ « أحب الـكلام إلى الله تعالى سبحان الله وبحمده » وسئل عليه الصلاة والسلام «أى الـكلام أفضل» قال ما أصطفى الله

للملائكة سبحان الله وبحمده» قيل أراد بذلك قول الملائكة (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) اهـ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» قيل الجملتان من سبحان الله وبحمده إلى آخره خبر كلمتان وما بعده والعاطف مقدر لأنه لا يقال زيد عمرو قائمان بدون واو العطف ، قال الطيبي فى حاشية المشكاة قوله كلمتان خفيفتان الخفّة مستعارة من السهولة شبه جريان الكلمتين على اللسان بما يخف على الحامل من بعض الأمتعة فلا يتعبه كالشيء الثقيل وذكر المشبه به وأراد المشبه، وأما الثقل فعلى الحقيقة عند علماء السنة إذ الأعمال تتجسم حينئذ، والخفة والسهولة من الأمور النسبية ، وهما مختصران من قوله سبحان الله والحمد لله ولا إلــه الا الله والله أكبر فتدبر ، وفيه حث على المواظبة عليها وتحريض على ملازمتها وتعريض بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه خفيفة سهلة عليها مع أنها تثبت فى الميزان أثقل من غيرها من التكاليف فلا تتركوها إذ روى فى الآثار أنه سئل عيسى عليه السلام ما بال الحسنة تثقل والسيئة تخف فقال لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فلذلك ثقلت عليكم فلا يحملنكم ثقلها على تركها فإن بذلك ثقلت الموازين يوم القيامة والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت عليكم فلا يحملنكم خفتها على فعلها فإن بذلك خفت الموازين اهـ . وقال الإمام أحمد بن محمد القسطلاني الخطيب قال بعض الكبراء إن فى سبحان الله وجوهاً أحدها أنه مصدر تأكيدى كما فى ضربته ضرباً فهو فى قوة قولنا أسبح الله تسبيحا فلما حذف الفعل أضيف المصدر إلى المفعول ومعنى أسبح الله أى أنظمُ نفسى فى سلك الموقنين بتقديسه عن جميع ما لا يليق بجنابه سبحانه

وأنه تقدس أزلا وأبداً وإن لم يقدسه أحد ، قال وإذا لزم من قول سبحان الله تقديس الذات لزم تقديس الصفات والأسماء لأنها قائمة بالذات وإذا حصل الإعتقاد والإعتراف بأنه منزه عن جميع النقائص وما لا ينبغى أن ينسب إليه ثبتت الكمالات ضرورة وحصل توحيد الربوبية وثبت التقديس فى كل كمال عن المشابهة والمماثلة والشركة وكل ما لا يليق فثبت أنه الرب على الإطلاق وأنه المستحق لأن يشكر ويعبد بكل ما يمكن على الإنفراد وتوحيدُ الربوبية حجة ملزمة وبرهان موجب توحيد الالـهية فتتضمن هذه الكلمة إثبات التوحيدين كما تتضمن إثبات الكمالين ، ولما كان الإتصاف بالكمال الوجودى مشروطا بخلوه عما ينافيه قدم التسبيح على التحميد فى الذكر كما تقدم التخلية على التحلية ومن هذا القبيل يقدم النفىُ على الإثبات فى لا إلـه الا الله .

والواو فى قوله وبحمده للحال أى أُسبحه متلبسا بحمدى له من أجل توفيقه لى للتسبيح ونحوه ، وقيل عاطفة أى أسبح وألتبس بحمده ، وأما الباء فيحتمل أن تكون سببية أى أسبح الله وأثنى عليه بحمده ، وقال ابن هشام فى مغنيه اختلف فى الباء من قوله فسبح بحمد ربك ، فقيل إنها باء المصاحبة والحمد مضاف للمفعول أى أسبحه حامداً له أى أنزهه عما لا يليق به وأثبت له ما يليق به ، وقيل الباء للاستعانة والحمد مضاف للفاعل أى أسبحه بما حمد به نفسه إذ ليس كل تنزيه محموداً ألا ترى أن تسبيح المعتزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات ، وقال الخطابى المعنى وبمعونتك التى هى نعمة توجب علىَّ حمدك سبحانك لا بحولى وقوتى وأضيف المصدر عند من جعله مصدراً إلى اسم الذات إذ كلمة الجلالة تدل على الذات المقدسة المستحقة للكمالات ثم الضمير فى وبحمده إلى الهوية الخاصة السبوحية القدوسية الخاصة الجامعة لجميع خاصيات الذات الواجبة وخواصها اهـ . ملخصا وبعضه بالمعنى .

الذكر السابع

((ربَّنا اغفرْ لنا وتبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم «ثلاثا»))

انتقل رضى الله عنه من أسلوب إلى أسلوب آخر وهو أنه قدَّم أولا الأذكار التوحيدية المتضمنة لما رتبه من الآيات والأذكار التى بعدها مما هو عنوان شهود كمالِ الحق تعالى وأفرادِه بكل وصف مقدس وكل معنى أنفس مما يتعلق بالذات والأسماء والصفات والأفعال التنزيهيات وذلك أفضل العلوم وأشرفها، وأرقها وألطفها، وأدقها وأنحفها الحاويةِ للمعارف الآلهية ولطائف الربوبية الحقيَّة التى لا تدركها الأفهام ولا تحيط بها الأوهام ولا تدخل تحت نطاق العبارة ولاتسبق إليها مواد الإشارة ثم عاد رضى الله عنه فى هذا الذكر إلى القول بالإعتراف ورجع عن الحومان حول حمى تلك الأشعة بالإنصراف فطلب المغفرة وسأل التوبة تأسياً بجده المختار صلوات الله وسلامه عليه ووراثةً له فى أنه إذا غشيه غين الأنوار عاد إلى الإستغفار وقال فى ذلك المقام المشار آنفاً إلى وصفه «لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقال خليفته الصديق الأكبر رضى الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك.

وربنا بفتح الباء منادى حذف منه حرف النداء وأضيف إلى ضمير الجماعة ليرتفع الدعاء مع اجتماع الهمم وارتفاع الأصوات فتجاب الطلبات وتنال الرغبات واختار نفع الله به هنا هذه الصيغة موافقة للآية ولما فى سيد الاستغفار من قوله وأبوء لك بذنبى فاغفرلى أى إنى اجتهدت وبالغت فى تحقيق توحيدى وما به صحة إيمانى وما يزداد به من الأعمال حسب المستطاع وكما يسرت لى ذلك فاغفرلى مالم استطعه وماقصرت فيه من واجب حقوقك — وأما ما فى آخر

الراتب من قوله استغفر الله رب البرايا فهو مع موافقته للكتاب أيضاً . مناسب لآخر الحال تأسياً به ﷺ بعد نزول سورة الفتح فانه كان كثيراً ما يقول « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله وأتوب إليه »

واعلم أن التوبة من العبد ندم وتحسر على ما فرط من الذنب أو التقصير في جنب الله مع الاقلاع عنه والعزم على عدم العود اليه بحال والله تعالى لطفاً منه وكرما يقبل التوبة من عباده وهو التواب الرحيم ، والمغفرة من الغفر وهو الستر . والله تعالى هو الغفور والغفار والغافر يستر القبائح والذنوب والعورات ويتجاوز عنها ويصفح ويعفو لطفا منه وفضلا والله تعالى أرحم بعباده وأرأف بهم من أنفسهم ، ومن أسمائه الرؤف الرحيم .

ولابد في طلب المغفرة من الله من تقدم التوبة من العبد قال الفضيل ابن عياض : الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين . وقالت السيدة رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكما . : من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزءاً على الله وهو لا يعلم ، فاذا تقدمت التوبة من العبد طلب من الغفار التواب الرحيم مغفرة ذنبه وقبول توبته رحمة به وهما في علم الله تعالى متلازمتان فمن تاب عليه أي قبل توبته غفر له وعكسه ، وفي الخبر أنه ﷺ كثيرا ما يقول رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم .

والتوبة أول قدم للسالك وأحد مقامات اليقين ، وهي درجات أعلاها توبة المعصومين من الأنبياء والملائكة فالصديقين العارفين فهم في معارجها يرتقون فكلما كملت المعرفة وشهدوا من صفات الجلال والجمال والكمال ما لم يشهدوه أولا استغفروا عن الحال الأول وهلم جرا إذ معرفة الله تعالى ومعرفة ملكه وملكوته لاتتناهى قال ﷺ « إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة » .

ثم التوبة مراتب قال الشيخ عبد السلام بن احمد المقدسى رضى الله عنه فى كتابه حل الرموز ومفاتيح الكنوز : اعلم أن التوبة ثلاثة أقسام أولها التوبة وآخرها الأوبة وأوسطها الإنابة فمن تاب خوف العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب رجاء الثواب فهو صاحب إنابة ومن تاب حفظا وقياما بالعبودية لارغبة فى الثواب ولا خوفا من العقاب فهو صاحب أوبة فالتوبة صفة المؤمنين قال الله تبارك وتعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون) وفى هذه الآية إشارة خاصة وبشارة عامة ، أما البشارة فانه عز وجل عم العصاة والطائعين والموافقين والمخالفين بلفظة الإيمان وسماهم مؤمنين لئلا تتمزق نياط قلوبهم من خوف القطيعة ، وأما الإشارة الخاصة فهى الأمر بالتوبة مع طاعتهم لئلا يعجبوا بطاعتهم فيصير فى عجبهم حجبهم فأمرهم بالتوبة فتساوى فى ذلك الطائع والعاصى ولذلك قال النبى ﷺ توبوا فانى أتوب إلى الله تعالى فى اليوم مائة مرة وأما الإنابة فهى صفة الأولياء والمقربين قال الله تعالى (وجاء بقلب منيب) .

واعلم أن توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من غفلة القلوب وتوبة خواص الخواص من كل شىء سوى المحبوب اهـ .

وقد مرّ أن صاحب الراتب رضى الله عنه فى هذا الذكر طلب المغفرة والتوبة بعد الأذكار التى هى من أمهات شواهد التوحيد وجوامع دلائله وبراهينه فاقتضى بعدها طلب المغفرة والتوبة لما يقع من القصور والتقصير فى إعطاء المعرفة بها حقها لأنها ليست فى طوق البشر ولهذا لما كانت الصلاة سببا فى استفراغ الوسع فى التوجه والإقبال على الحضرة الفائض من قدسها التجليات النورية التى ورد فى الحديث أن من أصابه من خلقه

ذلك النور هدى ومن اخطأه ذلك النور ضل والتقصير فى الإقبال واقع لامحالة — ندب بعدها الاستغفار من كل أحد إذ كل تقصيره وقصوره على قدر كماله ونقصه كما مر فى توبة العوام وغيرها ، والنور هنا هو نور المعرفة ، قال الشيخ فمعرفة العبد لربه نور الله الذى يقذفه فى قلب عبده فيدرك بذلك النور أسرار ملكه ومشاهدة غيب ملكوته ويلاحظ صفات جبروته ثم تنزل قوة إدراكه على مقدار ما أفيض عليه من ذلك النور اه . وقد سأل عليه الصلاة والسلام هذا النور فى قلبه وفى قبره وفى سمعه وفى بصره إلى أن قال واجعل لى نورا واجعلنى نورا فطلب عليه الصلاة والسلام أن تستغرق الأنوار جميع جهاته وأوصاله لتأهله لقابليتها وقد يسأل فى بعض الأحوال سترها كما قال الشيخ :

وإنما كان ﷺ تستغرقه أنوار التجليات فيغيب بذلك الحضور ثم يسأل الله تعالى أن يستر عليه حاله فيطلب المغفرة وهى الستر لأنها مأخوذة من الغفر الذى هو الستر ومنه المغفر الذى يستر الرأس فكأنه سأل ستر حاله عليه غيرة منه عليه لأن الخواص لو دام لهم تجلى الحق وما يكاشفهم به لتلاشوا عند ظهور سلطان الحقيقة فالستر لهم رحمة وأما الستر للعوام فعقوبة لأنه حجاب لهم وغطاء على أعين بصائرهم فانهم مستورون به عما سواه اه . وقد ذكر هذا هذا المقام صاحب الراتب فى بعض تعليقاته بأنه مقام الجمع الذى يرد على الأولياء عند تجلى الحقيقة عليهم وذكر فيه عجائب غريبة وأن الله كذلك ينقلهم عنه رحمة بهم وأما هم فيطلبونه ويستروحون إليه ولعله هو المراد من قوله فى بعض قصائده .

يا ليتنى غبت عن هذا الورى ودعيت بالمستغرق المبهوت

وأعلم أن ما ذكرناه فى هذا المبحث مناسب لترتيب هذه الأذكار فانه لما

تقدم الأذكار الدالة على الاستغراق فى بحر التوحيد والتى هى المطلوبة فى البدايات المؤدية إلى النهايات وحصل له بذلك الفناء وحالة الجمع سأل الله تعالى أن يستر عليه كما مر من حاله ﷺ لأنه وارثه فقال ربنا اغفر لنا وتب علينا الخ ففيه طلب العود بالمعنى المار فى كلام المقدسى بأن يستر عنه حاله ويعود إلى مقام البقاء الذى هو من شأن أهل البدايات فهى وإن كانت وسائل فهى نهايات وغايات يشهد لذلك قوله ﷺ أرحنا بها يابلال وجعلت قرة عينى فى الصلاة فانها وصلة إلى التلذذ بالمناجاة والدخول فى حضرة الجمع على الله ولهذا ورد أنه ﷺ إذا أراد الخروج إلى الناس بعد قيامه فى الليل وصلاته فيه كان يعبث بلحيته أو يكلم عائشة رضى الله تعالى عنها وينكت بإصبعه فى خده ليعود إلى حال التأهل لخطاب الناس وإرشادهم والدعوة لهم وهو مقام البقاء .

الذكر الثامن

(اللهم صل على محمد . اللهم صل عليه وسلم «ثلاثا»)

وصاحب الراتب رضى الله عنه فى ترتيبه الأذكار المتقدمة كان مستغرقا فى المطالب الأولية التى هى مقاعد التوحيد فبعد طلب الستر لها عاد إلى مقام البقاء وشهد الوسائط ، وأعظمها وسيلة إلى الوصول إلى الحضرات القدسيه حضرة المصطفى ﷺ فحينئذ أتى بالصلاة والسلام عليه إذ هى أولى الوسائل إليه فقال (اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم) وفى الصلاة عليه ﷺ معنى التعظيم

والتكريم له فلا تقال لغيره إلا تبعا كما اختاره القرطبي وغيره(١)

وإذا كان الله جل وعلا لا يزال مصليا عليه ثم سخر الملائكة للصلاة عليه وكذا المؤمنين كما قال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فذلك هو الشأن العظيم وغاية الإجلال فإن فى الآية دلالة على أنه تعالى وملائكته الكرام دائمون الصلاة على النبي ﷺ وتجديدها وتكريرها وقتا بعد وقت كما اقتضته الجملة الإسمية باعتبار صدرها. المضارعية باعتبار عجزها ، قال الإمام البيضاوى ما حاصله ففيها أمران الأول الحث للمؤمنين على امتثال ذلك والاعتناء به والثانى الحث لهم على الدوام والاستمرار عليها ليفوزوا بقربه ويتحفوا بلحظه وإمداده ، وقوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى أدعوا ذلك كما اقتضته الصيغة فى صلاة الله تعالى وملائكته عليه اه ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من صلى على صلاةً صلى الله عليه بها عشرا » وقال العلماء فى قوله صلى الله عليه بها عشراً شرف زائد على قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها لأن الله تعالى بالصلاة على نبيه ﷺ يذكره وذكر الله تعالى للمصلين لا سيما مع المضاعفة اشرف وأكبر كما الآية (ولذكر الله أكبر) ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة » وفى رواية « أقربكم منى يوم القيامة

---

(١) قال القاضى عياض : الذى ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة كما يختص الله عند ذكره بالتقديس والتنزيه . ويذكر من سواهم بالغفران والرضا كما قال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان اه مصححه .

فى كل موطن أكثركم على صلاةً فى الدنيا» وعن أوس بن أوس قال قال رسول الله ﷺ «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بليت قال إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء» رواه أبو داود، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل علىّ» رواه الترمذى وفى خبر آخر «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على» رواه الترمذى عن على رضى الله عنه وقال ﷺ «ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام» رواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال الطيبى أى ينهى الملائكة إليه أصوات أمته كما تنهى أمور الرعية إلى الملوك ولعل المعنى تكون روحه المقدسة فى شأن ما فى الحضرة الإلهية فإذا بلغه سلام أحد من الأمة رد الله تعالى روحه المطهرة من تلك الحالة للرد على من سلم عليه وكذلك شأنه وعادته فى الدنيا يفيض على أمته من سحاب الوحى الإلهى ما أفاضه الله عليه ولا يشغله هذا الشأن وهو شأن إفاضة الأنوار القدسية على أمته عن شأنه بالحضرة الإلهية كما كان فى عالم الشهادة لا يشغله شأن عن شأن والمقام المحمود فى العقبى عبارة عن هذا المعنى فهو صلوات الله عليه فى الدنيا والبرزخ والعقبى فى شأن أمته ، وقال فى قوله ﷺ «صلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم» قال القاضى وذلك أن النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق حجاب فترى الكل كالمشاهدة بنفسها أو بإخبار الملك لها وفيه سر يطلع عليه من تيسر له اهـ .

ومما ذكره الطيبى من معنى إفاضة الأنور ذكر مثله العارف بالله السيد عبد

الرحمن العيدروس فى شرح صلاة القطب الشريف أحمد البدوى فى قول الشيخ محمد وفا رحمه الله

فأنت رسول الله أعظم كائن وأنت لكل الخلق بالحق مرسل

وقال هذا كله من حيث صورته البشرية وإلاّ فقد آمنت به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى القدم ولهذا كان هو نبيهم وهم نوابه وورائه عليهم الصلاة والسلام لأنه المظهر التام والواسطة العظمى والحجاب الأرفع الأجمع الأسمى الذى نال المقر الأجمل الاكمل الأحمى فهو صاحب البرزخية التى هى عبارة عن شهود الذات المعبر عنها بالآية الكبرى فللانبياء وورثتهم « قاب قوسين » وخص هو بـ « أو أدنى » فما عرف أحد الحق كمعرفته ولا أحبه الحق وأحب له كمحبته فله ﷺ التفرد فى كل مقام ولهذا كان هو المد للخاص والعام حيث كان نبيهم فهو واسطتهم ومدهم والكل نوابه ولله درّ سيدى سالم شيخان العلوى حيث قال .

لك ذات العلوم والأسماء يانبيا نوابه الانبياء

ومن ايراد حديث « صلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » وأوله «لاتتخذوا قبرى عيداً وصلوا على ألخ ومعنى «لاتتخذوه عيدا» أى لأن العيد تتخذ فيه الزينة واللهو وقد رخص ذلك فيه وكان أهل الكتاب يسلكون ذلك فى زيارة قبور أنبيائهم حتى ضرب الله على قلوبهم حجاب الغفلة والقسوة واتبعوا سنن عبدة الأوثان فى زيارة طواغيتهم واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولذا قال ﷺ «اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشتدغضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أى يسجدون إليها ، فالعيد واحد الأعياد وقيل هو إسم من الاعتياد أى لأن اعتياده يفضى بالأكثرين إلى اضاعة الوقت وسوء الأدب والتعرض لما ينتهى بهم إلى حال يرتفع دونها حجاب الحشمة ،قاله ابن علان فى شرح الرياض:

ثم قال وحاصله أن المنهى عنه على الأول هو الاجتماع عند قبره ﷺ الزينة والرقص واللهو والطرب وغيرها من المحرمات التى تعمل فى الأعياد وعلى الثانى المنهى عنه معاودة تؤدى إلى الاخلال بعظيم الحرمة أو الملل وسوء الأدب أو نحو ذلك وذكر بعض العلماء للحديث معنى آخر أى لا تتخذوه كالعيد الذى لا يؤتى إليه إلا مرتين فى العام فيكون فيه حث على إكثار زيارته ﷺ والتملى بمحادثته ومخاطبته أى على وجه لا يؤدى لما ذكر.

قلت وقد حفظ الله قبره الشريف عما حذر عنه نعم قد يكون بعض هذه الأحوال التى نبه عليها الإمام ابن علان وغيره من أنواع المحرمات والمنكرات عند قبور بعض الأولياء كما سيأتى التنبيه على بعض ذلك.

قال صاحب الراتب نفع الله به لما أورد آية (إن الله وملائكته) فناهيك ما قص الله تعالى فى هذه الآية الشريفة تشريفاً لنبيه ﷺ وتعظيماً وحثاً لعباده المؤمنين على الصلاة والتسليم عليه وتحريضاً وقال عليه الصلاة والسلام «من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً» قال بعض العلماء لو صلى الله على العبد فى طول عمره مرة واحدة لكفاه ذلك شرفا وكرامة فكيف بعشر صلوات على كل صلاة يصليها المسلم على نبيه إهـ. والحمد لله على عظيم فضله وجزيل عطائه انتهى من النصائح وفى بعض الروايات أن بالصلاة الواحدة يصلى الله عليه عشر صلوات ويرفع له بها عشر درجات وتحط عنه بها عشر خطيات وفى خبر آخر « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على ».

والحاصل أن الصلاة على النبى ﷺ غوث من الله تعالى لعباده المؤمنين فى تطهير السرائر وتكفير الجرائر ورفع الدرجات وحوز الشفاعات وفى جلب

المسرات ودفع المساآت ، وللسادة العارفين والصلحاء العابدين والعلماء العاملين طرائق فى الكيفيات والأعداد قال بعض العارفين نفع الله بهم يُعدَم المربُّون فى آخر الزمان ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبى ﷺ (١) وأنها تُحصِّل الاجتماع به مناماً ويقظة وحسبك أنه اتفق العلماء على أن جميع الأعمال منها المقبول والمردود إلا الصلاة عليه ﷺ فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له ﷺ إنتهى ، قال الإمام الوفائى رحمه الله فى بعض مؤلفاته فى فضل الصلاة على النبى ﷺ وإثبات صيغ منها قال العارف بالله تعالى أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى الشاذلى رحمه الله فى كتابه تاج العروس: من فاته كثرة الصيام والقيام يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله ﷺ فإنك لو فعلت فى عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملت فى عمرك كله من جميع الطاعات لأنك تفعل على قدر وسعك وهو يصلى عليك على حسب ربوبيته هذا إذا كانت صلاةً واحدةً فكيف إذا صلى عليك عشراً بكل صلاة كما جاء فى الحديث الصحيح ؟ اهـ. قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه الصلاة على النبى ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب وحب النبى ﷺ أفضل من ضرب السيف فى سبيل الله اهـ. وإنما كان السلام أفضل من عتق الرقاب لأن عتق الرقاب كما قال القسطلانى فى مقابلة العتق من النار والسلام عليه فى مقابل السلام من الله تعالى ولا شك أن السلام من الله تعالى أفضل من مائة ألف جنة فناهيك بها من منَّة وإذا صلى أحد وسلم ألفاً صباحاً وألفاً مساءً كانت كل صلاة بعشر رقاب وسلامه أفضل من عتق الرقاب وأى ملك يعتق كل يوم

---

(١) أى مع الطاعة لله تعالى وإخلاص العبادة له . وهذا القيد لابد منه أيضاً فى عبارة تاج العروس الآتية اهـ مصححه .

عشرين ألف رقبة مع أنه ليس فى الصدقات أفضل من العتق ولذا قدم على الإطعام والصوم فى الكفارة — هذا إذا أتى بأقل الصيغ كما إذا قال اللهم صل على النبى الأمى ثم يقول اللهم صل عليه إلى أن يتم ما أراده وأما إذا أتى بأوصاف زائدة فله ثواب زائد أو بأعداد زائدة فكذلك كما لو قال اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى كل نبى وعلى كل ملك وعلى كل ولى كما هو لائق بك منك إليهم مثل الموجودات والمعلومات أبداً .

وقال العارف بالله السنوسى وغيره أن الصلاة عليه سُلّم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا فقد الطالبُ المرشدَ قال شيخنا أبو الفتوح الشهابى والمراد أنها توصل إلى الولاية الصغرى دون الكبرى بحيث يكون الشخص عارفاً بدسائس النفس رافضاً لجميع الأغيار دائم التعلق بالله تعالى

والولاية الصغرى هى تقوية اليقين وغفران الذنوب وكثرة الثواب والكفاية فى الدارين كما قال ابن عباد : إن للصلاة عليه ﷺ تأثيرا فى تقوية اليقين وقال القسطلانى رحمه الله تعالى : فكن أيها الأخ مثابراً للصلاة على نبيك لتطهر من عيبك ويزكو منك العمل وتبلغ غاية الأمل وتنال مرضاة ربك وتأمن الأهوال يوم المخافة والأوجال ، وقال ابن حجر العسقلانى : إن الصلاة عليه تفتح من كيمياء السعادة أبواباً لا يفتحها غيرها وتفتح من مزايا السيادة أشياء لا ينقطع عن المصلى سيرها وتوصل إلى المصلى كفاية المؤنة الدنيوية والأخروية وتمنح اللحظات المحمدية والتجليات الاستيقاظية اهـ . وقال الإمام أحمد بن زين الحبشى باعلوى نفع الله به فى شرح العينية بعد أن ذكر استحبابها فى نحو خمسة وثلاثين موضعاً : وقد أبلغ بعضهم مواضع الصلاة المستحسنة عليه ﷺ مائة موضع أو أكثر وذكر من فوائدها أربعين فائدة عدّدها واحدة واحدة منها صلاة الله على المصلى عليه وكفى بها فائدة وغفران ذنوبه وكفاية همه وقضاء

حوائجه وتبشيره بالجنة قبل موته وتطهيره وتزكيته ونجاته من هول القيامة وطيبُ مجلسه ونفى الفقر والبخل عنه ووقوفه ثابتاً على الصراط وخروجه من الجفاء وبركة ذاته وعمره وعمله ونيلهُ رحمة الله ومحبته ﷺ له وحياة قلبه وهدايته وعرض اسمه عليـــه واسم أبيه وأداء حق نبيه أى بعضه ولو لم يكن فى بعضها إلا أنها دعاء لله وذكر له تعالى ومناجاة لـكفى قال بعضهم من قال اللهم فـكأنما ذكر الله بجميع أسمائه وقال الحسن البصرى مجمع الدعاء اللهم وقال بعضهم إسم الله الأعظم هو اللهم .

تنبيـــــهٌ

أتى صاحب الراتب نفع الله به بصيغة الصلاة مرتين وبالسلام مرة واحدة وذلك لـكون الصلاة أفضل من السلام لـكثرة فضلها والثواب المترتب عليها مع الفوائد السابقة وغيرها ولأنها تختص بالأنبياء ولا تجوز على غيرهم الا تبعاً والسلام يشاركهم فيه غيرهم ولأن موضوع الصلاة لطلب الـكمال والسلامُ إنما هو لدفع النقص والوصمة كما فى صيغة التحميد والتسبيح وقول البيضاوى فى تفسيره وأكد السلام بالمصدر ليعادلها ولئلا يتساهل به اهـ . فذلك صحيح فى نفسه إذ قوله ليعادلها أى ليـكون كالعدل معها لا أنه يساويها فى الفضيلة ويدل عليه قوله ولئلا يتساهل به لأن الأكثر استعمال الصلاة ، وقيل فى قوله (وسلموا تسليما) أكده بالمصدر إما لتناسب رءوس الآى أو لـكونه دالا على حذف مصدر الأول والتقدير صلوا عليه صلاة وسلموا تسليما .

فائدة

الأنبياء مختصون بالصلاة والملائكة بالسلام والصحابة بالترضّى والعلماء والأولياء بالترحم ، وجزم بعضهم أن الترضى محبوب فى حق العلماء والأولياء وعليه عمل أكثرهم ، قال ابن حجر فى التحفة وسنّ الترضى والترحم على كل خيِّر ولو غير صحابى خلافاً لمن خص الترضى بالصحابة اهـ .

قال الشيخ على الوفائى وينبغى للمصلى أن يقصد بالآل جميع المؤمنين حتى الأنبياء السابقين وأممهم اهـ وذلك هو اختيار الإمام النووى وأن آله عليه الصلاة والسلام فى مقام الدعاء كل مؤمن والأحاديث الصحيحة تخالف هذا الاختيار وتعين الآل ولا مناص عن اتباعها والاكتفاء بما فيها .

تنبيه

هذه الخمسة الأذكار وهى لا إلـه إلا الله وحده الخ ، والباقيات الصالحات ، وسبحان الله وبحمده الخ ، وربنا اغفر لنا الخ ، والصلاة على النبى ﷺ ذكرها صاحب الراتب رضى الله عنه على ترتيب ونسق واحد ففيه الإشارة إلى ما ذكره الإمام أبو بكر العامرى رحمه الله فى بهجة المحافل فإنه حث على ملازمتها وترتيبها وأنها أفضل الأذكار بعد القرآن وأنها جمعت أفضل أنواع التهليل وأفضل أنواع التسبيح وأفضل أنواع الاستغفار فى اختصار وأخصر كيفيات الصلاة على النبى ﷺ ولكل منها شرح طويل فينبغى لكل متدين ملازمتها كل يوم واتخاذها ورداً يطالب بها نفسه وأن يأتى بكل واحدة منها مائة مرة هذا حاصل ما ذكره وزاد فى الباقيات الصالحات : ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الذكر التاسع

[أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق «ثلاثا»]

ولما فرغ صاحب الراتب مما تقدم عقّبه بالاستعاذة مما يفسد الأعمال أو يغير الأحوال فقال رضى الله عنه متحصناً بالورد النبوى (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق) والاستعاذة — من العوذ وهو الإلتجاء والتعلق بالغير يقال عاذ فلان بفلان ومنه (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)، وكلمات الله — علم الله الذى لو جعل البحر مداداً له لنفد قبل نفاده، وقال الإمام النووى رضى الله عنه كل ماجاء فى الاستعاذة أى بكلمات الله دليل على أن الكلام غير مخلوق لأن النبى استعاذ بها كما استعاذ بالله فى قوله أعوذ بالله وبصفاته فى قوله قل أعوذ برب الناس ملك الناس وبعزة الله وقدرته ولم يكن ليستعيذ بمخلوق من مخلوق، وقوله التامات — أى التى لانقص ولا عيب فيها ووصفها بالتمام إشارة إلى كونها خالصة من الرّيب والشّبه، وقوله من شر ماخلق — أى من شر خلقه جميعهم الإنس والجن والشياطين والبر والفاجر والهوام وغيرها كما فى حديث آخر «من شر ما أنت آخذ بناصيته» وفى آخر «بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولافاجر»، والمراد من شر خلقه مايفعله المكلفون من إثم ومضارة بعض لبعض من نحو ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وما يفعله غيرُهم من نحو لدغ ونهش وعض، ويدخل فى هذا أيضاً الاستعاذة من المضار المعنوية فى الدنيا مما يوجب الإثم وفساد القلب وفتنة الأعداء المضرة فى الدين والدنيا المؤذنة بضر الآخرة. وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله مالقيت من عقرب

لدغتنى البارحة قال «أمَا لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك » أى لاهى ولا غيرها . لعموم قوله من شر ماخلق والعقرب من جملتها ويدل له مافى الرواية الأخرى « من قال إذا أمسى ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شرماخلق لم تضره حمة تلك الليلة» وفى رواية ابن السنى لم يضره شىء،وقوله لم يضره أى لايؤثر فيه لا أنه لايلدغه لما ورد أن سهلا قال إن أهلنا كانوا يقولونها كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجدلها وجعا قاله النووى رحمه الله فى الأذكار وحينئذ يتسع المجال فى الاستعاذة من كل شىء فيه شر وسوء فى الحال والمآل من الأمور الحسية والمعنوية والدنيوية والأخروية علماً وعملا وفعلا وقولا فقد استعاذ ﷺ من علم لاينفع وقلب لايخشع وعين لاتدمع وبطن لاتشبع واستعاذ من شر نفسه واستعاذ بالله تعالى منه فى قوله وأعوذ بك منك .

وأنواع الإستعاذه المأثورة لا يحدها الحصر وقد جمعت هذه الكلمة الإستعاذة من كل ما ذكر فى الإستعاذات جميعها ما عدا قوله وأعوذ بك منك لأن قوله من شر ما خلق عام فى كل مخلوق وهو ما سوى الله من حسي ومعنوى سماوى وأرضي دنيوى وأخروى والله أعلم ،

الذكر العاشر

(بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم « ثلاثاً »)

ثم أردف الإستعاذة بالكلمات التامات باستعاذة أخرى وتحصينة كبرى وهى الذكر العاشر من الراتب المذكور فى سنن أبى داودو الترمذى عن عثمان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما من عبد

يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذى لا يضر إلى آخرها ثلاث مرات إلاّ لم يضره شىء» وفى رواية تعددرواتها «لم تصبه فجأةُ بلاء» فقوله بسم الله متعلق بمحذوف تقديره أتحصن وأحتمى بسم الله الجامع للأسماء القائم به جميع المسميات العلوية والسفلية من كل سوء ومن شر الجن والإنس والحيوان والجماد وكل ما يضر من ذوات العيون والسموم فهو الذى لا يضر مع اسمه العزيز شىء وهو السميع لأحوال الكائنات العليم بها فى سائر أزمنتها فلا يقع منها شىء إلا بقضائه وقدره الأزلى، وقوله فى الحديث إلا لم يضره شىء قال ابن علان فى شرح الرياض استثناء مفرغ من أعمّ الأحوال أى ما من عبد يقول ذلك يكون فى حال من الأحوال إلا حال عدم اضرار شىء له قال وروى أبان بن عثمان راوى الحديث عن أبيه وكان قد أصابه طرف فالج فجعل رجل ينظر إليه فقال له أبان أما أن الحديث كما حدثتك ولكن لم أقله يومئذ ليمضىَ الله على قدره.

الذكر الحادى عشر

(رضينا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً «ثلاثاً»)

وهو من الوارد المسنون، والمراد منه كالأذكار السابقة قبله إفراد الألوهية باللجأ والتعلق والتمسك بمراداتها والإستناد إلى حضرة الفيض الأقدس وإمداداتها ففى رواية الترمذى عن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من قال حين يمسى رضيت بالله رباً إلى آخرها كان حقاً على الله أن يرضيه» وفى بعض رواياته «وجبت له الجنة» ، وفى رواية أخرى «من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات» وفى رواية أبى سعيد «من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وجبت له الجنة» وفى رواية «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا» إلى آخره.

وذوقُ الإيمان لا تحصل حقيقته إلا بالتحقق بمقام الرضاء وهو مقام من مقامات أهل اليقين الصادقين فقد ورد عنه ﷺ «أن الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الرَّوح والفرح فى الرضاء واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط» وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذروةُ الإيمان الصبر للحكم والرضاء بالقضاء وما أجمع وأنفع ما قاله الشيخ عبد الله صاحب الراتب رضى الله عنه فى معنى هذه الكلمات وما ينبغى للمؤمن أن يقولها متحققا بمعناها فقد قال فى النصائح الدينية : واعلموا معاشر الإخوان أنه من رضى بالله ربا لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره له وبمُرّ قضائه ، وأن يقنع بما قسمه له من الرزق ، وأن يدوم على طاعته ويحافظ على فرائضه ويجتنب محارمه ، وأن يكون صابراً عند بلائه شاكراً لنعمائه محبا للقائه راضيا به وكيلا ووليا ، وكفيلا مخلصا له فى عبادته ومعتمداً عليه فى غيبه وشهادته لا يفزع فى المهمات إلا إليه ولا يعول فى قضاء الحاجات إلا عليه سبحانه وتعالى ، ومن رضى بالإسلام دينا عظّم حرماته وشعائره ولم يزل مجتهداً فيما يؤكده ويزيده رسوخا واستقامة من العلوم والأعمال ويكون به مغتبطا ومن سلْبه خائفا ولأهله محترما ولمن كفر به مبغضا ومعاديا ، ومن رضى بمحمد نبيا كان به مقتديا وبهديه مهتديا ولشرعه متبعا وبسنته متمسكا ولحقه معظما ومن الصلاة والسلام عليه مكثرا ولأهل بيته وأصحابه محبا وعليهم مترضّيا ومترحّما وعلى أمّته مشفقا ولهم ناصحا ، فينبغى لك أيها المؤمن أن تطالب نفسك بتحقيق هذه المعانى التى ذكرناها فى معنى « رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا » وكلف نفسك الاتصاف بها ولا تقنع منها بمجرد القول فإنه قليل الجدوى وإن كان لا يخلو عن منفعة وكذلك فافعل فى جميع ما تقوله من الأذكار والأدعية ونحوها طالب نفسك بحقائقها والاتصاف بمعانيها مثال ذلك أن تكون عند قولك سبحان الله ممتلىء

القلب بتنزيه الله تعالى وتعظيمه ، وعند قولك الحمد لله ممتلئ القلب بثناء الله تعالى وشكره إلى آخر ما ذكره رضى الله عنه .

الذكر الثانى عشر

(بسم الله والحمد لله والخير والشر بمشيئة الله «ثلاثا»)

بدأ فى هذا الذكر بالبسملة التى هى المبتدأ فى كل حال والمنتهى والغاية لأهل الكمال ثم بالحمدلة التى هى سمة على كمال صفات الجلال والجمال وذلك لأنه تعالى باسمه كان ما كان وما يكون مما هو قابل للحدثان من إيجاد الخلائق وإعدامهم وإمدادهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وتقلباتهم وكل ما يجرى منهم من خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر هـداية أو ضلال ، وكل هذه الأفعال والأحوال قائمة بالله تعالى وباسمه الذى اتسع مجال معناه وبه صح أساس كل موجود ومبناه ، ومرّ فى فضائل البسملة وخصوصياتها فى الذكر الأول ما يكفى ،وفى كتاب نزهةالمجالس من حديث طويل عن أبى هريرة رضى الله عنه «يا أباهريره إذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك من الحسنات عدد كل خطوة » اهـ . وفيه تلميح إلى أن قائل ذلك عند ركوبه يستحضر عند قوله بسم الله والحمد لله أن اقتدارها على المشى وتسخيرها له كان بالله تعالى ، وعلى ما تأسس من القياسات الشرعية فى الأصول والفروع المرعية يؤخذ من هذا الخبر أن من تمسك بالعقيدة الأشعرية عقيدة أهل السنة المرضية وما جزموا به واعتقدوه من أن أفعال العباد وحركاتهم وتطوراتهم خيرها وشرها

إنما هى من الله تعالى — يثاب[١] على كل ما اعتقده من ذلك لاسيما وهذا الأثر الموقوف له حكم المرفوع كما أن راكب الدابة يتضمن قوله بسم الله والحمد لله هذه العقيدة ويحصل له بكل خطوة يخطوها حصنة وكذا يقاس عليه فى التسمية على اللقمة والحمد عليها كما وردت بذلك روايات والله ذو الفضل العظيم ففى قول صاحب الراتب والخير والشر بمشيئة الله أى بقضاء الله وقدره سلامة الدين وتخليص العقائد عما لا يليق بالبارى جل وعلا من تشبيه خلقه به فى الإيجاد والإعدام وهو تعالى يقول (أفمن يخلق كمن لا يخلق) ويقول (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقد نقل عن القاضى عبد الجبار أحد المعتزلة القائلين أن العبد خالق الخير والشر أنه خاطب الأستاذ أبا إسحق الأسفرايني بقوله سبحان من تنزه عن الفحشاء فأجابه الأستاذ بقوله سبحان من لا يجرى فى ملكه إلا ما يشاء انتهى يعنى أنه إذا كان لغيره قدرة فى خلق فعله فهو شريك له فى أفعاله فمن اعتقد أنه مؤثر خالق لفعله فذلك عين الضلال والكفر كما نبه على ذلك الشيخ محمد الفضالى المصرى رحمه الله تعالى فى العقيدة التى سماها كفاية العوام فيما يجب عليهم فى علم الكلام فإنه قال : ووجود العالم دليل على وحدانيته تعالى وعلى أنه لا شريك له فى فعل من الأفعال ولا واسطة له فى فعل جلّ وعلا وهو الغنىّ المطلق ومن هذا الدليل يعلم أنه لا تأثير لشىء من النار والسكين والأكل فى الإحراق والقطع والشبع بل الله تعالى يخلق الإحراق فى الشىء الذى مسته النار عند مسها له ويخلق فى الشىء الذى باشرته السكين القطع عند مباشرتها له ويخلق الشبع عند الأكل والرىّ عند الشرب فمن اعتقد أن النار محرقة بطبعها والماء يروى بطبعه وهكذا فهو كافر بالإجماع ومن اعتقد أنها أى النار محرقة بقوة خلقها الله فيها[٢] فهو

---

(١) خبر قوله أن من تمسك . (٢) غير مُسَلَّم .

جاهل فاسق لعدم علمه بحقيقة الوحدانية وهـذا هو الدليل الإجمالى الذى يجب على كل شخص معرفته من ذكر وأنثى ومن لم يعرفه فهو كافر عنـد السنوسى وابن عربى والله يتولى هداك اهـ قال اللقانى فى شرح الجوهرة وقد صنف فى الأحاديث الواردة فى باب القضاء والقـدر كتب أجلها كتاب البيهقى اهـ .

أفعال العباد

سئل صاحب الراتب نفع الله به عن أفعال العباد فأجاب بقوله : اعلم أن مذهبنا الذى نعتقده وندين الله به أنه لا يكون كائن من خير أو شر ونفع أو ضر إلا بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن . وعندنا لذلك من النصوص السمعية الواضحة فى الـكتاب والسنة والبراهين العقلية المسلّمة عنـد كل ذى بصيرة مايجل عن الحصر وكتب أئمتنا فى علم أصول الدين طافحة بذلك إلى آخر ما أطال به .

ومما يستحسن إيراده هنا بعض الأحاديث التى فيها الحجة الظاهرة والحجة الداحضة لمن خالف أهل السنة فى عقائدهم . ففى الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى « وجبريل وميكائيل » قال أخرج البزار والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمر قال جاء فئام أ «جماعة» من الناس إلى النبى ﷺ فقالوا يارسول الله زعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد . وقال عمر الحسنات والسيئات من الله فتابع هذا قوم وتابع هذا قوم فقال رسول الله ﷺ لأقضين بينهما بقضاء إسرافيل بين جبريل وميكائيل ؛ إن ميكائيل قال بقول أبى بكر وإن جبريل قال بقول عمر فقال جبريل لميكائيل

إنه متى يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض فلنتحاكم إلى إسرافيل فتحاكما اليه فقضى بينهما بأن « القدر خيره وشره حلوه ومره كله من الله تعالى » ثم قال رسول الله يا أبا بكر إن الله لو أراد أن لا يُعصى لم يخلق إبليس فقال أبو بكر صدق الله ورسوله اهـ وقوله ﷺ لو أراد الله أن لا يعصى ماخلق إبليس فيه إشارة بل تصريح بأن الله يريد الكفر من العبد ولايحبه ولا يرضاه وإليه ذهب أهل السنة والآيات القرآنية صريحة فى ذلك قال تعالى (إن الله لايحب كل كفار أثيم) وقال (وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان) وقال (ولا يرضى لعباده الكفر) .

والأحاديث كثيرة فى الكلام على القضاء والقدر وأنه من الله تعالى وأنه يتعلق بالخير والشر وأن أفعال العباد واقعة من الله تعالى بقدرته وإرادته ليس لهم فيها إلا الكسب الذى تقوم به الحجة عليهم وهم أيضاً مسخرون فيه .

قال ابن حجر فى شرح الأربعين عند الكلام على حديث أبى ذر وهو « ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم » أى أنصب لكم أدلة ذلك الواضحة أو أوصل من شئت إيصاله فى سابق العلم القديم الأزلى، وحكمة طلبه سبحانه منا سؤاله الهداية إظهارُ الافتقار والإذعانِ والإعلامُ بأنه لو هداه قبل أن يسأله لربما قال أوتيته على علم عندى فيضل بذلك فإذا سأل ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية . وهذا مقام شريف وشهود ضيق اهـ .

ويتفرع على مسئلة خلق الأفعال مسائل كثيرة :

[منها] خلق السعادة للسعيد فى الأزل والشقاوة للشقى كذلك ولذلك دلائل عقلية ونقلية من الكتاب والسنة فلا نُطيل بنقلها .

[ومنها] خبر الصحيحين أنه ﷺ قال «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وفيه أنهم قالوا يارسول الله إذاً نترك العمل فقال ﷺ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

[ومنها] خلق الطاعة فى العبد بتوفيقه تعالى وتقريبه وإعانته له وخلق المعصية فيه بخذلانه له وإبعاده ويسمى الأول فضلا ورحمة والثانى عدلا ونقمة وقد وعد الله تعالى المطيع بالثواب وأوعد العاصى بالعقاب فإن يُثِبْ فبمحض الفضل لعدم الوجوب عليه وإن يعذب فبمحض العدل، وفى شرح جوهرة التوحيد: قال ابن الصلاح من محققى المتأخرين إن الكريم إذا أخبرنا بالوعيد فاللائق بكرمه أن يبنى إيعاده به على المشيئة وإن لم يصرح بها بخلاف الوعد فإن اللائق بكرمه أن يبنى إخباره به على الجزم وعدم التعليق فلا يلزم الكذب ولا التبديل فإذا قال الكريم "لأعذبنّ" زيداً مثلا فمراده ونيته إن لم أعف عنه أو إن لم أسامحه وهذا القيد مستقرء من عادة العرب فى إيعاداتها كما قال الشاعر:

وإنى اذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

وقد أخبر النبى ﷺ عن ذلك كما أخرجه البيهقى عن أنس رضى الله عنه أنه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار إن شاء عذبه وإن شاء غفر له اهـ.

[ومنها] تفسير قوله تعالى [ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك] وقوله ﷺ «لبيك ربى وسعديك والخير كله بيديك

والشر ليس إليك » بان معنى الآية ما أصابك أيها الإنسان من نعمة دنيوية أوأخروية وأجلُّها الإيمان فمن الله أتتك تفضلا منه وما أصابك من بلية وأمر تكرهه فمن الله أتتك بسبب نفسك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب فهي عقوبة لك كما قال تعالى [وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم] والكل من عند الله كما قال تعالى [قل كل من عند الله] أي الخصب والجدب والنصرة والهزيمة كلها من عند الله ، وأما الحديث فمعناه كما قال النووى أن الشر لاينسب اليه قولا من العباد تأدباً مع ربهم فلا يقال ياخالق الشر كما لا يقال ياخالق الكلب والخنزير وإن كان خالقهما .

المعجزات والكرامات من فعله تعالى

واعلم أن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء من فعل الله تعالى وبإذن الله يجريها على أيديهم لنفع العباد من تقوية مريد في إيمانه ويقينه وهي شاهدة بكمال اتباع الولي لنبيه ، قال ابن علان في التوقيف الكرامة اسم للإكرام وهو إيصال الشيء الكريم أي النفيس إلى المكرَّم ، والكرامة أمر خارق للعادة من قبل شخص غيرُ مقارن لدعوى النبوة فما لايكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح استدراج وما قرن بدعوى النبوة معجزة اه فاقتران الكرامة بالاستقامة شرط فهي للولي كالمعجزة للنبي ، والأولياء هم العارفون بالله تعالى حسبما يمكن المواظبون على الطاعات المجتنبون للمعاصي المعْرِضون عن الانهماك في اللذات والشهوات فحينئذ الكرامات جائزة لهم اه .

وإذ علمت أن ما يجري على أيدي الأولياء من الكرامات ليس لهم فعل فيه ولا تصرف ولا قدرة لهم عليه وإنما هو فعل الله تعالى وبإذنه وبقضائه وقدره

كسائر الأمور التي يخلقها الله . فاعلم أنهم موقنون بأن جميع أحوالهم وإراداتهم وتوجهاتهم فائضة من بحر التقدير الإلهى ومن عين الكرم والجود والفضل الربانى مسترشدين فى ذلك بإشارة قوله تعالى لنبيه ﷺ (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) . (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) ونحو ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى . وما هم فى الخوارق التى يجريها الله على أيديهم إلا مظاهر قدرته ودلائل عزته . كيف ومن تأمل كتاب الله وسنة رسوله رأى شديد غيرة الله على من نسب لغيره ضرا أو نفعا أو حياة أو موتا أو غير ذلك من الأمور السماوية وغيرها مما لم يجعل تدبيرها إلى الخلق .

وبالجملة أولياء الله مظاهر علمه وقدرته وإرادته فما يصدر عنهم ظاهراً مع أنهم معزولون عن ذلك عبودة وعبودية فمن يعتقد فيهم التأثير كمن يعتقد التأثير للأرواح والكواكب والنفوس والعقول المعبر عنها بالملائكة . ولا شك أنه غير مؤمن وجاهل بأن هذه الكائنات معزولة فى نفس الأمر عن ذلك وإنما هى جداول الإرادة والقوة والتصرف الإلهى فقط . وفى الحديث فى أثر سماء : أصبح من عبادى مؤمن وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب .

اعتقادات العامة فى الأولياء

وقد فشت فى العامة اعتقادات فاسدة فى أولياء الله فإن مرضوا قالوا هذا صدر من فلان وإن شفوا قالوا من بركة سيدى فلان فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله ونذروا لهم من دون الله واستسقوا بهم من

دون الله فإن أجرى الله سبحانه الوادى قالوا شيء لله يافلان وإن قبض عنهم المطر قالوا حمقة فلان ، والله سبحانه القابض الباسط المحي المميت وكل شيء بيده من ملك وملكوت . ولو ذهبنا نتكلم بما فى الكتاب والسنة من التحذير من ذلك لعرف الناس أنهم قد هلكوا وأكثر هؤلاء بل كلهم أتباع الدجال نعوذ بالله من الضلال .

* * *

ويقع من هؤلاء فى زيارة قبور الأولياء وغيرهم كثير من هذه الجهالات والمآثم المنكرة هذا ماقاله العلامة الشيخ عبد الخالق الزجاجى الزبيدى ونقله عنه الشيخ أحمد الحفظى فى شرح قصيدته ولا شك أن أهل الجرأة من هؤلاء الذين لايبالون جزيعة الكفر يخرجون بذلك عن الإسلام وأما أكثر العامة الذين لم يبلغوا هذه الدرجة فهم آثمون ولكنهم لايخرجون بذلك عن الإسلام .

قال العلامة عبد الله بن خليل الزبيدى فى كتابه تحذير المهتدين عن تكفير الموحدين : واعتقاد العوام ـ أن الرزق والخير والشر من الله والنفع والضر بيد الله ومن ادعى أن اعتقادهم خلاف ذلك فعليه البيان لأن إيمانهم متيقن واليقين لايزول بالظن فضلا عن الشك والوهم فلا يجوز إساءة الظن بمسلم ويكفى فى حملهم على السلامة كونهم موحدين فإن الإيمان نور يقذفه الله فى قلب من يريد أن يهديه اهـ .

وفى جواب للسيد عبد الرحمن مفتى اليمن ولا يصح الحكم على جميع العوام أنهم يعتقدون أن لغير الله دخلا فى نفع أو ضر وإنما إذا علم من أحد معين ذلك أرشده العالم بذلك إلى الصواب وذلك لأن الأصل حملهم على السلامة لأن إيمانهم متيقن اهـ .

وأما ما ذكره من أفعالهم القبيحة فالواجب على من قدر على النهى أن ينهاهم عنها ويجتهد فى دفعها وإزالتها ، والزائر والمزور ينتفعان بالزيارة وفى الجمع أولى إذا كانت الزيارة غير مصحوبة بشىء من المنكرات والله أعلم.

زيارة الأولياء وأثرها فى النفوس

اعلم أن فى زيارة الأحياء من الأولياء والصالحين فوائد جليلة منها طلب بركة دعائهم وبركة النظر اليهم ، والنظرُ فى وجوه العلماء والصلحاء عبادة . وتحقيق الرغبة فى الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم . والاستفادة بعلومهم وإشاراتهم . كيف وهم إخوان فى الله وفضل زيارة الإخوان فى الله مشهور لاينكر .

وأما زيارة قبورهم فمستحبة للدليل العام الدال على استحباب زيارة القبور ولكون قبورهم مثوى أرواح طاهرة وأجسام طاهرة زاكية ومهبط رحمات وبركات . وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته كما أفاده الإمام الغزالى فى كتاب السفر من الإحياء .

وقد ذكر بعد ذلك أنه يجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع منه حديث « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » لأن ذلك فى المساجد لإفادة أنها متماثلة بعد هذه المساجد الثلاثة فلا تشد اليها الرحال وانما تشد الرحال لما له خصوصية منها وهو هذه الثلاثة لا غير .

وفى قواعد الصوفية للشيخ أحمد زروق : وكان شيخنا يقول اذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم

عليه بالخروج من الدنيا . فزيارتهم تهنئة لهم وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم فهى إذاً مستحبة اذا سلمت من محرم ومكروه كاجتماع النساء وتلك المنكرات التى تحدث هناك . وبمراعاة آداب الزيارة من ترك التمسح بالقبور وعدم الصلاة عند القبر للتبرك وان كان عليه مسجد للنهى عن ذلك وتشديده فيه ، ومراعاة حرمة الولى ميتاً كما تراعى فى حياته اه بتصرف .

وخرج بقوله للتبرك بالصلاة ما كان لغير التبرك بل لأداء تحية المسجد أو فريضة أو نافلة .

* * *

وعن الفخر الرازى فى المطالب فى بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى : أن الإنسان اذا ذهب الى قبر إنسان قوىّ النفس كامل الجوهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثر فى نفسه من تلك التربة . تعلق بها ولا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بها أيضاً فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحى ولنفس الميت المزور ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فكل ماحصل فى نفس الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضا بقضائه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحى ، وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ولروح المزور ، فهذا هو السبب والأصل فى مشروعية الزيارة ولا يبعد أن يحصل منها أسرار أخرى أدق وأخفى وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى اه .

ونقل الحفظى عن الدهلوى فى شرح المشكاة ماخلاصته أن النقل فى فضل

زيارة قبور الأولياء والصالحين كثير عن الصوفية ولم يعرف فى السنة ما ينافيه كيف وقد ثبت فى الشريعة أن الروح باقية بعد الموت ولها شعور بالزائرين، وأرواح الكمل قريبة من جناب الحق تعالى كما كانت فى الدنيا أو أتم اهـ .

التوسل بالأنبياء والأولياء

(سئل) العلامة عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكى عن التوسل بالأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين هل هو مستحب؟ وهل هناك فرق بين كونهم أحياء أو أمواتاً ؟ وهل يجوز إسناد الفعل اليهم من غير اعتقاد تأثيرهم نفعاً وضرا ونحو ذلك ؟ (فأجاب) بالجواز فى جواب جامع شاف مستدلا بما جاء فى الحديث القدسى « مازال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل إلى آخره ثم قال بعده ولأن الله تعالى اجتباهم وارتضاهم واصطفاهم واختصهم بكمالات ومعارف ومزايا لم يجعلها لغيرهم فمن قال اللهم إنى أتوسل اليك برسلك وأنبيائك وأوليائك ونحو ذلك فإنما يريد باجتبائك وارتضائك واصطفائك واختصاصك إياهم بالرسالة والنبوة والولاية ونحو ذلك وهذه صفات أفعال لله تعالى فالتوسل بهم فى الحقيقة توسل بهذه الصفات والتوسل بها ليس توسلا بغير الله تعالى من مخلوقاته وحينئذ فلا فرق بين النبى ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء ولا بين كونهم أحياء أو أمواتا على أن الشهداء أحياء بالنص فالأنبياء أولى اهـ ملخصاً .

قال ابن علان فى حاشية الأذكار عند الكلام على حديث « اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك » أى بالحق الذى جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذى لا يخلف . وفيه جواز التوسل بحق أرباب الخير على سبيل العموم من السائلين ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون . أما السؤال بحق معين

فمنعه ابن عبد السلام إلا بحقه ﷺ لمزيد كرامته دون غيره . وأجازه آخرون حتى بالأولياء والعارفين .

عقيدة آل باعلوى سنية سنيّة

وقد طال الكلام فى هذا الذكر لأن بعضه مما يلزم بيانه لما فى مسئلة خلق الأفعال من الإشكال وكثرة الفروع وما ذكرناه هو العقيدة السنيّة الأشعرية التى هى عقيدة صاحب الراتب وعقيدة سلفه من أهل البيت النبوى رضى الله عنهم وهى كما قال العقيدة التى عليها الصحابة وخيار التابعين وهى بحمد الله عقيدتنا وعقيدة إخواننا السادة الحسينيين آل باعلوى وكان جدهم الإمام احمد ابن عيسى بن محمد بن على بن الإمام جعفر الصادق لما رأى ظهور البدع وكثرة الأهواء بالعراق هاجر منها إلى حضرموت فبارك الله فى عقبه حتى اشتهر منهم الجم الغفير بالعلم والعبادة والولاية والمعرفة ولم يعرض لهم ما عرض لجماعات من أهل البيت النبوى من انتحال البدع - ببركات هذا الإمام وفراره بدينه من مواضع الفتن اهـ — وحفظهم الله وحفظ بهم مما ذهب إليه أصحاب الاعتزال والجبر ومما نسبه بعضهم إلى أئمة الصحابة رضى الله عنهم من الهنات فقد قال الإمام القطب أبو بكر بن عبد الله العيدروس باعلوى كما نقله عنه تلميذه الإمام بحرق «فى مواهب القدوس فى مناقب العيدروس» ما معناه والله لو بعث الله لى والدى عبد الله بن أبى بكر وقال بخلاف ما عليه أهل السنة من ترتيب فضيلة الخلفاء الأربعة ما تبعته عليه اهـ .

الذكر الثالث عشر

(آمنّا بالله واليوم الآخِر . تُبنا إلى الله باطناً وظاهراً « ثلاثا »)

ثم إن صاحب الراتب ـ نفع الله به ـ لما قرر الجملة الأولى التى ابتدأها بالبسملة المشيرة إلى قيام الموجودات وذراتها كلها به تعالى ثم بالحمدلة المشيرة إلى أن له الكمال المطلق ولا نقص فيما دبره وقدره ومن جملته أن الخير والشر كائن بقضائه وقدره ـ أتى بما هو أعم فى هذا الذكر وهو .

« آمنا بالله واليوم الآخر تُبْنا إلى الله باطناً وظاهراً »

فالإيمان هو التصديق بالقلب قال تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أى مصدق لنا والإيمان بالله التصديقُ بجميع عقائد الإيمان مما يجمع الواجب والمستحيل والجائز فى حقه تعالى وحق رسله تفصيلا فيما يجب علمه تفصيلا وإجمالا فيما يكفى فيه العلم الإجمالى فإن صفاته وأسماءه تعالى لا يحاط بها ولا تتناهى كما يشير إلى ذلك حديث « اللهم إنى أسألك بكل اسم هو لك » إلى أن قال « أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » وأسماؤه وصفاته كذاته العلية لا يدرك كنهها . وإذا تعذرت الإحاطة بمعلوماته بنص قوله (ولا يحيطون بشىء من علمه) فكيف يحاط بذاته وصفاته ، فقوله (آمنا بالله) أراد به التذكر والتذكير والاتصاف بمعانى الإيمان وخصائصه لا بمجرد الإخبار فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى (واليوم الآخِر) أى وآمنا باليوم الآخر وهو من بعد الموت إلى آخر ما يقع يوم القيامة من دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيدخل فيه الإيمان بحياة البرزخ وما فيه من النعيم والعذاب وبالبعث والحساب والميزان والصراط والحوض والجنة والنار .

وللإيمان مراتب ودرجات وأعلاها إيمان الأنبياء والملائكة ويليهم كل الصديقين من الصحابة وغيرهم ؛ ولكل درجات مما عملوا ، قد علم كل أناس مشربهم .

ولما كان الإيمان بالله واليوم الآخر يستلزم دوام تعظيمه تعالى وشهودَ جلاله وعلوِّ كماله وتعظيمَ ماعظمه الله من ملائكته وأنبيائه وكتبه وتلقِّي مراداته تعالى بالصبر والرضا وذلك من الصعوبة بمكان والوفاء به بعيد الإمكان كان التقصير لزاماً للانسان فاقتضى اللجوء إلى الله تعالى بالتوبة ولذا عقبه بقوله (تبنا إلى الله باطنا وظاهراً) .

وكأنه لمح إلى أمر الخاتمة إذ حقيقة السعادة والشقاوة مبنية على سابق العلم بها فهى أولى بالخوف منها والمراعاة لها ولهذا عظم خوف الأكابر مما هو مذكور عنهم فى مظانه .

ولما ذكر رضى الله عنه فى نصائحه معنى التقوى فى قوله تعالى (واتقوا الله حقَّ تُقاته)قال ولن يستطيع العبد العامل لله ولو كان له ألف ألف نَـفْس إلى نفسه وألف ألف عمر إلى عمره أن يتقى الله حق تقاته ولو أنفق جميع ذلك فى طاعة الله تعالى ومحابِّه وذلك لعظم حق الله تعالى على عباده ولجلال عظمة الله وعلو كبريائه وارتفاع مجده ، وقد قال أفضل القائمين بحق الله تعالى وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم اعترافا بالعجز عن القيام بإحصاء الثناء على الله تعالى « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، وقد بلغنا أن لله سبحانه ملائكة لم يزالوا منذ خلقهم فى ركوع وسجود وتسبيح وتقديس لا يفتُرون عنه ولا يشتغلون بغيره فإذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ولك الحمد ماعرفناك حق معرفتك ولا

عبدناك حق عبادتك . اهـ فحينئذ يلزم كل مؤمن بالله ورسوله ﷺ تجديد التوبة وتحقيق معناها والقيام بشروطها فى كل وقت وحال لأن لله تعالى على العبد فى كل نفس من أنفاسه نعمة عليه لا يقدر قدرها ولا يقوم بشكرها ومن أعظمها نعمة الإسلام والإيمان فهى أعظم نعمة وأجل نحلة كما قال رضى الله عنه نحن فى رَوْح وراحة وحبور واستراحة، نعمة الإسلام أكبر نعمة حلت بساحة ، وقال الآخر سبحان من لو عنينا بالسجود له على العيون أو المحمى من الإبر لم نبلغ العشر من معشار نعمته ولا عشراً من العشر ، وقال القطب الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى رضى الله عنه وشاكرها يحتاج شكراً لشكرها كذلك شُكْرُ الشكر يحتاج لشكر وهكذا .

والحاصل أن التوبة تسمى باب الأبواب لأنه لا يوصل إلى حقيقة مقامات اليقين إلا من بابها وهى سبب وواسطة فى تخلص النفس من رعوناتها وفى ارتفاع حجابها ، وحقيقتُها هى الرجوع من حال النقص والفتور إلى طلب الكمال بالعمل الخالص المبرور ، ومن طريق البعد إلى طريق القرب ، ومن حال الموت بالغفلة والجهل والإعراض والإدبار إلى حال الحياة الطيبة واليقظة للعمل الصالح بالعلم على الدوام والاستمرار ، وإنما يبعث عليها العلم والإيمان واليقين ولذا قرنها صاحب الراتب فى هذا الأمر بالإيمان إشعاراً بأن الإيمان باعث عليها وكذا اليقين الذى هو أعلى ، ومن لازم الثلاثة العلم فإنه لا يتم ولا يصح عمل ولا مقام إلا به ، قال الإمام احمد بن زين الحبشى باعلوى فى شرح العينية : التوبة أول خُطوة للسالكين طريق الله وسبيلَ معرفته تعالى فى ذاته وصفاته العُلى وأسمائه الحسنى ونعوته العظمى ، وإليه أشار الناظم بالحمَى الأمنع . فالتوبة أول أسباب محبة الله ومعرفة جماله وجلاله ولا يسلك طريقه وسبيل رضاه إلا

أهل محبته فإنه يحب التوابين وما كل حوض مورود ولهذا قال الناظم .
بالحمى الأمنع . انتهى .

وأما دلائل الترغيب فى التوبة والحث على الاعتناء بها من كل مؤمن من الآيات والأخبار والآثار . فبحر لايدرك غوره ولا يحاط به وقد أشبع القول فيها الإمام الغزالى فى كتاب التوبة من الإحياء ، وهنا نورد بعضاً منه تبركا قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) — ((يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أى خالصة صادقة غير مشوبة بما يكدرها من المخالفات ولا بما يشوبها من الانهماك فى الشبهات والشهوات وقال تعالى (إن الله يحب التوابين) أى كثيرى التوبة التى هى الرجوع إلى الله والإقبال على طاعته (ويحب المتطهرين) أى عن رذائل الأخلاق ، وقيل إنما شقى إبليس بخمس خصال لأنه لم يقر بذنبه ولم يندم عليه ولم يلم نفسه ولم يبادر إلى التوبة وقنط من رحمة الله تعالى ،أما آدم عليه السلام فأسعد بخمس . أقرّ بذنبه وندم عليه ولام نفسه وبادر إلى التوبة ولم يقنط من رحمة الله اه . وأقاويلهم فى التوبة لاتنحصر ونفعها فى الدنيا والآخرة ثابت بالكتاب والسنة وقد مرّ أن أقسام التوجه إلى الله تعالى ثلاثة أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة .

وأما قول صاحب الراتب ـ باطنا وظاهراً ـ فمعناه توبة يظهر أثرها فيهما . ففى الباطن بأن يعتقد أنه ناقص المعرفة قاصر فى العلم والعمل وفى كل ما يزكو بها كالإخلاص والإجلال لله تعالى وذلك بنفى الرياء والعجب وغير ذلك فقد قال تعالى (يعلم ماتسرون وماتعلنون) وفى الحديث ((من أسر سريرة ألبسه الله رداءها)) وفى حديث آخر ((ولو أن عبداً اتقى الله فى جوف بيت إلى سبعين بيتاً على كل بيت باب من

حديد إلا ألبسه الله رداء عمله » وقال ما أضمر عبد خوفا لله تعالى فى قلبه إلا ظهر ذلك على صفحات لسانه،وكان على زين العابدين رضى الله عنه يقول : إذا نصح العبد لله فى سره أطلعه الله تعالى على مساوئ عمله فيتشاغل بذنوبه عن معايب الناس ، وكان ميمون بن مهران رضى الله عنه يقول : إن علانية بغير سريرة صالحة كـكنيف مزخرف من خارجه ، وكان يحى بن معاذ يقول القلوب كالقدور ومغارفها ألسنتها ، ومن دعائه ﷺ اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى .

وأما فى الظاهر فبأن يظهر عليه آثار التوبة من الخضوع والإخبات والخشوع والوقار والسكينة وغير ذلك من الاخلاق التى هى من شأن التائبين الراجعين القانتين كما مر عن شرح العينية أن التوبة النصوح الخالصة الصادقة تقتضى أكثر مقامات اليقين الناشئة عن حسن المجاهدة وعلو الهمة فى الإقبال على الطاعة والإعراض عما سوى الله وذلك علامة التوبة النصوح نسأل الله تعالى أن يتوب علينا توبة نصوحا .

(تنبيه)درج قراء الراتب على الوقف على كلمة «ظاهرا» بالسكون لمناسبة السجع وهو شائع فى مثله فى لغة ربيعة :

الذكر الرابع عشر

(يا ربنا واعفُ عنا وامحُ الذى كان منا « ثلاثا »)

ولما أتى بهذه الصيغة المارة التى المقصود منها انشاء التوبة بلفظ الإخبار أكدّ ذلك بهذا الذكر ففيه أيضاً طلب التوبه لأن العفو منه تعالى التجاوز عن السيئات ومحوها وهو أبلـــغ من الغفران لأن الغفر ينبئ عن الستر

مع بقاء الشيء والعفو ينبيء عن المحو والإزالة للشيء ولذا عقب طلب العفو بطلب المحو الذى هو من لازمه ، قال الامام أبو القاسم القشيرى قدس سره فى شرح اسماء الله الحسنى: من عرف أنه تعالى عفوٌّ طلب عفوه ومن طلب عفوه تجاوز هو عن خلقه فان الله تعالى بذلك أدبهم وإليه ندبهم فقال عزَّ من قائل (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) وان الكريم إذا عفا حفظ قلب المسئ عن الإستيحاش بتذكيره سوء فعله بل يزيل عنه تلك الخجلة بما يسبل عليه من ثوب العفو ويفيض عليه من نور الصفح ، وعفو الله تعالى عن العباد ليس مما يستقضى بالعبارات كنه معانيه، واعلم أن انبياء الله المعصومين وأولياءه المحفوظين لايزالون يطلبون العفو عن الذنوب والمحو لها لشهودهم النقص فى أحوالهم والتقصير فى علومهم وأعمالهم كما مرَّ فى الكلام على قوله ﷺ «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وإلى ذلك يشير صاحب الراتب نفع الله به من حيث رؤية النقص فى العلم والعمل مع ما أعطى من مقام الصديقية التى لا درجة فوقها إلا درجة النبوة وذلك عند ذكره المكاشفات بالأسرار الغيبية والعوالم الملكوتية فى قوله .

ورأيت سراً لم يُجزْ إفشاءَه	أهل الهدى والنور والتثبيت
إنَّا لنعلمه ولمَّا نحظ به	ذوقاً لما معنا من التشتيت
والشوق منا لا يزال منازعاً	والأمر بالتقدير والتوقيت

وقد قيل للوارث فى ذلك حكم الموروث وذلك فى جميع مقامات اليقين ودرجات الايمان والإحسان ، وما ينقل من ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وعمن بعدهم من التابعين من شهود النقص مع المبالغة فى تأدية الأعمال بالكمال مشهور عنهم لأنهم كانوا متسربلين بغاية الخوف والهيبة لجلال الله تعالى فقد قيل إن الصديق رضى الله عنه كان إذا تنفس يشم منه رائحة الكبد

المشوى ، ويذكر عن عمر رضى الله عنه أنه قال ياليتنى كنت كبشاً سمنه أهله وذبحوه ، وينقل عن زين العابدين رضى الله عنه أنه كان إذا قدم إليه ليتوضأ يصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة يرتعد كالسعفة إذا حركها الريح فقيل له فى ذلك فقال أتدرون بين يدى من أقوم ؟ولما حج قيل له لم لم تلب ؟ قال أخاف أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك، وفى الحديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله » ولما سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة)أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال لا ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون فى الخيرات .

فحينئذ طلب العفو ومحو الذنوب من المهم الذى يتوجه طلبه على كل أحد وقد أرشد عليه الصلاة والسلام إلى الدعاء فى ليلة القدر بقوله «اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » وقال ﷺ «سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافيه» ولعمه العباس رضى الله عنه سل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

تنبيه

الواو فى «واعف» ثابتة عند جميع من يحفظ الراتب وقد روى إثباتها بحضور صاحبه رضى الله عنه كما أفاد ذلك العارف بالله عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوى .

الذكر الخامس عشر

(ياذا الجلال والإكرام أمِتْنا على دين الإسلام « سبعاً »)

ولما كانت موارد هذا الراتب فائضة من لجة بحر التوحيد ومعارفه التى يستهتر بها أرباب التجريد ويستأنس بنشرها أصحاب التفريد ويستغرق بعطلها كل بر سعيد وكان الأكابر الأجلة شأنهم الاهتمام بأمر الخاتمة — حسن هنا أن يسأل الله تعالى حفظَ الإيمان والموتَ على دين الإسلام فقال « ياذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام » دعا الله تعالى بالإسمين الجليلين (ذى الجلال) أى مَن شأنه القهر والعدل (وذى الإكرام) أى الذى من تجلياته الفضل والنعم ليجمع الذاكر بين الخوف والرجاء ويتم الخضوع والافتقار عند التضرع والالتجاء، قال المناوى: الجلال احتجاب الحق عنا بعزته والجمال تجليه برحمته وذو الجلال لا يستعمل فى غيره بخلاف الجليل فهو العظيم القدر والجلال من الصفات التى تتعلق بالغير ، وأما دين الإسلام فهو الدين الحنيفى الذى لا يقبل الله غيره فمن أتى به ربّه فاز الفوز العظيم ومن أتاه بغيره فمأواه جهنم ومصلاه الجحيم . وسمى دينا لأن الله تعالى يدان أى يعامل به ، ويسمى أيضاً شريعة مأخوذة من مشرعة الماء وهى محل ذهابه لأنه يذهب العامل على طريقها المستقيم فيوصله إلى الجنة ، وتسمى الشريعة أيضا بالملة لأنها تملى وتتلى قال تعالى (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) وسيأتى قريبا من كلام صاحب الراتب فيما يرشد طالب السلامة وحفظ الإيمان والراغب فيما يقويه ويشد مبانيه ويوطد أركان معانيه جملةً صالحةً ، وقد قدمنا أن من شأن العارفين الخوف مما يعرض للإنسان مما يحبط أعماله ويسلب إيمانه والعياذ بالله تعالى فقد روى

أنه ﷺ كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا له رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هذا الرجل هو الذى وصفناه فقال رسول الله ﷺ أرى على وجهه سُفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي ﷺ نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت أنهم ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ فى دعائه اللهم إنى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له : أتخاف يارسول الله فقال وما يؤمننى والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء وقد قال تعالى (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) قيل عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات . وقال السَّرِىّ السَّقطى لو أن إنسانا دخل بستانا فيه جميع الأشجار وعليها جميع الأطيار فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيراً فى يديها فلهذا كان العارفون يخافون من نقص الأعمال ويخافون سوء الخاتمة فكان الصحابة رضى الله عنهم يخافون النفاق . قال ابن أبى مليكة أدركت مائة وثلاثين أو مائة وخمسين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخافون النفاق ، ثم إذا علمت أن الجلالَ هو القهر ، والإكرامَ هو الشرف فهو تعالى الذى لاشرف ولا كمال إلا وهو له ولا كرامة ولا تكرمة إلا وحقيقتُها له ومنه فهو المستحق للتواضع والتذلل لجنابه ولا يُشكرُ غيرُه ، قال ابن علان فى شرح الرياض : الجلال هو النعوت القهرية كالانتقام والقهر والجبر من المنتقم القهار العزيز الجبار والإكرامُ هو النعوت الجمالية كالكريم الستار الرؤف الرحيم انتهى؛ وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام وأَلِظُّوا بفتح الهمزة

وكسر اللام وتشديد الظاء معناه الزموا هذا الذكر وأكثروا منه ، هكذا ضبطه الإمام النووي رضى الله عنه ، وقد قال كثير من العلماء إنه اسم الله الأعظم واستدلوا بما روى أنه ﷺ سمع رجلا يقول ياذا الجلال والإكرام قال قد استجيب لك ، وقال الإمام البغوى فى تفسير قوله تعالى (قال الذى عنده علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيا عن مقاتل ومجاهد أنه قال ياذا الجلال والإكرام اهـ . ولهذا توسل به صاحب الراتب فى أن ينيله الغرض الأقصى الذى هو سبب السعادات الأبدية والكرامات الإلـهية فقال أمتنا على دين الإسلام أى دين الحق الذى ارتضاه لخاصة عباده ، وزاد فى تكريرها سبعا اهتماماً بشأن الختم على الإسلام ولكون السبع فى الآحاد من أعداد الكثرة كالسبعين فى الأعشار ، وقد ورد النص على السبع فى كثير من الأذكار ولاختصاص كثير من الموجودات بعددها كالسموات السبع والأرضين السبع وغير ذلك اهـ .

تنبيـــه

روى عن صاحب الراتب لفظ « أمتنا » بإثبات الهمزة فعل أمر من أمات وحرّفه بعض القراء فقالوا متنا بكسر الميم بدل أمتنا وعلله بعضهم بأنه لتخفيف الثقل مع ادراج كلمات هذا الراتب ومراعاة تعادل الوزن بين السجعات لا سيما مع قراءته بالجمع .

ثم اعلم أن صاحب الراتب رضى الله عنه لكونه من الأئمة العارفين بجلال الله وعظمته وكبريائه وأنه تعالى الفعال لما يريد وبيده الخير والشر والسعادة والشقاوة وأن القدر سرٌّ من أسرار الله تعالى ضربت دونه أستار اختص

الله بها وحجبها عن عقول خلقه حتى الأنبياء والملائكة والأولياء ولا ينكشف ذلك إلا بعد الموت على الاسلام — قد اهتم بسؤال الموت على الاسلام إذا العارفون أكثر الناس خوفا من سوء الخاتمة من غيرهم . وأكثرهم سؤالا لحسنها كما بين ذلك فى نصائحه فقال : اعلم أنه كلما كان الإيمان أقوى والعمل أصلح كان الخوف أكثر ، وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ كان الخوف أقل والأمن والاغترار أغلب فاعتبر ذلك فى نفسك وغيرك تجده بيناً ، وعلى الجملة فإن المؤمن الصادق هو الذى يعمل بالصالحات ويخلص فيها ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله تعالى ويجانب السيئات ويبعد عنها ويخاف أن يبتلى بها ويخشى العقاب على ما عمله منها ويرجو المغفرة من الله تعالى بعد التوبة والإنابة إلى الله تعالى فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المخلّطين وأمره فى غاية الخطر فافهم هذه الجملة وطالب نفسك بها تنجح وتفز إن شاء الله تعالى إلى آخر ما ذكره ، وقال قبل ذلك فى مبحث ذكر الاسلام : وليس يقدر الانسان على أن يميت نفسه على الإسلام ولكن قد جعل الله له سبيلا إلى ذلك إذا أخذ به كان قد أتى بالذى هو عليه وامتثل ما أمرهُ به وهو أن يختار الموت على الإسلام ويحبه ويتمناه ويعزم عليه ويكره الموت على غيره من الأديان ولا يزال داعياً ومتضرعا وسائلا من الله أن يتوفاه مسلماً وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف عليه السلام (أنت وليّ فى الدنيـــا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

وعلى الانسان الاجتهاد فى حفظ إسلامه وتقويته بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى فإن المضيع لأوامره تعالى متعرض للموت على غير الاسلام فإنّ تركه لذلك دليل على استهانته بحق الدين وعلى الاستخفاف به فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر .

وعليه أيضاً أن يجانب المعاصى والآثام فإنها تضعف الاسلام وتوهنه وتزلزل قواعده وتعرضه للسلب عند الموت كما وقع ذلك والعياذ بالله لكثير من الملابسين لها والمصرين عليها ،وفى قوله تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) ما يدل على ذلك فتأمله وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه وإن وقعت فى شىء منها فتب إلى الله منه واحذر كل الحذر من الإصرار عليه ولا تزل سائلا من الله تعالى حسن الخاتمة فقد بلغنا أن الشيطان لعنه الله يقول قصم ظهرى الذى يسأل الله حسن الخاتمة .

وأكثر من الحمد والشكر على نعمة الإسلام فإنها أعظم النعم وأكبرها فإن الله تعالى لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبداً ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا لم يضره ذلك لأن الأول يموت فيصير إلى النار وهذا الثانى يموت فيصير إلى الجنة ،وعليك أن لا تزال خائفاً وجلامن سوء الخاتمة فإن الله مقلب القلوب يهدى من يشاء ويضل من يشاء وقد كان السلف الصالح فى غاية الحذر من خاتمة السوء مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم .

واعلم أنه كثيراً ما يختم بخاتمة السوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة والزكاة الواجبة والذين يتتبعون عورات المسلمين والذين ينقصون المكيال والميزان والذين يخدعون المسلمين ويغشونهم ويلبسون عليهم فى أمور الدين والدنيا والذين يكذبون أولياء الله وينكرون عليهم بغير حق والذين يدعون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة،ومن أخوف ما يخاف منه على صاحبه سوء الخاتمة ــ البدعة فى الدين وكذلك اضمار الشك فى الله ورسوله واليوم الآخر فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر

ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، اللهم يا أرحم الراحمين نسألك بنور وجهك الكريم أن تتوفانا مسلمين وأن تلحقنا بالصالحين فى عافية يا رب العالمين .

واعلم أن العلماء نصوا على أن كل ما ورد فيه من الأخبار دخول الجنة أو النجاة من النار أو الموت على الإسلام أو الجواز على الصراط أو شفاعة النبى ﷺ أو مرافقته أو الورود على حوضه عليه ﷺ فكل ذلك من أسباب حسن الخاتمة وكذا الشهادة الأخروية والإستظلال بظل العرش يوم القيامة وتفريج كربة من كرباته وكل ماتضمن كرامة أخروية.

قال الإمام أحمد بن علوى با حسن با علوى نفع الله به . وكذا ما ضاهى ذلك من المبشرات بحسن الخاتمة ان وفق للعمل بموجبه كما نص عليه النووى وغيره من الأئمة إذ الكرامة ثمة إنما ينالها من مات على الإسلام دون غيره اهـ .

وذكر من أسباب ذلك هو وغيره الملازمة بعد كل صلاة لقراءة الفاتحة وآلم . إلى المفلحون ، وإلهكم إله واحد . الآية ، وآية الكرسى ، وآمن الرسول إلى آخر السورة ، وشهد الله . إلى العزيز الحكيم . ويقول بعده وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ، وإن الدين عند الله الإسلام ، وقل اللهم مالك الملك إلى بغير حساب ، والإخلاص عشراً ، والمعوذتين مرة مرة ، وذكر العارف بالله تعالى السيد عبد الله ميرغنى أن هذه الأذكار من الأسباب الحاتمة لحصول حسن الخاتمة ، ومنها أذكار الوضوء ومن ذلك صدقة السر فأنها تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء . ومنه سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وزنة العرش صباحاً ومساء ثلاث مرات ، ومنه زيارة رسول الله ﷺ وسؤال الوسيلة ، ومنه السلام فى يوم أو ليلة على عشرة

أو عشرين مسلماً مجموعين أو فرادى وإطعام اليتيم وسؤال الجنة ثلاثاً والأذآن اثنتى عشرة سنة وإخراج الأذى من المسجد وإسباغ الوضوء فى الليلة الباردة — والإهلال بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى والاتيان بسيد الإستغفار صباحاً ومساء وإنفاق زوجين فى سبيل الله أى شيئين من كل شىء والتحميد والترجيع عند موت الولد وموت الطفل للإنسان وصلاة مائة شخص أو أربعين ثلاثة صفوف على الميت والصبر عند الصدمة الأولى وصيام ثمانية أيام من شهر رجب وصلاة أربع ركعات فى الجامع يوم الجمعة بالإخلاص فى كل ركعة خمسين مرة ورمى سهم أو صنعته فى سبيل الله تعالى وتعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله تعالى فيتعلمهن أو يعلمهن ، ومن ذلك إحسان الوضؤ ثم صلاة ركعتين يقبل بقلبه وبوجهه عليهما ويقول رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً — والجلوس فى مصلاة بعد صلاة الفجر ذاكراً حتى تطلع الشمس وقراءة خواتيم سورة البقرة من ليل أو نهار والموت من يومه أو ليلته وقراءة أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت — وفى رواية إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل . اللهم ... إلى آخره ويجعلهن آخر ما يتكلم به وفى رواية أخرى بلا ذكر الوضوء ومنه اللهم أعط محمداً الدرجة والوسيلة اللهم اجعل فى المصطفين محبته وفى العالمين درجته وفى المقربين ذكره وعقب كل صلاة مكتوبة قراءة — قل هو الله أحد ، والإستغفار فى رجب سبعين بالغداة وسبعين بالعشى بصيغة . اللهم اغفرلى وارحمنى وتب على . والأذان احتساباً سبع سنين وعند ختم القرآن . اللهم اختم لنا بخير وافتح لنا بخير . وفى السجود يا مقلب القلوب

ثبت قلبي على دينك. إلى غير ذلك ، والإمام السيوطي رحمه الله في ذلك مؤلف سماه أبواب السعادة في أسباب الشهادة — ختم الله لنا بذلك ولأحبابنا والمسلمين بلا محنة ولا فتنة آمين ربّ العالمين .

الذكر السادس عشر

(يا قويّ يا متين إكشف شرّ الظالمين « ثلاثاً »)

ولما فرغ رضى الله عنه من الذكر السابق وهو الالظاظ (١) بجلال الله وكرمه في أن يحفظ عليه دين الإسلام ويميته عليه وكان مقصود ذلك العمل والتعليم — أرشد إلى دعائه تعالى باسمين عظيمين يتوسل بهما في الجلب والدفع بأن يكشف شر الظالمين ، وذلك فيما يتعلق بالجملة السابقة(٢) من أسباب التخذيل والتثبيط من النفس والهوى والدنيا والشيطان الصادة عن الإستمرار فيما يُيَسِّرُ ويهيء أسباب حسن الخاتمة ، وما يتعلق أيضاً بالجملة الآتية(٣) من صلاح أمور المسلمين وصرف شر المؤذيين لأن تحصيل ما في الجملتين لا يتم ألا بكشف شر الظالمين لأنهم طريق إلى إيصال المكروه الديني والدنيوي والشيطانُ أشد حرصاً وأضر عداوة في إضلال المؤمن حتى ورد أنه يأتي المحتضرَ بماء زلال ويقول له قل لا إله غيري حتى أسقيك ولذلك قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى في التحفة ويجرع الماء ندباً بل وجوباً فيما يظهر إن ظهرت أمارات تدل على احتياجه له كان يهش إذا فعل به ذلك لأن العطش يغلب حينئذ لشدة الفزع اهـ .

---

(١) أي التزام تذكره والإكثار منه .

(٢) وهي الذكر الخامس عشر . (٣) وهي الذكر السابع عشر الآتي .

وقد نقل الخطيب الشربينى فى تفسيره عن الامام الرازى ما يدل على أن الاهتمام بكل ما يتعلق بالدين مقدم على كل شىء فقد قال فى آخر تفسيره فى الكلام على المعوذتين (لطيفة) وهى أن المستعاذ به فى السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهى قل أعوذ برب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات(١) وهى الغاسق والنفاثات والحاسد ، وأما فى هذه السورة أى قل أعوذ برب الناس فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث وهى الرب والمالك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة والفرق بين الوصفين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب فى السورة الثانية سلامة الدين ، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وان قلت أعظم من مضار الدنيا وان عظمت اهـ .

وعلى هذا ينبغى أن يقدر فى قوله « يا قوى يا متين اكف شر الظالمين » وفى قوله « أصلح الله أمور المسلمين صرف الله شر المؤذين » ملاحظة تحصين الإيمان والدين والسلامة من نقصه والحفظ من فتنته ثم يلاحظ بعد ذلك ما يعين عليه وما هو سبب له كما ذكره الامام الغزالى وصاحب الراتب نفع الله بهما فى مبحث الحب لله أن حب الصاحب والزوجة مثلا اللذين أعاناك على الدين فأحببتهما لذلك أن تلك المحبة محبة لله وقس على ذلك كل معين على الدين فتحبه وكل ما يصرف عنه أو يعين على المعصية فتبغضه ، فقوله رضى الله عنه يا قوى يا متين توسل إلى الله تعالى واستعانة بهذين الاسمين المعظمين أن يكفيه شر الظالمين لأنه لا قادر على دفعهم وكفاية شرهم إلا هو سبحانه وتعالى فهو ذو القوة المتين . والقوة القدرة التامة . والمتانة شدة القوة ، قال الامام الغزالى والله سبحانه وتعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوى ، ومن حيث إنه شديد القوة متين اهـ .

---

(١) فيه أنه أربعة أنواع فتأمل .

وقوله إكْفِ بكسر الفاء مع حذف الياء أمرٌ من الكفاية قال تعالى (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) قال المناوى وهى أى الكفاية إغناء المقاوم عن مقاومة عدوه بما لا يحوجه إلى دفع له اهـ .

والظالم هو كل معتد على الغير بغير حق إذ الظلم التصرف فى ملك الغير بغير حق أو هو وضع الشىء فى غير موضعه .

والظلم أنواع كثيرة ومن أقبحه ظلم النفس كما قال صاحب الراتب فى القصيدة التى مطلعها .

نعم عالم الأرواح خير من الجسم ... وأعلى ولا يخفى على كل ذى علم
أما لك قد أفنيت عمرك جاهدا ... بخدمة هذا الجسم والهيكل الرسمى
ظلمت وما إلا لنفسك يا فتى ... ظلمتَ وظلمُ النفس من أقبح الظلم

فمن حاد عن طريق الهدى وسبيل الرشد واتبع هواه وأخلد إلى دنياه فقد ظلم نفسه ، وجوارح كل انسان رعاياه وهو مسؤول عنها كما فى الخبر «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وفى الخبر الآخر «كل الناس يغدو فبائع نفسه» أى إلى الله عز وجل «فمعتقها» أى من رق الخطايا والمخالفات «أو موبقها» أى مهلكها وسيأتى فى الذكر الآتى بيان لذلك إن شاء الله تعالى

فائــــدة

كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يعلّم أصحابه لدفع الأعداء والنصر عليهم وكفاية شر الظالمين والمعتدين قول بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون اللهم اجعل كيدهم فى نحورهم واكفنا شرورهم وحسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ

حسبنا الله ونعم الوكيل . يقال ذلك دبر كل صلاة ،وقال إذا أردت السلامة من ظالم تدخل عليه فقل (وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وقد ورد التحصن من شر الأعداء والظالمين فينبغى تقديم الوارد على غيره فمما ورد أنه ﷺ إذا خاف قوما قال «اللهم انا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك فى نحورهم» وكان إذا خاف عدوا قال «اللهم اكفناه بما شئت» وورد أيضا ان من خاف سلطانا أو ظالما يقول « الله أكبر الله أعز من خلقه جميعا الله أعز مما أخاف وأحذر أعوذ بالله الذى لا إله إلا هو الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم كن لى جارا من شرهم جل ثناؤك وعز جارك ولا إله غيرك ثلاثا رواه الطبرانى وغيره .

الذكر السابع عشر

« أصلح الله أمور المسلمين صرف الله شر المؤذين — ثلاثاً »

وفى هذا الدعاء وراثة محمدية وخلافة عمرية لأن السعى فى مصالح المسلمين ودفع المضار عنهم والدعاء لهم بذلك تخلــق بالأسماء الجمالية وقد عُرفت الشريعة والملة والدين بأن تعلقها وفائدتها وورودها لصلاح أمور المعاش والمعاد، وصلاحُ أمور المسلمين هو استقامتهم والاستقامةُ لا تتم إلا بعدل الولاة واستقامتهم، ومن عداهم ممن له ولاية كالقضاة والحكام تبع لهم ، وصلاح العلماء أيضا له موقع عظيم فى صلاح الحكام والعامة ، وبعد هؤلاء يتعلق صلاح الخاصة بصلاح العامة بأن يكونوا ذوى أمانة فى معاملاتهم مع الحق والخلق لهم حظ من التقوى

يحملهم على أداء الحقوق والمسارعة إلى ماهو من حقائق الإيمان كالبر والإحسان. وأما إذا كانوا بالعكس من ذلك خرب العالم بتعطيل الحدود والحقوق وساءت الأحوال وهان الدين وذل أعزة المؤمنين، قال الإمام الحسن البصرى رضى الله عنه : الناس فى هذه الدنيا على خمسة أصناف العلماء وهم ورثة الأنبياء، والزهاد وهم الأدلاء، والغزاة وهم أسياف الله، والتجار وهم أمناء الله، والملوك وهم رعاة الخلق فإذا أصبح العالم طماعا وللمال جماعا فبمن يقتدى وإذا أصبح الزاهد راغبا فى الدنيا فبمن يستدل ويهتدى وإذا أصبح الغازى مرائيا فمن يظفر بالأعداء ويرجى وإذا كان التاجر خائنا فمن يؤمن ويرتضى وإذا أصبح الملك ذئبا فمن يحفظ الغنم ويرعى والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون والغزاة المراؤن والتجار الخائنون والملوك الظالمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، ولاتقع الاستقامة ولايستقيم الناس عن الميل والإعوجاج عن جادة سلوك الصراط المستقيم إلا بالقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الدين لم يظهر ولم يقم إلا بذلك ولما لم يبق من يقوم به من الناس ولا من يعين عليه تبدلت الأحوال الدينية والدنيوية وتغيرت كما فى زماننا اليوم إذ صار من بقى له حظ من الشوكة أو الجاه لا يعين إلا على الباطل ولا يتبع إلا أهله ولو أنهم سكتوا عن الأمر بالمعروف ولم يعينوا على المنكر ويأمروا به ويساعدوا عليه لكان أخف وأهون بل إنهم سكتوا عن الأمر بالمعروف وعادوا من قام به وقلوه ورفضوه وفعلوا المنكر وعملوا به وأعانوا القائمين به وقووهم عليه عاملهم الله تعالى بعدله لأنه صار الظاهر من أمرهم أنهم صاروا من أقوى أعوان الشيطان على الخذلان وإيثار الافتتان وكأنه رضى الله عنه لما ظهر له النموذج مما الناس عليه الآن وضع فى هذا الراتب الشريف جملا تناسب حال الزمان وتصلح لحال كل واحد فى كل وقت أيضا

فإنه بنى أوله على تكرير أذكار التوحيد وتجديده كما قال صلى الله عليه وسلم جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله ثم بما فيه شهود النقص والقصور عن القيام بالتوحيد ومعناه ولوازمه من شهود الجلال والعظمة والعجز عن كنه المعرفة بذلك وهو التوبة وطلب المحو للذنوب والغفر لها والوفاة على الإسلام ثم فى هاتين الجملتين وهما قوله يا قوى يا متين اكف شر الظالمين وقوله أصلح الله أمور المسلمين صرف الله شر المؤذين نوه بأمر الاهتمام بأمور المسلمين . والدعاء بجلب المصالح والمسار والمنافع لهم وبدفع المضار والبلايا والفتن والأذى عنهم وفى ذلك غاية الاعتناء بشأن دائرة أهل الاسلام أينما كانوا كما هو شأن القطب الوارث، وكان فى وقته نفع الله به قد حمل أعباء السعى فى مصالحهم ودفع مضارهم قلباً وحالا وعملا ولساناً وأركاناً وقلماً فهو معين لكل من الخواص والعوام والرعاة والمرعيين بالمواد المذكورة وقد عمت دعوته وشملت بركته وأضاءت أنواره وفاضت أسراره على كثير من المسلمين فى هذه البلاد وغيرها ، ومن اطلع على ما فى مكاتباته مما يدل على ذلك بل وعلى سائر كتبه مما يتعلق بالأمور الخاصة والعامة ومكاتبات السلاطين والأمراء وغيرهم وارشادهم واستعمال اللين مع البعض منهم وضد ذلك مع البعض علم أنه الوارث للمبعوث رحمة للعالمين صلاة الله وسلامه عليه وخليفة الله فى أرضه على المؤمنين ، وخلفه على مثل ذلك فى هذا الوادى المبارك تلميذه الشيخ العارف بالله تعالى عمر بن عبد الرحمن البار باعلوى وكذا تلميذه العارف بالله تعالى عمر ابن عبد القادر العمودى نفع الله بهما فقد أعطاهما الله فى وقتهما القبول عند الولاة والعامة وبذلك استقامت أحوال الناس وإذا جرى ما يخالف الحكم الشرعى من أحد من الحكام حصلت منهما الغيرة التامة والحمية البالغة لا سيما من الحبيب عمر البار وكان فى وقته أكثر الأشرار والمرتكبين المنكرات مقهورين ومغلوبين بما خلاه الله به من حلية الولاية والتجلى على

معانديه باسمه القهار كما قال شيخها المذكور نفع الله به

وقد حما أطراف مملكتي بالقهر جل القاهر الوالي

ثم بعده تغيرت الأحوال كلها وإلى الآن لم يزد الأمر إلا شدة وعنادا للحق وتضييعاً لأحكام الشريعة وتأييداً للباطل والمنكر وأهله مع ما هم فيه من البلاء المبين وتعطل أسباب الدنيا والدين وتكدر المعيشة وضيقها وتسلط الأشرار مما لو رآه وشاهده الأعداء لفرحوا وسروا بل ربما رحموا وأشفقوا ولكن الأعين العور لا تبصر ، وانظر وتأمل ماقص الله ورسوله ﷺ في الظلم والعدوان والتعدى على المسلمين والإيذاء والغش والخداع لهم وأن ذلك مما يورث سوء الخاتمة ويؤدي إلى الكفر ولا سيما الإيذاء لأولياء الله وخاصته وحزب الصلاح من المؤمنين فإن من ابتلى بذلك فقد آذنه الله بحربه ، وتأمل أيضاً فيما ورد من الحث على التراحم والتواصل والتزاور بين المسلمين مما يوجب تنزل الرحمات وادرار البركات كما ورد ذلك أيضاً في الآيات والأخبار غير المحصورة المذكورة في مظانها من كتب الحديث والرقائق ، ومن أجمع ذلك تقريباً وتأثيراً وتسهيلاً وتيسيراً كتب صاحب الراتب نفعنا الله به فإنه لا يكاد يتعرض ولا يعرض فيها إلا بما يقرب إلى الله تعالى ويزلف إلى الدار الآخرة سواء ما يتعلق بمعاملة الخلق مع الله تعالى أو في معاملتهم فيما يتعلق بمهماتهم الدنيوية التى شأنها الإعانة على الطاعة والرفق بالمسلمين خصوصاً وعموماً

واعلم أنه قد عم الظلم والإيذاء والغش والمخادعات والبلاغات بين الناس ولم يبق لسد هذه المفاسد والمضار إلا مقابلتها بعزيمة الصبر والتغافل وكثرة الصمت والاعتزال وخصوصاً لمن اختص بخصوصية أو انفرد بمزية فإنها تتضاعف في حقه الاذاية ، قال صاحب الراتب رضى الله عنه إن لأهل هذه الجهة خاصة ضراوة بالغة فى إيذاء أهل المراتب وخصوصاً الدينية ، بذلك عرفهم ووصفهم سلفهم فالعاقل من أعرض عنهم ولم يحتفل بهم إن هم إلا كالأنعام بل

هم أضل سبيلا ، وكتب رضى الله عنه إلى من شكى إليه إيذاء بعض أهل الرسوم له : وما ذكرتم من أمر كذا فما هناك كبير أمر والناس كما تعلم وترى وعلى ما هو أكثر من ذلك وأنكر ينطوون ويضمرون فالحق ما بدا منهم وما خفى من فتنتهم وشرورهم بالرفق واللطف وحسن المداراة عند الملابسة فاغتنم العافية التى هى أوسع الأشياء والسكونُ من أفضل أجزائها كما يقال السكون عافية ولا تأخذ بشىء ولا فى شىء أى شىء كان يؤول إلى تحريك الطباع وإيحاش القلوب ممن لا يتقى ناراً ولا عاراً وعامة أهل الزمان كذلك إلا من رحم الله وقليل ما هم ، ولا تغالب ولا تزاحم ولا تنازع ولا تخاصم واعلم أنا آخذون بهذا المأخذ فى محلنا ومع أصحابنا مع أنه أطيب من محلكم وأطهر ولولا ذلك لتحرك علينا من شرورهم وفتنتهم ما تضيق به الصدور والأماكن وينزعج له كل ظاهر وباطن فاسمع ولا تجرب وخذ هذا واقبل النصيحة ممن قامت عليه غالية وخذها لهذه ولغيرها انتهى كلامه رضى الله عنه.

الذكر الثامن عشر

« ياعلى يا كبير ياعليم ياقدير ياسميع يابصير يالطيف ياخبير ثلاثا » .

ثم ألحق ما تقدم من الأذكار والدعوات وختمها بالذكر بهذه الأسماء وهى من الاسماء التوقيفية التى هى من صفات الذات وحينئذ يحتاج الداعى بها إلى تقدير وهو أنه إذا نادى بها فقال يا على أى عن ادراكنا ، يا كبير أى عن أن يتعاظمه شىء من مهماتنا ياعليم أى بأحوالنا ومرادنا ، يا قدير أى على نجاح طلباتنا ، ياسميع أى لدعائنا واصواتنا ، يابصير أى بأعمالنا وحاجاتنا ، يالطيف يا خبير أى يا مشفق يا رحيم بنا ويا عليم بما تدبرنا عليه وبه وتيسر ناله من الارزاق الحسيات والمعنويات ومن الأعمال الصالحات وتيسره لنا نسألك بحق هذه الاسماء وبما فيها من سر

الاسماء أن تثبتنا على ما تضمنه هذا الراتب وغيره من حقائق العقائد التوحيدية والمطالب الدنيوية والأخروية وتنيلنا جميع ما أملناه فيك من الخيرات القلبية والبدنية وتصلح لنا الشئون كلها التفصيلية والاجمالية مما تعلم فيه صلاح عاقبتنا ورضاك عنا .

وقد ورد بهذه الاسماء القرآن قال تعالى (فالحكم لله العلى الكبير) وأنه عليم قدير وهو السميع البصير وهو اللطيف الخبير وتكرير ياء النداء فى جميعها تأكيد للمناجاة ولأن كل اسم له تأثير وتجل وتعلق ولقوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن) أى نادوه وقولوا يا الله يا رحمن كما ورد . .

وجميعها من أسماء الذات العلية والصفات القديمة المقدسة التنزيهية كما مر فاما العلى فقد مر فى الكلام على آية الكرسى أن ليس علوه حسيا بل هو معنوى إذ العلو والسفل جهتان للمخلوق ، قال الإمام الطيبى فى شرح المشكاة : هو فعيل من العلو ومعناه البالغ فى علوه الرتبة إلى حيث لا رتبة إلا وهى منحطة عنه وهو من الأسماء الإضافية ، قال بعض العلماء العلى الذى علا عن الدرك ذاته وكبر عن التصور صفاته ، وقال آخر هو الذى تاهت الألباب فى جلاله وعجزت العقول عن وصف كماله ، (وحظ العبد منه) أن يبذل نفسه فى طاعة الله ليبذل جهده فى العلم والعمل حتى يفوق جنس الانس فى الكمالات النفسانية والمراتب العلمية والعملية ، قال الشيخ أبو القاسم : ومن علوه وكبريائه أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيراً ولا باجلالهم له جليلا بل من وفقه لاجلاله فبتوفيقه أجله لا يلحقه نقص فيجبر ذلك بتوحيد عباده فهو العزيز الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يتوجه عليه سيئة ولا لوم ومن حق من عرف عظمته أن لا يذل لخلقه ويتواضع لهم وإن من تذلل لله فى نفسه رفع الله قدره بين أبناء جنسه وقيل المؤمن له العزة لا الكبر وله التواضع لا المذلة .

وقال في الكبير هو كبير إما باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها من حيث إنه قديم أزلي غني على الاطلاق وما سواه حادث بالذات في حضيض الحاجة والافتقار وإما باعتبار أنه كبير عن مشاهدة الحواس وادراك العقول وعلى الوجهين فهو من أسماء التنزيه (وحظ العبد منه) أن يجتهد في تكميل نفسه علماً وعملا بحيث يتعدى كماله إلى غيره ويقتدى بآثاره ويقتبس من أنواره قال عيسى عليه السلام من علم وعمل فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء اه .

وأما العليم فإنه مبالغة في العلم قال الشيخ الطيبي والله سبحانه حقيق بالمبالغة في وصفه وعلمه تعالى شامل لجميع المعلومات محيط بها سابق على وجودها لا تخفى علية خافية ولا تعزب عنه قاصية ولا دانية ولا يشغله علم عن علم كما لا يشغله شأن عن شأن وهو من صفات الذات (وحظ العبد منه) أن يكون مشغوفا بتحصيل العلوم الدينية لاسيما المعارف الالهيه التي هي باحثة عن ذاته وصفاته فانها أشرف العلوم وأقرب الوسائل إلى الله تعالى مراقبا لاحواله محتاطا في مصادره وموارده لعلمه بانه تعالى عالم بضمائره مطلع على سرائره ، وعن بعض الصالحين من عرف أنه عليم بحالته صبر على بليته وشكر على عطيته واعتذر عن قبيح خطيئته ، وقال الشيخ أبو القاسم: من آداب من علم ان الله تعالى عالم بالخفيات خبير بما في الضمائر والسرائر من الخطرات لايخفى عليه شيء من الحوادث في عموم الحالات فبالحرى أن يستحى من مواضع اطلاعه ويرعوى عن الاغترار بجميل ستره ، وفي بعض الكتب إن لم تعلموا أني أراكم فالخلل في أيمانكم وإن علمتم أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين اليكم اه.

وأما القدير فهو ذو القدرة القادر المقتدر الفعال لما يريد، وقد مر ذلك في الكلام في بسم الله والحمد لله والخير والشر بمشيئة الله ، قال الشيخ أبو القاسم

ومن عرف أنه قادر على الكمال خشى سطوات عقوبته عند ارتكاب مخالفته.
وأمل لطائف رحمته وزوائد نعمته عند سؤاله وحاجته لا بوسيلة طاعته ولكن
باسداء كرمه ومنته وكذلك من عرف ان مولاه قدير ترك الانتقام ثقة بأن
صنع الحق له وانتصار الحق له وأنه أتم من انتقامه لنفسه اهـ .

وأما السميع البصير فهما صفتان قديمتان أزليتان منزهتان تنكشف بهما جميع
المسموعات والمبصرات انكشافا تاما ولا يلزم من افتقارنا إلى إدراك النوعين
بآلة احتياجه إلى ذلك لأن صفاته تعالى مخالفة لصفات المخلوقين كما مر قريبا .

وأما اللطيف الخبير فمعناهما متقارب من حيث العلم بحقائق الأمور والأشياء
والخبرة بخفاياها ، قال الحجة الغزالى قدس الله روحه فى اسمه اللطيف إنما
يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما رق منها وما لطف ثم
سلك فى ايصالها إلى المستصلح لها سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق بالفعل
واللطف فى الإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل إلا الله.
فأما إحاطته بالدقائق فلا يمكن تفصيل ذلك فالخفى مكشوف عنده كالجلى من غير فرق
وأما رفقه فى الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل . تحت الحصر إذ لا يعرف اللطف
فى فعله إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق الرفق فيها وبقدر اتساع المعرفة
فيها يعرف معنى اسم اللطيف وشرح ذلك يستدعى تطويلا ثم لا يتصور أن تفى
بعشر عشره مجلدات كثيرة وإنما يكون التنبيه على بعض جمله فمن لطفه خلق الجنين
فى بطن أمه فى ظلمات ثلاث وحفظه فيها وتغذيته بواسطة السرة إلى أن ينفصل
فيستقل بالتناول بالفم ثم الهامه عند الانفصال التقام الثدى ولو فى ظلمة الليل.
ومشاهدة انفقاء البيضة عن الفرخ وقد الهمه التقاط الحب فى الحال ثم فى تأخر
خلق السن عن أول الخلقه إلى وقت الحاجة للاستغناء باللبن عن السن ثم

نبات السن بعد ذلك عند الحاجة إلى طحن الطعام ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن وإلى أنياب للكسر وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع ثم استعمال اللسان الذى الغرض منه النطق فى رد الطعام إلى المطحن كالمجرفة ولو ذكر لطفه فى تيسير لقمة يتناولها العبد من غير كلفة يتجشمها وقد تعاون على إصلاحها خلق كثير لا يحصى عددهم من مصلح الأرض وزارعها وساقيها وحاصدها ومنقيها وطاحنها وعاجنها وخابزها إلى غير ذلك من خلق لا يحصيهم إلا الذى خلقهم لكان لا يستوفى شرحها إلى آخر ماذكره رضى الله عنه وقد ذكر ما يتعلق بهذا المعنى من لطف الله وتدبيره للخلق فى النشآت كلها فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التفكر والاعتبار بأبسط من هنا مع تفاصيل فى الدقائق وما لله تعالى من الحكمة فى خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وكذلك سائر عوالم الملك والملكوت فسبحان اللطيف الخبير .

وأما الخبير فهو العليم ببواطن الاشياء من الخبرة وهى العلم بالخفايا الباطنة فاللطيف أعم منه لأنه يتناول معنى الرفيق وما يترتب عليه من الرفق والرحمة فإنه تعالى رؤف رحيم لا سيما بالمؤمنين كما ورد أن له تعالى مائة رحمة منها رحمة واحدة قسمها فى الدنيا بين المخلوقات جميعها فبها يتوادون وبها يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وبها تعطف الأم على ولدها وبها يرزق العباد الأرزاق الحسية والمعنوية فيرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر ، وقيل أرزاق القلوب المكشوفات والمعانى كما أن أرزاق النفوس الغذاء وادّخر سبحانه وتعالى تسعة وتسعين رحمة إلى يوم القيامة ويجعل معها هذه الرحمة التى فى الدنيا فيخص بجميعها المؤمنين اللهم يا أرحم الراحمين اجعلنا من عبادك المرحومين فى الدنيا والآخرة .

الذكر التاسع عشر

قوله رضى الله عنه

« يافارج الهم يا كاشف الغم يا من لعبده يغفر ويرحم — ثلاثاً »

الفارج : اسم فاعل من فرج يفرج فرجا[١] وهو فى الأصل الشق . وفتح الشىء والتوسعة والمراد شرح الصدر وتوسعة الضيق ، والهم : الحزن ، والكاشف : اسم فاعل من الكشف وهو كشف الساتر ، والغم : شدة الكرب وقيل الهم حصول الكدر من أمر مستقبل متوقع والغم من شىء واقع . ولذا يقال إن الغم قد يقتل وليس كذلك الهم ، وقد ورد من دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك » رواه الحاكم وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى أبى ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال كان عيسى عليه السلام يعلمه للحواريين لو كان عليك دين مثل أحد ثم قلته لقضاه الله عنك قلت بلى قال قولى اللهم فارج الهم إلى قوله من سواك ، قال الإمام الغزالى فى المقصد الاسنى ما حاصله أنه يجوز وصف الله تعالى بكل ما هو موصوف بمعناه من صفات المدح وبكل مالا يوهم معناه نقصاً وإن لم يرد فى هذا كله إذن وتوقيف وأنه قد يمنع فى حق الله تعالى إطلاق لفظ فإذا قرن به قرينه جاز إطلاقه

---

(١) يقال فرج القوم للرجل فرجا : أوسعوا له فى الموقف والمجلس . ومنه الفرجة وهى الخلاص من شدة ، ويقال فرج الله الهم : كشفه .

وأنه سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى كما أمر حتى إذا جاوزنا الأسماء إلى أن يدعى بصفاته دعى بأوصاف المدح والجلال فقط ولا يجوز أن يدعى بكل ما يجوز أن يوصف به ويخبر به عنه من الأوصاف والأفعال إلا أن يكون فى مدح وإجلال اه.

ونشر الخلاف الشيخ ابن حجر رحمه الله فى التحفة فى قوله الجواد، وقول الإمام الغزالى المار « وأنه يدعى بأسمائه كما أمر حتى إذا جاوزنا الأسماء إلى أن يدعى بصفاته دعى بأوصاف المدح والجلال فقط » يفهم منه جواز الدعاء بغير التوقيفيات كقوله يا فارج الهم يا كاشف الغم كما ورد ذلك فيما مر آنفا. وكما قال الغزالى وكما ورد فى الدعاء المعروف يامن أظهر الجميل الخ . أخرج حديثه الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما وفيما رواه الطبرانى عن أنس رضى الله عنه وهو دعاء طويل فيه اللهم كاشف الغم مفرج الهم وفيه يا مؤنس كل وحيد ويا صاحب كل فريد الخ . وما أخرج الطبرانى بسند صحيح عن أنس رضى الله عنه وهو دعاء الأعرابى يا من لا تراه العيون الخ . وما أخرج أبو الفتح المقدسى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو دعاء طويل أوله اللهم يا عماد من لا عماد له الخ . وإذا جاوزنا الأسامى إلى أن ندعوه بصفاته دعوناه بصفات المدح والجلال ولا نقول يا موجد يا محرك يا مسكن بل نقول يا مقيل العثرات يا منزل البركات يا ميسر كل عسير وما يجرى مجراه وأما قوله « ولا يجوز أن يدعى بكل ما يجوز أن يوصف ويخبر به عنه من الأوصاف والأفعال إلا أن يكون فى مدح وإجلال » أى فلا يقال يا خالق الكلاب يا رازق الخنزير وإن كان هو سبحانه خالق كل شىء ورازقه .

وقال الطيبى فى شرح المشكاة بعد أن نشر خلافا فى إطلاق غير الأسماء التوقيفية عليه تعالى ورجح عدم الجواز مانصه : ولو ترك الإنسان وعقله لما جسر أن يطلق عليه غالب هذه الأسماء التى ورد الشرع بها إذ كان أكثرها على حسب

تعارفنا يقتضى أعراضا إما كمية نحو العظيم والكبير وإما كيفية نحو الحى القادر أو زمانا نحو القديم الباقى أو مكانا نحو العلى المتعالى أو انفعالا نحو الرحيم الودود وهذه معان لاتصح عليه سبحانه على حسب ما هو متعارف بيننا وإن كان لها معان معقولة عند أهل الحقائق من أجلها صح إطلاقها عليه عز وجل .

وقال الزجاج لا ينبغى لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه فيقول بدل يا رحيم يا رفيق ويقول بدل يا قوى يا جليد ، وقال الإمام فخر الدين الرازى قال أصحابنا ليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه عليه سبحانه وتعالى فإنه الخالق للأشياء كلها ولا يقال خالق الذئب والقردة، وورد وعلم آدم الأسماء كلها وعلمك ما لم تعلم وعلمناه من لدنا علما ولا يجوز يامعلم ولا يجوز عندى يا محب اهو منسع فيه . وفى التحفة إطلاق ما ورد للمقابلة كقوله أم نحن الزارعون والله خير الماكرين ،قال فى التحفة وقول الحليمى يستحب لمن ألقى بذرا فى الأرض أن يقول الله الزارع والمنبت والمبلغ — إنما يأتى فى الثلاثة على المرجوح أنه لا يشترط فيما صح معناه توقيف ثم استدل بعده الإمام النووى أن الجواد ورد فيه توقيف وكذا الجميل فى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال واعترض بأنه ورد للمقابلة وأجاب عنه ابن حجر بان المقابلة إنما نصير إليها عند استحالة المعنى الموضوع له اللفظ فى حقه تعالى اه ملخصاً .

فائـــدة

ورد أن من قال اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك عدل فى قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته

فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا .

وقال أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إذا أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولايبقى عليك ذنب فأكثر من « سبحان الله العظيم وبحمده لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنبى واغفر للمؤمنين والمؤمنات والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ « من قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم كانت له دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم » .

وأما قوله رضى الله عنه (يامن لعبده يغفر ويرحم) هذه الجملة والتى قبلها فيها تعريض بذكر الصفات التى يتجلى بها المولى الكريم على عبيده الفقراء المحتاجين إلى فضله ورحمته فى كل حال وهى كشف الغموم والكروب عنهم وتفريج الهموم وستر العيوب والقبائح والذنوب بأن يسترها فى الدنيا ويترك المؤاخذة بها بالعفو عنها فى العقبى وهو أبلغ من الطلب والدعاء بذلك وكأنه قال يامن شأنه ذلك افعل لى ذلك أى يافارج الهم فرج همى ويا كاشف الغم اكشف غمى يامن لعبده يغفر ويرحم إغفرلى وارحمنى .

وفى قوله (يامن لعبده) تعطف وتلطف إذ العبودية أقرب أوصاف العبد إلى الرب فمن توجه إلى ربه قبله وأقبل عليه كما هو مقام سيد الرسل والأنبياء وأخص الكرام الأصفياء فإنه لما اختار العبودية عندما خيره الله تعالى بين أن يكون نبياً ملكا أو نبياً عبداً اختار الثانى فكان له بذلك الغاية القصوى من الكرامة والشرف فى جميع المواطن من العوالم العلوية والسفلية ولذا

كان ذكره بها فى أشرف مقاماته ﷺ كقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده)، (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) (وأنه لما قام عبدُ الله يدعوه).

والغفر كما مر هو الستر وقد جاء من مادته فى الأسماء التوفيقية ثلاثة أسماء الغافر والغفور والغفار، قال الشيخ الطيبى فى شرح المشكاة والفرق ان الغافر يدل على الاتصاف بالمغفرة مطلقاً والغفار والغفور يدلان على المبالغة والغفار أبلغ لما فيه من زيادة البناء ولعل المبالغة فى الغفور باعتبار الكيفية وفى الغفار باعتبار الكمية وهو قياس المشدد للمبالغة من النعوت والأفعال.

قال بعض الصالحين إنه غافر لأنه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لأنه ينسى الملائكة أفعالك وغفار لأنه ينسيك ذنبك كأنك لم تفعله، وقال آخر إنه غافر لمن له علم اليقين وغفور لمن له عين اليقين وغفار لمن له حق اليقين (وحق العارف منه) أن يستر من أخيه ما يحب أن يُستر منه فلا يُفشى منه إلا أحسن ما فيه ويتجاوز عما يبدر منه ويكافئ المسىء إليه بالصفح والانعام عليه.

قال الشيخ أبو القاسم فى قوله تعالى (ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) إن ثم تقتضى التراخى كأنه قال من أرخى عمرهُ فى الزلات وأفنى حياته فى المخالفات وأبلى شبابه فى البطالات ثم ندم قبل الممات وجد من الله الغفر عن السيئات اه وهذا القول الذى أخذه أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه من مفهوم ثم التى للتراخى وإن اقتضى وأفهم التمادى فما ذكره فيه حث على الرجوع إليه سبحانه بالاستغفار والتوبة فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات والتراخى فى ذلك مذموم شرعاً وعقلاً إذ عمرُ الإنسان ليس معلوماً عنده ولا أجله فإنه لا يدرى متى ينزل به الموت إذ ليس يأتيه الموت فى وقت مخصوص

ولا سن مخصوصة ولا حال مخصوص وقد مرت الإشاره إلى أنه ﷺ بل وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكُمَّل ورثتهم يقدّرون قرب الموت ويتوقعون نزوله فى كل وقت ذكر ذلك الإمام الغزالى فى كتبه .

ومما أجمع ما ذكره صاحب الراتب رضى الله عنه في نصائحه من ذم طول الأمل والترغيب فى قصره ، وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، قال ابن حجر وقد أوصى بذلك أى قصر الأمل جميع الأنبياء والرسل أممهم وفى ذلك كله الحث إلى المسارعة للتوبة والاستعداد للموت بالعمل الصالح .

وأما قوله ويرحم فهو من الرحمه التى المراد بها غايتها وهى التفضل والاحسان منه تعالى على عبده وقد وسعت رحمته كل شىء وسبقت رحمته كل شىء وسبقت رحمته غضبه سبحانه فله الحمد والمنة ، ومن رحمته أن كل ماحصل للعبد المؤمن من خير فهو من رحمته أو من شر فهو من رحمته أيضاً لأنه لا يوقع الشر للمؤمن إلا لأجل ايصال الخير له إما لتكفير ذنب أو لتحسين العاقبة كما نبه على ذلك الإمام الغزالى رضى الله عنه فى المقصد الأسنى وأطال فيه فلينظر فيه والله سبحانه أعلم .

الذكر العشرون

(أستغفر الله ربّ البرايا أستغفر الله من الخطايا — أربعاً)

هذه الصيغة صيغة استفعال وهى للطلب ومعناها أطلب من الله أن يغفر لى ، والغفر هو الستر والصيانة عن إظهار القبائح والفضائح التى تشين العبد

حياً وميتاً ويؤاخذ بها سواء كانت تتعلق بالحق أو الخلق إذ الذنوب عند أهل السنة تغفر بفضل الله تعالى ماعدا الشرك قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ومافي آية القتل (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) إلى آخرها مؤول بالمستحل وعند المعتزلة وغيرهم فى ذلك تفصيل محله كتب الأصول .

وقوله رب البرايا — الرب المربى لعباده المدبر لأحوالهم وأمورهم وقدم بيانه فى تفسير الفاتحة ، وأتى به بعد اسم الجلالة الشريف لكونه أقرب إلى قبول توبة المستغفر وغفر ذنوبه أى سترها ، وفيه مناسبة من حيث نوع الاشتقاق فى الرب والبرية لاسيما وبعض البرية فيه اسم البر والبر مقلوب رب أيضاً وهو أقرب أيضاً إلى التعطف إذ الإستغفار موضوع للتوبة والرجوع عن الذنب فينبغى أن يقترن بالذل والخضوع كما اقترن ذلك فى موضعهما من الركوع والسجود فى ايثار الرب على غيره من الأسماء فى قوله فى الركوع سبحان ربى العظيم وفى السجود سبحان ربى الأعلى .

والبرايا: الخلق جمع برية وله جمع آخر وهو بريات وهو بالهمزة وتركها فالهمزة من برأ الله الخلق أى خلقهم وبالياء بلا همزة من البرا وهو التراب .

وقوله نفع الله به استغفر الله من الخطايا جمع خطيئـــة بالهمزة وهى الذنب والأثم .

وأما اختياره رضى الله عنه فى هذا الذكر كونه أربعاً لعله لكون الذنوب والآثام والخطايا تنقسم إلى كبائر وصغائر وتبعات وغيرها فهى أربعة أقسام فجعل لكل قسم مرة كما ورد فى اللهم إنى أصبحت اشهدك إلى آخرها فإنه لما كان المطلوب شهادتهم على توحيده تعالى أربعةُ أنواع هو تعالى وملائكته عموماً وحملة العرش خصوصاً وسائر خلقه رتب الشارع على أن من قال ذلك مرة عتق ربعه ومن قالها أربعا عتق جميعه .

وقد جاءت الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المرضية فى الترغيب فى الاستغفار واللهج به وأنه يمحق الذنوب ويفرج الهموم والغموم ويكثر المال والولد وفيه فوائد لا تحصى دينية ودنيوية وأخروية ، وقد قال صاحب الراتب قدس الله روحه أنه لا أنفع لأحوال هذا الزمان من كثرة الاستغفار والصلاة على النبى ﷺ أى من حيث كثرة تراكم الذنوب وتحمل الآصار والتبعات وعدم التحرى فى الأطعمة وغير ذلك ، وهو أى الاستغفار كالغاسول لأوساخ الذنوب وأدران القلوب .

وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) . (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) (والمستغفرين بالأسحار) (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وآيات الإستغفار كثيرة وقد وعد عباده سبحانه بقبول توبتهم ورجوعهم إليه بالندم والإستغفار فقال تعالى (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) وقال رسول الله ﷺ فى حديث مسلم المروى عن الله عز وجل « ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم » فانظر إلى هذا اللطف العظيم من المولى الكريم لعباده الملابسين للذنوب فى أكثر أوقاتهم التى يلزمهم فيها طاعته من أوقات الليل والنهار فدعاهم إلى ما يحييهم وينجيهم بقوله فاستغفرونى أغفر لكم وكأنه أيضا دعاهم إلى محبته ورضائه بقوله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ولحبه تعالى التوبة والتوابين قال ﷺ « لولا أنكم تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم وجاء بقوم غيركم فيذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » .

تنبيه و إيقاظ للنبيه

اعلم أن هذا الحديث لم يرد للترغيب فى غشيان المعاصى وإرتكابها كما يعطيه ظاهره ويفهم العوام منه ذلك جهلا منهم بل للترغيب فى التوبة فكيف يفهم المغرور أن ذلك ترغيب فى ارتكاب الذنوب والذنوب والمعاصى والمخالفات سبب لغضب الجبار الذى لايقوم أحد لغضبه وهى بريد الكفر كما ورد وهى سبب لرين القلوب .

وقد استدل لذلك صاحب الراتب رضى الله عنه فى مبحث تنظيف القلب عما يكدره ويقبحه ويظلم به من الذنوب والمعاصى من مقدمة النصائح قال : وأما النفاق فزيادته بالأعمال السيئة من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات كما قال عليه السلام « من أذنب ذنباً نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب وصفا صقل قلبه وإن لم يتب زاد ذلك حتى يسود قلبه فذلك الران الذى قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فلاشىء أشر وأضر على الانسان فى الدنيا والآخره من الذنوب ولا يكاد يخلص اليه سوء ولا يناله مكروه إلامن جهتها قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فينبغى للمؤمن أن يكون على نهاية الاحتراز منها وفى غاية البعد عنها وإن أصاب منها شيئاً فليبادر بالتوبة منه إلى آخر ماقاله فى ذلك .

وقال الامام الطيبى فى شرح المشكاة نقلا عن التوربشتى قال قوله ﷺ « لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم» لم يرد هذا الحديث مورد تسلية المنهمكين فى الذنوب وقلة الاحتفال منهم بمواقعة الذنوب على مايتوهم أهل الغرة فإن الأنبياء صلوات الله عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب بل ورد مورد البيان

لعفو الله عن المذنبين وحسن التجاوز عنهم ليعظموا الرغبة فى التوبة والإستغفار والمعنى المراد من الحديث هو أن الله تعالى كما أحب أن يحسن إلى المحسن أحب أن يتجاوز عن المسيءة وقد دل على ذلك كثير من أسمائه الحسنى كالغفار والحليم والتواب والعفو ولم يجعل العباد كلهم كالملائكة مجبولين على التنزه من الذنوب بل جعل فيهم من يكون بطبعه ميالا إلى الهوى مفتتنا بما يقتضيه ثم كلفه التوقى عنه وحذره عن موافاته وعرفه التوبة بعد الابتلاء فإن وفى فأجره على الله وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه فأراد النبى ﷺ أنكم لو كنتم مجبولين على ما جبلت عليه الملائكة لجاء الله بقوم يأتى منهم الذنب فيتجلى عليهم بتلك الصفات على مقتضى الحكمة فإن الغفار يستدعى مغفوراً كما أن الرازق يستدعى مرزوقا

اقول فى الحديث أنه تعالى يحب من عباده التوبة والاستغفار الذى هو موقع محبة الله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ولله أشد فرحاً بتوبة عبده — الحديث ، ولعل السر فى هذا إظهار صفة الكرم والحلم والغفران ولو لم يوجد لانثلم طرف من صفات الالوهية والانسان إنما هو خلق الله فى أرضه يتجلى عليه بصفات الجلال والاكرام والقهر واللطف ، والملائكة لما نظروا إلى الجلال والقهر (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) والله تعالى حين نظر إلى صفة الاكرام واللطف (قال إنى أعلم مالا تعلمون) وإلى هذا المعنى يلمح قوله صلى الله عليه وسلم لذهب الله بكم ولم يكتف بقوله لولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون والله اعلم اهـ ما نقلناه بطوله وحسنه فى هذا المقام اشتماله على فوائد عظام تتعلق بما نحن فيه . —

وايضاً ففى هذا الحديث غاية الرجاء للمذنبين حتى لا يقنط أحد منهم من رحمة الله تعالى لعظم ذنبه كما فى حديث الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلا إلى الله تعالى بقلبه وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو لها فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة ، وفى رواية فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفى رواية فناء بصدره نحوها اهـ .

فالمراد من هذا الحديث أيضاً الترغيب فى التوبة والاستغفار من الذنب وأن لا ييأس أحد من رحمة الله تعالى ولا يقنط من عفو الله بسبب الذنوب ، ومما يحث على التوبة والاستغفار ويومى إلى المسارعة إلى ذلك قوله ﷺ « والله إنى لاستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخارى ، واخرج النسائى وابن ماجه أنه ﷺ قال « إنى لاستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة » ، وأخرج أبو عوانة أنه ﷺ قال « يأيها الناس توبوا إلى ربكم واستغفروه فانى أتوب إلى الله واستغفره كل يوم مائة مرة » والنسائى « ما أصبحت غداة قط إلا أستغفر الله مائة مرة » وأخرج الامام أحمد وأصحاب السنن الأربعة انهم كانوا يقولون إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة

يقول « رب اغفرلى وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم » هذا وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وإنما كان ذلك تعليما وترغيباً لأمته فى التوبة والاستغفار واعترافا لربه بعدم القيام بما له من استحقاق الشكر الذى هو عمدته. وأخبر به عائشة رضى الله عنها لما قالت له وقد تورّمت قدماه من طول القنوت هكذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال « أفلا أكون عبداً شكوراً » وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من قال استغفر الله العظيم الذى لا إلـه إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف » وفى رواية تقييدها بثلاث وفى رواية بخمس وفى رواية أخرى وان كانت ذنوبه مثل زَبَد البحر ، وزَبَدُ البحر هو ما يرى على وجهه عند ضرب الأمواج وقيل المراد ماء البحر مضاف إلى البحر وهو الحفرة هذا حاصل ماذكره البجيرمى فى حاشية شرح المنهج ، وفى رواية رمل عالج ، وفى رواية تقييدها ببعد الصلوات المكتوبة أو الصبح أو الصبح والعصر ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه » رواه الشيخان ، وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى ياابن آدم انك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ياابن آدم انك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم أتيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقُرابها مغفرة » رواه الترمذى .

ومن أحاديث الحصن الحصين للجزرى عنه ﷺ بإسناده الروايات إلى أصحاب السنن وكتب الحديث « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين

مرة » » وأبو داود « والذى نفسى بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر الله لكم » والترمذى والنسائى « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » والطبرانى فى الأوسط « ما من مسلم يعمل ذنبا إلا وقف الملك الموكل به بإحصاء ذنوبه ثلاث ساعات فإن استغفر الله من ذنبه ذلك فى شىء من تلك الساعات لم يوقعه أى يكتبه عليه ولم يعذب يوم القيامة » والحاكم فى المستدرك « إن إبليس قال لربه عز وجل وعزتك وجلالك لا أزال أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال له الرب فبعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى » وللحاكم فى المستدرك أيضا ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل فى يوم صحيفة فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفاراً إلا قال تبارك وتعالى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » والبزار « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » والترمذى « إن عبدا أصاب ذنبا فقال رب أنى أذنبت فاغفره لى فقال ربه علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثلاثا فليعمل ما شاء » ويأتى فى هذا الحديث من القيد مامر ، وأخرج النسائى « طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً » ، وشكى إليه ﷺ رجل ذرب لسانه فقال أين أنت من الاستغفار اهـ ، وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال يامعشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار قالت امرأة منهن مالنا أكثر أهل النار قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت

من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن قالت مانقصان العقل والدين ؟ قال شهادة امرأتين بشهادة رجل ، وتمكث الأيام لاتصلى .

سيد الاستغفار

ومرَّ أن سيد الاستغفار من أسباب حسن الخاتمة وهو مارواه شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا إلـه إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها فى النهار موقنا فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » رواه البخارى .

شرح الحديث

قال ابن أبى جمرة جمع النبى ﷺ فى هذا الحديث من بديع المعانى وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى بسيد الاستغفار ففيه الاقرار لله وحده بالألوهية والاعتراف بأنه الخالق والاقرار بالعهد الذى أخذه عليه والرجاء بما وعد به والاستعاذة من شر ماجنى العبد على نفسه وإضافة النعماء إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته فى المغفرة واعترافه بأنه لايقدر أحد على ذلك إلا هو ، وفى كل ذلك إشارة إلى الجمع بين الحقيقة والشريعة فان تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إن كان فى ذلك عون من الله تعالى وهذا القدر الذى يكنى عنه بالحقيقة فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجرى عليه ما قدر عليه وقامت الحجة ببيان

المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين إما العقوبة بمقتضى العدل وإما العفو بمقتضى الفضل انتهى نقله ابن علان عنه فى شرح الرياض ، وقال أيضاً من شرط الاستغفار صحة النية والتوجه والأدب اهـ .

وفى كتاب نزهة المجالس قال رجل يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لا تغضب فأعاد عليه القول فقال لاتغضب ثم قال له استغفر الله تعالى قبل صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوبك سبعين عاماً فقال مالى ذلك قال لأمك قال مالها ذلك قال لأبيك قال ماله ذلك قال لاخوانك قال نعم .

قال الإمام الغزالى رضى الله عنه اعلم أن كل واحدة من سنن الصلاة وأذكارها وتسبيحاتها لها تأثير فى تنوير القلب فحافظ عليها جميعها فإن لكل واحدة منهن سرا وشرح ذلك يطول وإذا أتيت بذلك انتفعت به وإن لم تعلم أسراره كما ينتفع شارب الدواء به وإن لم يعرف طبائع أخلاطه ووجه مناسبته لمرضه اهـ .

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتحب الأمان من أهوال يوم القيامة قال نعم قال قل استغفر الله العظيم لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات فانه من قالها كل يوم وليلة خمسا وعشرين مرة كتب الله له أجر سبعين صديقا .

(مسئلة)

هل الاستغفار أفضل أم كلمة التوحيد؟ قيل الاستغفار كالصابون فهو أفضل لمن كثر سقوطه وكلمة التوحيد كالطيب فهى أفضل لمن حفظه المحبوب من

الذنوب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما من عبد ولا أمة يستغفر الله فى يوم سبعين مرة إلا غفر الله تعالى له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل فى يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب رواه البيهقى اهـ .

(تتمة)

اعلم أنه مر فى ذكر التوبة عند قوله « ربنا اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » أنه نفع الله به اختار صيغة الدعاء فيها على صيغة إنشاء التوبة بما نقلناه من أن الاستغفار والتوبة على غير وجه التضرع والدعاء وعدم الاقلاع والإصرار يكون كذبا . قال الامام الجزرى فى الحصن الحصين (عندما ذكر الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى المجلس الواحد رب اغفرلى وتب على إنك أنت التواب الرحيم مائة) وما أحسن قول الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقل أحدكم استغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل بل يقول اللهم اغفرلى وتب على ، وليس كما فهم بعض أئمتنا أن الاستغفار على هذا الوجه لا يكون كذبا بل هو ذنب فإنه إذا استغفر عن قلب لاه لا يستحضر طلب المغفرة ولا يلجأ إلى الله بقلبه فإن ذلك ذنب عقابه الحرمان وهذا كقول رابعة استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وأما إذا قال أتوب إلى الله ولم يتب فلا شك أنه كذب وأما الدعاء بالمغفرة والتوبة فإنه وإن كان غافلا فقد يصادف وقتا فيقبل فمن أكثر طرق الباب يوشك أن يلج ، ويوضح ذلك إكثاره صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد منه مائة مرة وقطعه لمن قال أستغفر الله وأتوب إليه بالمغفرة وإن كان قد فر من الزحف مرة أو ثلاث

مرات فيها قد كشف لك الغطاء فاختر لنفسك ما يحلو(١).

وفى كتاب الزهد عن لقمان عوّد لسانك اللهم اغفرلى فإن لله تعالى ساعات لا يرد فيهن سائلا . اهـ من الحصن الحصين .

قال الشيخ ابن حجر فى الفتح المبين فغير المعصوم والمحفوظ لاينفك غالباً عن المعصية فحينئذ يلزمه أن يجدد لكل ذنب ولو صغيراً توبة وهى المراد هنا من الاستغفار إذ ليس فيه مع عدمها كبير فائدة وشتان بين ما يمحوه بالكلية وهو التوبة النصوح وبين ما يخفف عقوبته أو يؤخرها إلى أجل وهو مجرد الاستغفار وفى هذا من التوبيخ ما يستحى منه كل مؤمن لأنه إذا لمح أنه عز وجل خلق الليل ليطاع فيه سراً ويسلم من الرياء استحى أن ينفق أوقاته إلا فى ذلك وأن يصرف ذرة منها للمعصية كما أنه يستحى بالجبلة والطبع أن يصرف شيئاً من النهار حيث يراه الناس للمعصية اهـ من الكلام على قوله ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار الخ .

وقال ابن علان فى شرح الرياض على قوله تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) أى لم يقيموا على ذنوبهم بل اقروا

---

(١) فى شرح ابن علان على الرياض نقلا عن صاحب الفتح المبين أن من قال أستغفر الله وأتوب إليه وهو مصر بقلبه على المعصية كاذب آثم لأنه أخبر أنه تائب وليس حاله كذلك . فإن قال ذلك وهو غير مصر بأن أقلع بقلبه عن المعصية فقالت طائفة من السلف يكره له ذلك لانه قد يعود إلى الذنب فيكون كاذباً فى قوله وأتوب إليه والجمهور على أن لا كراهة لأن العزم على أن لايعود واجب عليه فهو إخبار عما عزم عليه فى الحال فلا ينافى وقوعه منه فى المستقبل فلا كذب بتقدير الوقوع اهـ ملخصا وكراهة الربيع قول استغفر الله وتسميته كذبا غير مسلمة له لأن معنى أستغفر الله أطلب مغفرته وليس هذا كذبا ويكفى فى رده حديث ابن مسعود من قال أستغفر الله الخ . وأما كراهته قول وأتوب إليه لأنه كذب فسلمة إذا لم تحصل منه توبة وغير مسلمة إذا أراد بها إنشاء توبة فى الحال وقد أنشأها فى نفسه اهـ مصححه .

واستغفروا وفى الحديث ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة. قال الحافظ فى فتح البارى وفيه اشارة إلى أن شرط قبول الاستغفار الاقلاع عن الذنب وإلاّ فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب ، وقال فى أثناء كتاب التوحيد : ويشهد لهذا أى اعتبار التوبة فى نفع الاستغفار ما أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً « التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه » اهـ ، وقال فى قوله (وهم يعلمون) أى يعلمون أنها معصية أو أن الاصرار ضار أو أن الله يملك مغفرة الذنوب أو انهم إن استغفروا غفرلهم ، وقال أيضا فيما كتبه على الحديث القدسى « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى أى تبت توبة صحيحة غفرت لك وأن تكرر الذنب والتوبة فى اليوم الواحد » والذنوب وأن تكاثرت وبلغت ما عسى أن تبلغ تلاشت عند حلمه وعفوه فإذا استقال منها العبد بالاستغفار غفرت لأنه طلب الاقالة من كريم والكريم محل اقالة العثرات وغفر الزلات » .

قال صاحب الفتح المبين وما ذكرناه من أن المراد بالاستغفار التوبة لا مجرد لفظه هو ما ذكره بعضهم وهو الموافق للقواعد بالنسبة للكبائر اذ لا يكفرها إلا التوبة بخلاف الصغائر فإن لهـــا مكفرات أخرى كاجتناب الكبائر والوضوء والصلوات وغيرها فلا يبعد أن يكون الاستغفار مكفراً لها أيضاً وينبغى أن يحمل على هذا أيضا تقييد بعضهم جميع ما جاء فى نصوص الاستغفار المطلقة بما فى آية آل عمران من عدم الإصرار فإنه تعالى وعد فيها بالمغفرة من استغفره من ذنوبه ولم يصر على ما فعله قال فتحمل نصوص الاستغفار المطلقة على هذا القيد اهـ . من شرح الرياض .

والحاصل أن الاستغفار إذا صاحبه ندم من الوقوع فى الذنب فهو نافع

ماحق للذنوب وإن لم يستشعر المستغفر باقى شروط التوبة من العزم على عدم العود إلى الذنب لأن فى ذلك اعترافاً بالذنب وتوحيداً وإقراراً باعتقاد العبد أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ولكن الدعاء بقوله اللهم اغفر لى وتب علىّ أو لى لما مر عن الحصن عند قولنا « ربنا اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » ولذا تمحض الثواب الجزيل وعظم فى قول استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات لأنه مجرد دعاء لمن ذكر من غير إشعار بإخبار عما قد يسمى كذباً وزوراً وإن لاقى ذلك نوع من الرياء وإظهار التفجع والخوف بغير مبالاة فى السر والباطن كان ذلك من أعظم الذنوب الموجبة لغضب من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فقد يقع لكثير من الناس هذا الحال لا سيما ممن هو عليم اللسان وجاهل القلب فإنه يراعى أمر الظاهر ومجاملة الخلق من غير التفات إلى أمر الباطن واطلاع من لا تفوته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر ، قال صاحب الراتب رضى الله عنه فى النصائح : ومن المأثور أن من استغفر الله كل يوم للمؤمنين والمؤمنات سبعاً وعشرين مرة صار من العباد الذين بهم يرحم الخلق وبهم يمطرون وبهم يرزقون وهذه صفة الأبدال من رجال الله تعالى وعباده الصالحين اهـ . قال وبلغنا أن الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى رؤى بعد موته فى المنام فذكر أن الله تعالى نفعه كثيراً بكلمات كان يسمعها من سفيان الثورى رحمه الله تعالى وهى هذه اللهم يارب كل شىء بقدرتك على كل شىء اغفر لى كل شىء ولا تسألنى عن شىء اهـ . بمعناه فعليك أيضاً بالإكثار من هذه الكلمات المباركات اهـ . وهو أيضاً من صيغ الاستغفار وكان يرتبه بعد سنة العصر وقبل الفرض .

وأما الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات سبعاً وعشرين مرة فإنه يعمل عليه ويأمر به بعد كل صلاة مع لا إلـه الا الله أربعين مرة وتكرير الجلالة احدى

وعشرين مرة واستغفر الله العظيم الذى لا آلـه الا هو الحى القيوم خمساً وعشرين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا آلـه الاالله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم خمساً وعشرين مرة وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم خمساً وعشرين مرة واللهم صلى على محمد وعلى آله وصحبه وسلم خمساً وعشرين مرة وبعد الصبح والعصر خاصة استغفر الله الذى لا آلـه الا هو الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا يموت وأتوب إليه رب اغفر لى خمساً وعشرين مرة اه ذكرنا ذلك تتميماً للفائدة وأكثر هذه الصيغ من الوارد وقد علمت ما فى الاستغفار والتوبة مما مر فى شرح قوله ربنا اغفر لنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم وقوله يا ربنا واعف عنا وامح الذى كان منا وقوله استغفر الله رب البرايا استغفر الله من الخطايا وكرر نفع الله به هذا النوع من الأذكار تنويها بشأن التوبة والاستغفار كما يعلم ما فيه من الفضائل مما مر من الآيات والأخبار والآثار .

وأما سره الذى منه إليه يصار وعليه للمشتغل به فى جميع أحواله المعول والمدار فذلك أمر لا ينكشف الا لذوى النور والاستبصار والوارثين للقائل أنه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم أكثر من مائة مرة .

خاتمـــة

فى بيان هذا المقام الحاصل لسيد الأنام والمسك الختام يستأنس بها أهل الذوق والالهام .

قال الامام الطيبى قدس سره شيخ الطريقين وأمام الفريقين تلميذ أبى حفص السهروردى صاحب العوارف) فى شرح هذا الحديث انه ليغان على قلبى قال محي السنة ذكر فى الغين وجوها ، أحدها قال القاضى عياض المراد به

فترات وغفلات عن الذكر الذى شأنه الدوام فإذا فتر عنه أو غفل عنه عد
ذلك ذنباً واستغفر منه ، وثانيها هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالهم
بعده ويستغفر لهم ، وثالثها سببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته وأمورهم وامداداتهم
ومحاربة العدو وتأليف المؤلفة ونحو ذلك من معاشرة الأزواج والأكل
والشرب والنوم وذلك مما يحجبه ويحجزه عن عظم مقامه فيراه ذنباً بالنسبة
إلى ذلك المقام العلى وهو حضوره فى حظيرة القدس ومشاهدته ومراقبته
وفراغه مع الله تعالى مما سواه ويستغفر لذلك ، ورابعها أن الاستغفار لإظهار
العبودية والافتقار والشكر لما أولاه ، وخامسها يحتمل أن الغين هو حالة
خشية وإعظام فالاستغفار شكر لها قال المحاسبي خوف المقربين خوف إجلال
وإعظام ، وسادسها ، هو شيء يعترى القلوب مما تتحدث به النفس كل ذلك
فى شرح مسلم وقال التوربشى سئل الأصمعى عن هذا الحديث فقال عن قلب
من يروى فقال عن قلب النبي ﷺ فقال لو كان عن قلب غيره لكنت أفسره
لك ، ولله دره لا تهاجه منهج الآداب واجلال القلب الذى جعله الله موضع
وحيه ومنزل تنزله وبعد فإن قلبه مشرب سدت عن أهل اللسان موارده وفتح
لأهل السلوك مسالكه وأحق من يعرب أو يعبر عنه مشايخ الصوفية الذين
نازل الحق أسرارهم ووضع الذكر أوزارهم ، ومن كلمات شيخنا شيخ الإسلام
أبى حفص السهروردى قدس سره ينبغى أن لا يعتقد أن الغين نقص فى حاله
ﷺ بل هو كمال أو تتمة كمال وهذا السر دقيق لا ينكشف إلا بمثال ، وهو أن
الجفن المسبل على حدقة البصر وإن كانت صورته صورة نقصان من حيث هو إسبال
وتغطية على ما من شأنه أن يكون بادياً مكشوفا فإن المقصود من خلق العين
إدراك المدركات الحسية وذلك لا يتأتى إلا بانبعاث الأشعة الحسية من داخل
العين واتصالها بالمرئيات على مذهب قوم وبانطباع صور المدركات فى السكرة

الجلدية على مذهب آخرين فكيفما قدر لا يتم المقصود إلا بانكشاف العين وعرائها عما يمنع من انبعاث الأشعة عنها ولكن لما كان الهوى محيطا بالأبدان الحيوانيه ولا يخلو من الأغبرة الثائرة بحركة الرياح فلو كانت الحدقة دائمة الانكشاف لاستضرت بعلاقاتها وتراكمها عليها فأسبلت أغطية الجفون عليها وقاية لها ومصقلة لها لتصقل الحدقة بإسبال الأهداب ورفعها لخفة حركة الجفن فيدوم جلاؤها ويحتد نظرها فالجفن وإن كان نقصاً ظاهراً فهو كمال حقيقة فهكذا لم تزل بصيرة النبي ﷺ معرضة لأن تصدأ بالأغبرة الثائرة من أنفاس الأغيار فلاجرم دعت الحاجة إلى إسبال جفن من الغين على حدقة بصيرته ستراً لها ووقاية وصقالا عن تلك الأغبرة المثارة برؤية الأغيار وأنفاسها فصح أن الغين وإن كانت صورته نقصا فمعناه كمال وصف حقيقة ، ثم قال رضى الله عنه وأيضا إن روح النبي ﷺ لم تزل في الترقى إلى مقامات القرب مستتبعة للقلب فى رقيها إلى مركزها وهكذا القلب كأنه يستتبع نفسه الزكية ، ولا خفاء أن حركة الروح والقلب أسرع وأتم من نهضة النفس وحركتها فكانت خطى النفس تقصر عن مد الروح والقلب في العروج والولوج فى حريم القرب ولحوقها بهما فاقتضت العواطف الربانية على الضعفاء من الأمة إبطاء حركة القلب بالقاء الغين عليه لئلا يسرع القلب ويسرح فى معارج الروح ومدارجها فتنقطع علاقة النفس عنه لقوة الانجذاب فبقى العباد مهملين محرومين عن الاستنارة بأنوار النبوة والاستضاءة بمشكاة مصباح الشريعة وحيث كان يرى ﷺ غطاء القلب بالغين الملقى عليه وقصور النفس عن شأو ترقى الروح إلى الرفيق الأعلى كان يفزع إلى الاستغفار إذ لم تف قواها فى سرعة اللحوق بها وهذا من أعزمقول القول فى هذا المعنى وأحسن مشروح فيه والله أعلم اهـ . وهذا وإن كان نقلنا له مع عدم ذوقه كما قال صاحب الراتب نفع الله به .

إنا لنعلمـــه ولم نحظ به ذوقا لما معنا من التشتيت

لكنه يفيد الواقف عليه معنى رفعة مقامه ﷺ ويشير إلى مايليق بكماله .

وقد سئل الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه عن الغين المذكور في الحديث فأجاب بأنه غين أنوار لا غين أغيار وهذا الجواب يغني إجماله عن جميع مامر من التفصيل لكن التفصيل فيه دلالة على أن تلك الأقاويل لا ينحصر فيها التأويل لأن العلوم والمعارف التي هي من كلمات الله لو كانت البحار مداداً لها لا تنفد ولا تتناهى وليست لها غاية ولا نهاية ولهذا من كان أكثر علماً بها كان أكثر فضلا وأزيد شرفا فإنه ﷺ لـــما أعطى علم الأولين والآخرين كان بذلك مع فضـــل الله عليه أشرف المخلوقين وأفضل السابقين واللاحقين ، ومادة هذه العلوم اللدنية من سر قوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم . وهذه العلوم اللدنية هي علوم الذوق للسادة الصوفية الذين أجود ما قيل في تسميتهم صوفية أن الصوفي هو العامل بعلمه والله أعلم » .

الذكر الحادي والعشرون

«لا إلـه إلا الله» بتهليلتين في نفس واحد أقله خمس وعشرون لا ينقص ليتم بذلك خمسون تهليلة بلا نقصان — كذا في المنقول عن جامعه رضى الله عنه ، وفي القرطاس للعارف بالله الحبيب علي بن حسن العطاس في ترجمة جامعه "رضى الله عنهما ثم يقول لا إلـه إلا الله مائة أو خمسين أو خمسا وعشرين اهـ ، ولا حد لأكثره كما مر :

واعلم أن هذه الكلمة المشرفة المعظمة هي نور الله الذي أفاضه على قلوب

من اختارهم واختصهم لمراده كما في حديث إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور هدى ومن أخطأه ضل ، وإيمان كل عبد على قدر ذلك النور . وهى أيضا مفتاح الجنة ، قال بعضهم وهى كلمة الإخلاص وكلمة التقوى والكلمة الطيبة وهى دعوة الحق والعروة الوثقى وكلمة الرحمة وكلمة الفوز وكلمة الإسلام وكلمة القرب وكلمة التقريب وكلمة النجاة وهى كلمة الله العليا وهى ثمن الجنة قال الله عز وجل (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فقيل الإحسان في الدنيا لا إلٓـه إلا الله وفي الآخرة الجنة ومعناها لا إلٓـه مستغنيا عما سواه ومفتقرا إليه كل ماعداه إلا الله أولا إلٓـه معبود بحق في الوجود إلا الله .

مبحث إعرابها

ووقع خلاف في إعرابها على أقوال الراجح منها أن «لا» نافية للجنس و «إلٓـه» اسمها مبنى على الفتح وخبرها محذوف تقديره موجود و « إلا الله » مرفوع على البدلية من الخبر المحذوف — وخلاف آخر في « إلا الله» هل هو استثناء متصل أو منقطع فمن قال إنه منقطع جعل المنفى ماهو في ذهن المؤمن وهو كل معبود بباطل لأنه في ذهن المؤمن معبود بباطل فالمؤمن لا يتردد في كونه أى المنفى غير الله تعالى معبوداً بحق أو باطل وإلا كان كاذباً أو ينفى من حيث وجوده في ذهن الكافر بوصف كونه معبوداً بحق وهذا هو الاستثناء المتصل عند من قال به لأنه يقدر أن هناك معبوداً بحق في اعتقاد عابده كالأصنام والشمس والقمر وغيرها من سائر المعبودين فالمنفى حينئذ المعبود بحق في ذهن الكافر من حيث أنه عنده وفي اعتقاده بوصف كونه معبوداً بحق أما من حيث كونه معبوداً

بباطل فلا ينفى وإلا كان كذباً لأن ماهناك معبود وتسمية عابده له إلٰها غير معتبر فهو من حيث وجوده فى الخارج فى نفسه لاينفى وكذا من حيث وجوده فى ذهن المؤمن بوصف كونه باطلا إذ كونه معبوداً بباطل أو حق لايصح نفيه وإلا كان كاذباً كما مر .

وقال السحيمى فى شرح عبد السلام على الجوهرة وإنما ينفى من حيث وجوده فى ذهن الكافر بوصف كونه معبوداً بحق فلم ينف لا إلٰه إلا الله إلا المعبود بحق غير الله على التحقيق والمعنى لا معبود بحق موجود إلا الله اهـ . وهذا على قول من يقول الاستثناء متصل ، والأسلم قول من قال أن النفى إنما تسلط على الآلهة المعبودة بباطل بتنزيلها منزلة العدم أى فلا إثبات لألوهيتها ووجودها لا حكماً ولا حقيقة وإنما وجودها فى الخارج صورة فى ذهن الكافر فافهم ــ هذا عند علماء الكلام نحوا وأصولا وأما عند علماء التجريد والتفريد لاثابت حقيقة إلا وجوده تعالى وكل ما سواه عــدم لأن قيامه وظهوره به تعالى .

مبحث فضلها على سائر الأذكار

وأما فضلها وشرفها على سائر الأذكار وخاصيتها فى تنوير القلب وصلاحه وعموم نفعها حتى للمنافق إذا قالها عن غير تصديق وإيمان بمقتضاها فإنها تعصم دمه وماله كما فى الحديث وسيأتى فأنها تجمع جميع العقائد المار تفصيلها فى قوله آمنا بالله واليوم الآخر ويأتى فيه زيادة بيان وقد تكررت فى الكتاب العزيز فى آيات كثيرة قال تعالى (وإلٰهكم إلٰه واحد لا إلٰه إلا هو الرحمن الرحيم) (الله لا إلٰه إلا هو الحى القيوم) (الم الله لا إلٰه إلا هو الحى القيوم) (شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إلٰه إلا هو العزيز الحكيم) (فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة

وأما الأخبار ففي الحديث القدسي « لا إلـه إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي » ، وقال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله » وهي أفضل الذكر كما قال ﷺ « أفضل الذكر لا إلـه إلا الله » وقال « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » وقال ﷺ « ليس على أهل لا إلـه إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » وقال « إنها أفضل الحسنات » وقال ﷺ « يا أباهريرة إن كل حسنة توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إلـه إلا الله فإنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إلـه إلا الله أرجح من ذلك » وقال ﷺ « يا أباهريرة لقن الموتى شهادة أن لا إلـه إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدما قلت يارسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال هي أهدم وأهدم » وقال ﷺ « كلكم لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله فقيل يارسول الله من الذي يأبى فقال من لم يقل لا إلـه إلا الله فأكثروا من قول لا إلـه إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها » وقال ﷺ « جددوا إيمانكم فقالوا يارسول الله كيف نجدد إيماننا قال أكثروا من قول لا إلـه إلا الله ليس لها من دون الله حجاب حتى تخلص اليه ، قولها لا يترك ذنبا ولا يسبقها عمل » وروى أن العبد إذا قال لا إلـه إلا الله أتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس معها ، وفي الخبر ماقال عبد لا إلـه إلا الله مخلصا إلا صعدت ولا يردها حجاب فاذا وصلت إلى الله سبحانه وتعالى نظر سبحانه وتعالى إلى قائلها وحق على الله تعالى أن لا ينظر إلى موحد إلا يرحمه ، وحديث البطاقة المشهور عن عبد الله بن عمرو بن

العاص رضى الله عنهما والسجلات التسعة والتسعون المذكورة إلى أن قال فى آخرها فتخرج بطاقة بيضاء فيها أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع لا إلـه إلا الله شىء ، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إلـه إلا الله فان السموات والأرض وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا إلـه إلا الله فى الكفة الأخرى كانت لا إله إلا الله أرجح منها ولو أن السموات والأرض وما فيهما كانت حلقة فوضعت لا إلـه إلا الله عليها لقسمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل نبى وبها يرزق كل شىء ، ويروى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ماعلى الأرض أحد يقول لاإلـه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحار ، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الذكر لاإلـه إلا الله » ،قال بعض المحققين إنما جعل التهليل أفضل الذكر لأن له تأثيراً فى تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التى هى معبودات فى باطن الذاكر قال تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) فيفيد نفى عموم الألوهية بقوله لا إلـه ويثبت الواحد بقوله إلا الله ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه — وجد حلاوة هذا من ذاق — قال وقال المظهر إنما كان التهليل أفضل الذكر لأنه لايصح الإيمان إلا به وإنما جعل الحمد أفضل الدعاء لأن الدعاء عبارة عن ذكر الله تعالى وأن يطلب منه حاجته والحمد لله يشملها فان من

حمد الله إنما يحمده على نعمته والحمد على النعمة طلب مزيد قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) اهـ . .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله لا إلـه إلا الله من الحسنات قال هى من أحسن الحسنات ، وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ، قال قال موسى عليه السلام يا رب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به قال قل يا موسى لا إلـه إلا الله ، قال موسى يا رب كل عبادك يقول هذا قال يا موسى قل لا إلـه إلا الله قال لا إلـه إلا أنت إنما أريد شيئا تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع فى كفة ولا إلـه إلا الله فى كفة مالت بهن لا إلـه إلا الله ، وعن عياض الأنصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا إلـه إلا الله كلمة كريمة على الله تعالى ولها عند الله مكان من قالها صادقا من قلبه دخل الجنة ومن قالها كاذباً حقنت دمه وأحرزت ماله ولقى الله فحاسبه » وعن سهيل بن البيضاء رضى الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله ﷺ فقال ياسهيل بن البيضاء ورفع صوته مرتين أو ثلاثا فعرف من أمامه ومن قدامه أنه يريدهم فجلس من كان بين يديه ولحقه من كان خلفه حتى اجتمعوا فقال رسول الله ﷺ «من شهد أن لا إلـه إلا الله حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة » وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أن شيخاً كبيراً أتى النبى ﷺ وهو يدعم على عصا فقال يانبى الله إن لى غدرات وفجرات فهل تُغفَر لى فقال أليس تشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله قال بلى يا نبى الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إن الله قد غفر لك غدراتك وفجراتك فانطلق الرجل يقول الله أكبر الله أكبر ، وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبى ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو

نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال «مامن عبد قال لا إلٓـه إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق كررها ثلاثا وقال فى الثالثة وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر» فكان أبو ذر رضى الله عنه إذا حدث بهذا الحديث يقول وإن رغم أنف أبى ذر ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار وهى لا إلٓـه إلا الله ، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « من قال فى مرض موته لا إلٓـه إلا الله والله أكبر لا إلٓـه إلا الله وحده لا شريك له لا إلٓـه إلا الله له الملك وله الحمد لا إلٓـه إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ومات من مرضه لم تطعمه النار» وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ « إن لله عمودا من نور بين يدى العرش فإذا قال العبد لا إلٓـه إلا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله تبارك وتعالى له اسكن فيقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلها فيقول قد غفرت له فيسكن عند ذلك » وعن كعب الأحبار رضى الله عنه قال أوحى الله إلى موسى عليه السلام فى التوراة لولا من يقول لا إلٓـه إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا ، وقال رسول الله ﷺ «من قال لا إلٓـه إلا الله ثلاث مرات فى يومه كانت كفارة لكل ذنب لصاحبه فى ذلك اليوم » وذكر ابن أبى الفضل الجوهرى رحمه الله قال إذا دخل أهل الجنة الجنة سمعوا أشجارها وأنهارها وجميع مافيها يقولون لا إلٓـه إلا الله فيقول بعضهم لبعض كلمة نغفل عنها فى الدنيا وحدث أيضاً يهتز العرش لثلاث إحداها لقول المؤمن لا إلٓـه إلا الله ، قلت وهل اهتزازه لقول كل مؤمن لها أم يختص بذوى الكمال والجواب عن ذلك يحتمل أن اهتزازه يكون لكل مؤمن مطلقا فيكون

تعظيما لهذه الكلمة الشريفة ، ويحتمل أن يختص ذلك بكل مؤمن عارف لخروجها مع كمال ومعرفة كما ورد اهتزازه لموت سعد بن معاذ رضى الله عنه خاصة ، وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم من قال لا إلـه إلا الله مخلصا من قلبه ومدّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر قيل فإن لم تكن له هذه الذنوب قال غفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه

ولما ذكر الإمام النووى رضى الله عنه فى المجموع نَدْبَ تدبر الذكر قال ولهذا كان المذهب الصحيح المختار أن مدّ الذاكر قوله لا إلـه إلا الله أفضل من حذفه لما فى المدّ من التدبر اهـ ونقل الإمام محمد بن علان رحمه الله تعالى هذا الأثر عن شرح العقيدة السنوسية قال ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم المرفوع ، قال وقال فى الحرز الثمين المراد أن يمد فى موضع يجوز مده كألف لا ولا يزيد على قدر خمس ألفات فإنه أكثر مانقل عنه ﷺ عند القراءة مع تجويز القصر فى الأداء وأما مدّ «إلـه» فلحن لا يجوز زيادةً على قدر ألف ويسمى مدًّا طبيعيا وكذلك فى لفظ الجلالة وصلا وأما وقفاً فيجوز طوله وتوسطه وقصره والأول أولى لكنه قدر ثلاث ألفات ، ويجب أن يقطع همزة إلـه وكثيرا ما يلحن فيه بعض العامة فيبدلونها ياء ، ولا يجوز الوقف على إلـه لأنه يوهم الكفر ، قال بعض العلماء بعض الكلمة الطيبة كفر وبعضها إيمان ، وليلاحظ فى النفى نفى ما سواه من سائر الأكوان والأحوال وفى الاستثناء شهود الإلـه فالكلمة الشريفة جامعة بين التخلية والتحلية «بالمعجمة ثم بالمهملة» والتقدير لا إلـه معبود أو موجود أو مطلوب أو مشهود إلا الله بحسب مقامات أهل الذكر وحالات ذوى الفكر ثم لا يلزم من مدّ الذاكر رفع الصوت فإنه قد ينهى عنه بأن يشوش على مصل أو نائم أو نحوه ، قال الشيخ ابراهيم اللقانى

في شرح جوهرة التوحيد له قال ابن ناجى قد اختلف العلماء هل الأفضل للمكلف عند التلفظ بلا إلــه إلا الله المد للألف من لا النافية أو القصر فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بها نفي الألوهية عن كل موجود سواه تعالى. ومنهم من اختار القصر لئلا تخترمة المنية قبل التلفظ بذكر الله تعالى ، وفرق الفخر بين أن تكون أول كلام فتقصر وإلا فتمد اه وأما حذف ألف الله فهو لحن لا ينعقد معه يمين ولا يصح ذكر اه ، وقال الشيخ على بن عبد البر الونائى رحمه الله تعالى فى رسالة سماها نجاة الروح وكنز الفتوح فيما يتعلق بالذكر فى شروط الذكر وآدابه : وأن يجتنب الخطأ كاللحن فلا يبدل حرفا بحرف آخر ولا يسقطه ولا يزيد المدّ من لا على أربعة عشر حركة وأقل المد حركتان فلا يجوز النقص عنهما لأنه يصير الكلام إثباتا وهو كفر عند قصده ويمد لفظ الجلالة حركتين فأكثر إلى ست ويسكن هاءها ويقطع الهمزة من إلــه ويمد اللام فيه قدر حركتين اه ومرّ فى المقدمة التنبيه على المحافظة على تأدية هذه الكلمة الشريفة ومراعاة لفظها على وجه الإحسان .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إلــه إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه

قال الشيخ الغزينى رحمه الله تعالى فى كتابه المسمى بهجة الأنوار بعد أن روى بعض هذه الأحاديث قد انكشف لأهل البصائر والأنوار والمعارف والأسرار أن جميع العلوم فروع لعلم لا إلــه إلا الله وما من علم من علوم الغيب والشهادة إلا وهو منتظم فى سلك لا إلــه إلا الله مستثمر من ثمار أسرارها ولذلك اكتفى

بعلمها للنبي ﷺ إجمالا وتفصيلا فقال تبارك وتعالى (فاعلم أنه لا إلـه إلا الله) اهـ
ففي ضمير الشأن أي شأن لأن المنوه به في الاعلام هو الحكم الذي ترتبت عليه
جميع الأحكام والعنوان الذي شرف به أهل الإسلام والإيمان والإحسان وحصل
لهم به الأمان والرضوان في غير موقف ومكان إلى دخول الجنان ، وقال الشيخ
صاحب الراتب نفعنا الله به في كتابه «إتحاف السائل في جواب المسائل» سألت
أكرمك الله بالفهم النوراني عن معنى لا إلـه إلا الله فاعلم أن جميع العلوم الدينية
ووسائلها ترجع إلى شرح معنى هذه الكلمة وشرح حقها الذي هو الأمر
والنهي والوعد والوعيد وما يتبع ذلك وما كان شرحاً لحقها أي لما يلزم بها
ويتعلق بالمكلف بسببها كان شرحاً لها بحكم التبعية ، والقصد التعريف بأنه
لا سبيل إلى الإحاطة بشرح علومها فضلا عن إيراده اهـ . فافهم كلامه رضي
الله تعالى عنه أن كل فرد فرد من أهل ملة الإسلام في مراتب الإيمان ودرجات
الإحسان يكون له من علم لا إلـه إلا الله ولوازمها وأحكامها مالا يحاط به لأنه
لا يزال في كل وقت وفي كل مكان تتعاور عليه الأحكام لأنه في كل ما توجه عليه
من أحكام الدين ولوازم الشرع من الأوامر والنواهي فهو ملتزمه بمقتضى
لا إلـه إلا الله هذا فيما يتعلق من الأحكام بالجنان واللسان والأركان ، وأما فيضان
علومها الذي هو ثمرة ووجدان فهو من خبر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر حققنا الله بحقائقها ، ثم قال صاحب الراتب في الكتاب
المذكور بعد كلام طويل : واعلم أن هذه الكلمة أجمع الأذكار وأنفعها وأقربها
إلى الفتح وصلاح القلب واستنارته بنور الله وأولاها بكل أحد وذلك لتضمنها
معاني جميع الأذكار من التحميد والتسبيح وغيرها ، وينبغي لكل مؤمن أن
يجعلها ورده اللازم وذكره الدائم ومع ذلك فلا ينبغي له أن يهجر بقية الأذكار

بل يجعل له من كل منها ورداً ا هـ ، وقوله إنها تتضمن جميع معانى الأذكار قال الحجة الغزالى رضى الله عنه ما فى القرآن من شىء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله سبحانه وتعالى إلى خلقه فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) وتارة يتعرف إليهم بأفعاله المخوّفة والمرجوّة فيتلو عليهم سنته فى أوليائه وأعدائه فيقول (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهى الإشارة إلى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ، ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن لأن منتهى التقديس أن يكون واحداً فى ثلاثة أمور — لا يكون حاصلا منه ماهو شبهه ومن نوعه ودل عليه قوله «لم يلد» — ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله «ولم يولد» — ولا يكون فى درجته من هو مثله وإن لم يكن له أصلا ولا فرعاً ودل عليه قوله «ولم يكن له كفواً أحد» ويجمع جميع ذلك «قل هو الله أحد» ويجمع جميع هذا التفصيل قولك لا إلـه إلا الله ، وقال سفيان بن عيينة رضى الله عنه يقال لا إلـه إلا الله فى الآخرة بمنزلة الماء فى الدنيا لا يحى شىء فى الدنيا إلا على الماء قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شىء حى) فلا إلـه إلا الله بمنزلة الماء فى الدنيا من لم يكن معه لا إلـه إلا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حى وقال ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم لا إلـه إلا الله ، وقال الشيخ الغرينى رحمه الله تعالى بعد أن نقل كلام الاحياء وهذه الكلمة الشريفة لها خاصية فى تنوير الباطن وجمع الهمة إذا داوم عليها صادق وهى من مواهب الحق جل وعلا وفيها خاصية لهذه الأمة ،

وروى أن عيسى عليه السلام قال يا ربّ انبئنى عن الأمة المرحومة قال. أمة محمد ﷺ علماء حلماء أتقياء حكماء كأنهم أنبياء يرضون منى بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إلـه إلا الله ، ياعيسى هم أكثر سكان الجنة لأنها لم تذل ألسن قوم قط بلا آلـه الا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذل رقاب قوم بالسجود كما ذلت رقابهم اهـ ، وقوله رضى الله عنه أيضاً وشرح حقها الذى هو الأمر والنهى الى آخره يقتضى أن من قالها ولم يقم بما هو من حقها ولا عامل بها بل يقولها بلسانه ويرتكب المحرمات ويتساهل بالواجبات فذلك غير نافع له كما ذكر معنى ذلك الإمام الغزالى رضى الله عنه فى الاحياء واستدل له بقوله ﷺ لا تزال لا إلـه الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم ، وفى لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دينهم بسلامة دنياهم فإذا لم يفعلوا ذلك وقالوا لا إلـه إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين . وفى حديث آخر من قال لا إلـه إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال أن تحرزه عما حرم الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه .

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى قدس الله سره فى كتاب تحفة الراغبين وتذكرة السالكين واعلم أن الواجب على كل إنسان يقول لا إلـه إلا الله أن يسأل الله تعالى فى آناء الليل والنهار أن لا ينزع هذا القول عنه وأن يحفظ نفسه من المعاصى فإن كثيرا من الناس يقولون هذا القول وينزع منهم فى آخر أعمارهم بسبب أعمالهم الخبيثة فيخرجون من الدنيا على الكفر فأى معصية أعظم من هذا أن يكون الرجل اسمه من المسلمين جميع عمره فيبعث يوم القيامة واسمه من الكافرين وذلك كله بسبب ارتكاب

المحرمات فى السرائر والتهاون بالدين اهـ ، وقد مرّ عن النصائح لصاحب الراتب أن كثيراً ما يختم لهم بخاتمة السوء بسبب تضييعهم لبعض الأوامر مع ارتكابهم لبعض المناهى الشرعية وهذا كثيراً مايقع لأهل الغفلة الذين يرتكبون المنهيات ويتركون المأمورات غير محتفلين بجانب الدين وليس لهم التفات إلى ما يترتب على ذلك من العقوبات ولا يخطر ببالهم الخوف من الله تعالى فذلك من عدم استقرار الايمان وثبوته فى القلب بل هو إلى التزلزل والشك أقرب فعند الموت يكون كذلك، وأما من له ايمان وإن ضعف غير أنه يقع فى المحرمات وهو مستشعر أن ذلك فيه مخالفه لربه ونقص فى دينه وضعف فى إيمانه [فايمانه ناقص وهو إلى الخير أقرب] ولهذا المعنى قيد بالاخلاص حديث من قال لا إلــه إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة وفسر اخلاصها بأن يحرزه عما حرم الله تعالى فهذا فى حق الايمان الكامل ،وأما الناقص فقد يقع معه الذنب والوقوع فى المعصية ولكنه كما مر يكون معه نوع من الخوف والوجل والإيمان بيوم الحساب فيأتى بما أتى به من المأمورات مع قصد الامتثال والاحتراز عن الإهمال بخلاف مامر من حال الأول من أنه يأتى بما أتى به من الأوامر الشرعية على صفة العادة والموافقة غافلا عما يراد منه وبه من الأمور المستقبله من الموت ومابعده وإن ارتكب منهيا فكذلك فحال هذا الرجل خطر إن لم يتداركه الله بالتوبة النصوح ، وأما الأول فهو وإن جرت منه الهفوات والتبعات فايمانه نافعه يوم القيامة كما فى حديث الشفاعة أنه صلى الله عليه وسلم بعد السجدة الأولى يقول أمتى امتى فيقال له انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو من شعيرة من إيمان فاخرجه منها فأنطلق فافعل وبعد السجدة الثانية يقال له انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه منها فانطلق فافعل وبعد الثالثة يقال له فمن كان فى قلبه

أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجه من النار فافعل وبعد الرابعة أقول يارب ائذن فيمن قال لا إلــه إلا الله قال ذلك ليس ذاك لك أو ليس ذاك إليك ولــكن وعزتى وجلالى وعظمتى وكبريائى لأخرجن من النار من قال لا إلــه إلا الله . والحديث مذكور بطوله فى صحيح مسلم .

فهذا كله فيمن مات على الاسلام وإن عظمت سيئآته ومعاصيه فإن حاله أنه من أهل الجنة بعد ما يؤاخذ ويعاقب بما جناه على نفسه وارتــكبه من المخالفات كما حكى فى الاحياء عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه لما روى حديث آخر من يخرج من النار بعد ألف سنة قال وياليتنى ذلك الرجل أى أنه محقّـق لموته على الاسلام دخوله الجنة فهكذا كان خوف العارفين إنما هو من سوء الخاتمة كما ذكر ذلك صاحب الراتب نفع الله به فى أوائل النصائح .

وأعلم أن ما ذكره الأئمة العارفون من تأثير هذه الـكلمة فى تطهير القلب وتنويره وسعادة قائلهــــا والعاكف على تلاوتهــــا وتــكريرها فى الآخرة إنما هو مع الأخلاص والحضور مع ما ذكروه أيضا من شروط وآداب وإلا كانت قليلة التأثير والجدوى ، قال محمد بن عبد الله الدميرى فى « سفينة النجاه إلى طريق معرفة الالــه » فى ذكر الحضور فاذا قلت لا إلــه إلا الله وانت غافل القلب ساهى السر فلست بذاكر فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فإذا ذكرته كن كلك قلبا وإذا نطقت به كن كلك لساناً وإذا سمعته كن كلك سمعاً وإلا فانت تضرب فى حديد بارد فما احترق لسان أحد بقوله نار ولا استغنى أحد بقوله ألف دينار ، القول قشر والمعنى لب فما يصنع بالقشر مع فقدان اللب ، القول صدف والمعنى در فما يصنع بالصدف مع فقدان الدرّ ، القول بمنزلة الورق من الشجرة وكلمة التوحيد بمنزلة الشجرة ومثل كلمة طيبة

كشجرة طيبة فعروق هذه الشجرة التصديق وساقها الاخلاص وأغصانها الأعمال وأوراقها الأقوال فكما أن أدنى ما فى الشجرة الأوراق كذلك أدنى الإيمان الأقوال فهى شجرة السعادة إن غرستها فى منبت التصديق وسقيتها من ماء الاخلاص وراعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها وثبت ساقها واخضرت أوراقها وأينعت ثمارها وتضاعفت تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فثمرتها التوبة واليقظة والزهد والورع والتوكل والتسليم والتفويض وكل صفة من الصفات الالهية وكل خصلة من الخصال الجسمانية الطاهرة إلى آخر ما ذكره. وقد مرت الإشارة إلى أن شرح هذه الكلمة العلوم من الأحكام والمعارف والحقائق وغيرها فلا مطمع إلا فى الرمز والإشارة إلى ما ينبه اللبيب العاقل الموفق ليتمسك بها علما وعملا وذوقا كما قال الشيخ عبد الله فى النصائح وما ورد فى فضل هذه الكلمة كثير شهير ، والقصد الإشارة دون الاستقصاء ويكفى فى معرفة فضلها أنها الكلمة التى بها يدخل الإنسان فى الاسلام ومن ختم له عند الموت بها فاز بالسعادة الأبدية التى لا شقاوة بعدها ؟ اللهم يا كريم نسألك أن تحيينا وتميتنا وتبعثنا على قول لا إله إلا الله مخلصين ووالدينا وأحبابنا والمسلمين آمين اهـ .

الذكر الثاني والعشرون

خاتمة أذكار هذا الراتب المبارك وهو أن يقولوا بعد العدد المراد من كلمة الشهادة «لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم ورضى الله تعالى عن أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الأكرمين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم

برحمتك يا أرحم الراحمين » أتى فيه بهذه الصيغة لأنه لا يصح إيمان عبد وإن كرر لا إلــه إلا الله وآمن بمقتضاها إلا إن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام لأن الإيمان به يتضمن الإيمان بسائر الأنبياء والرسل والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر وما فيه وأيضاً التصريح برسالته ﷺ يستلزم تصديقه فى كل ما جاء به وفى الاتيان بها فى آخر مرة إشارة إلى تأكد تكرير لا إلــه إلا الله مجردة لقوله ﷺ فى الحديث المار جددوا إيمانكم بلا إلــه إلا الله وفى الحديث الآخر « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إلــه إلا الله دخل الجنة ، قال فى التحفة أى مع المقربين وإلا فكل مسلم يدخل الجنة لكن بعد ما يؤاخذ بقدر ما عليه من العقوبة المرتبة على الذنب إذا لم يغفر له اهـ . وينبغى أن تقترن بها فى بعض الأحيان ليكون التجديد للشهادتين مع استحضار معناهما ومعرفته ، وقد روى القاضى عياض فى الشفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : مكتوب على باب الجنة أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها ، وفى شرح الحبيب أحمد بن الحسن حفيد صاحب الراتب : وفى بعض الآثار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا إلــه إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً فمن قال لا إلــه إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها كل يوم مرة أى أو كل ليلة .

وقوله وشرف وكرم ومجد وعظم أى وزاده شرفاً وكرماً ومجداً وتعظيما وقد قرر العلماء أنه يجوز أن يقول الواهب اللهم اجعل ذلك زيادة فى شرفه ﷺ قالوا وذلك لأن الكامل يقبل التكميل كما مر فى مبحث الترقى ، والمجد هو السعة فى الكرم والجلالة والعز والشرف ، ثم عقب ذلك بالترضى عن صحابته رضى الله عنهم لاستحقاقهم الدعاء لهم من الأمة لكونهم

حملة نصوص الشريعة وحافظيها ومؤديها إلى من بعدهم فهم آباء لمن بعدهم أبوة أخص من أبوته ﷺ فهم أنصار الله تعالى ورسوله والدين على اختلاف مراتبهم، ثم خاصة المشايخ والوالدين والمعارف والمحبين فكل ذلك من القيام بالحقوق لهم قال الله تعالى (أن أشكر لى ولوالديك) فإنه يشمل جميع الوسائط فى الدين والطين ولا أحوج للصلة والدعاء من الإنسان بعد موته، قال صاحب الراتب فى كتابه «سبيل الإدكار» بعد أن حث ورغب فى القيام بحق الأقربين بعد الموت والتصدق عليهم والدعاء لهم، وروى عنه عليه الصلاة والسلام «لولا الأحياء لهلكت الأموات» أى لما يصل إليهم من دعائهم واستغفارهم والترحم عليهم وقال عليه الصلاة والسلام أمتى مرحومة تدخل قبورها بذنوب، كالجبال وتخرج من القبور وقد غفر لها باستغفار الأحياء للاموات اهـ. ويقال بعد ذلك أيضاً «وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين وعنا وعن والدينا وعن مشايخنا وعن جميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين» وفى ذلك تعميم جامع إذ الصحابة رضى الله عنهم الذين مات عنهم عليه الصلاة والسلام كعدد الأنبياء وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ولكل صحابى تابعون ولكل ولى كذلك وقد صح أيضاً أن لكل نبى من هذه الأمة تابعاً فى كل زمن وبهذا التعميم فيما ذكر من الختم يحصل الشمول ويرجى القبول والله أعلم.

الذكر الثالث والعشرون

«قراءة سورة الإخلاص «ثلاثا» والمعوذتين مرة مرة» وهذه السور الثلاث من أجمع ما ورد فى التحصينات وأنفعها وفيها من قواعد التوحيد ما يكفى الفطن اللبيب وقد شرعت قراءتها صباحاً ومساء وفيه فضل عظيم

وثواب كثير وحينئذ نسلك فى الـكلام عليها ما سلـكناه فى الآيات المتقدمة أول الراتب .

فضل سورة الإخلاص

فأما فضلها فلو لم يكن فى فضلها إلا أنها تسمى سـورة نسبة الرب تعالى (لـكفى) وذلك لما روى أبو العالية عن أبى بن كعب رضى الله عنه أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربك فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن عامر بن الطفيل وأزيد بن ربيعة أتيا النبى ﷺ فقال عامر إلى من تدعونا يا محمد فقال إلى الله تعالى قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت وأهلك الله تعالى أزيد بالصاعقة وعامرا بالطاعون ، وفى رواية إن ناساً من أحبار اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله تعالى أنزل نعته فى التوراة فاخبرنا من أى شىء هو وهـل يأكل ويشرب ومن ورث ومن يرثه فنزلت قل هو الله أحد .

(تنبيه)

مرّ عن الإمام الغزالى رضى الله عنه ما حاصله أنه سبحانه غنى عن أن يكون حاصلا ممن هو شبهه ونظيره ولا يكون حاصلا منه ما هو كذلك ولا يكون فى درجته ما هو مثله ودل على ذلك قوله (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحد) وذلك أجمع فى الحجة مما نزل فى جواب فرعون من موسى عليه السلام عند ما سأله عن ماهية الرب جل وعلا إذ قال (وما رب العالمين) فأجاب عليه السلام بقوله (رب السموات والأرض) إجابة بتعريفه بالأفعال وهو خلق السموات والأرض إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل فقال فرعون لمن حوله ألا تستمعون كالمنـكر عليه فى عدوله

عن جوابه عن طلب الماهية فقال موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين) فنسبه فرعون إلى الجنون إذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيبه عن الأفعال فقال (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) هذا حاصل ما ذكره الغزالى فى مشكاة الأنوار .

ولهذه السورة أسماء كثيرة منها سورة التفريد وسورة التجريد وسورة التوحيد وسورة الإخلاص وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة المعرفة وسورة الجمال وسورة القشقشة وسوة المعوذة وسورة الأحد وسورة الصمد وسورة الأساس، قال عليه السلام أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد والمانعة لأنها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة المحضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت والمنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها وسورة البراءة لأنها براءة من الشرك وسورة النور لأنها تنور القلب وسورة الأمان قال ﷺ إذا قال العبد الله قال الله دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى.

فهذه عشرون إسماً . وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « يقول الله كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياى يقول لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من إعادته وأما شتمه إياى فبقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفواً أحد » ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك وكان الرجل يتقللها فقال له رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن وقد مر فى فضل الذكر حكمة كونها ثلث القرآن ، وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ

بعث رجلا فى سرية فكان يقرأ فى صلاته فيختم بـ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه لأى شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال ﷺ اخبروه أن الله يحبه، وروى الترمذى عن انس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال ﷺ وجبت قلت وما وجبت قال الجنه ، وروى أنس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت ذنوبه ، وعن سعيـــد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بنى الله له قصراً فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور فى الجنة فقال عمر رضى الله عنه إذن تكثر قصورنا فقال ﷺ جنة الله أوسع من ذلك ، وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنـه أنه ﷺ قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح إثنى عشرة مرة فكأنما قرأ القرأن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى، وروى أنه ﷺ قال من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة ، ونقل السجاعى عن شرح العباب لإبن حجر رحمه الله تعالى قال من قرأها مائتى مرة غفر الله له ذنوبه مائتى سنة ومن قرأها ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ، وقد أفرد فضلها بالتأليف .

وقد وردت السنة بكثرة قراءتها فى أوقات مخصوصة كليلة الجمعة ويومها ويوم عرفة وغير ذلك وفى صلوات كذلك مذكورة فى كتب الفروع قال السجاعى :

(فائدة)

قال الزركشى ما اعتيد من تكرير سورة الإخلاص عند ختم القرآن نص الإمام أحمد على منعه أى فينبغى تركه كذلك نقله الشهاب ابن حجر كالسيوطى اهـ . وقد رأيت فى شرح الفصول لأبى شعيب الخصوصى توجيه ذلك بأن تكريرها أربعا مرة للختمة وثلاثا لتحصيل ثواب ختمه أخرى لما ورد أن المرة منها تعدل ثلث القرآن .

معنى سورة الإخلاص

وأما معناها فقوله (بسم الله) أى الذى له جميع الكمال والجلال والجمال (الرحمن) الذى أفاض على خلقه سوابغ الافضال (الرحيم) الذى خص أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والإكمال (قل هو) أى الشأن أو المسئول عنه أى الذى سألتمونى عنه كما فى الأخبار قريباً (الله) فضمير الشأن مبتدأ والله مبتدأ ثان و (أحد) خبر عنه أو ضمير الشأن مبتدأ وخبره الله وأحد خبر ثان أو بدل، وقوله أحد أى فى الذات إذ الوحدة تطلق على عدم التجزى والانقسام وعلى عدم النظير فى الأفعال ، قال السجاعى : وهمزة أحد إن كانت أصلية لم تستعمل إلا فى النفى وإن كانت منقلبة عن واو استعملت فى الإثبات أيضاً وقال فى المصباح يكون أحدٌ مرادفاً لواحد فى موضعين أحدهما وصف اسم البارى تعالى فيقال هو الواحد وهو الأحد والثانى أسماء العدد فيقال أحد وعشرون وواحد وعشرون وفى غير هذين يفرق بينهما بأن الأحد لا يستعمل إلا فى الجحد لما فيه من معنى العموم أو فى الإثبات مضافا نحو قام أحد الثلاثة ، والواحد اسم لمفتتح العدد ويستعمل فى الإثبات مضافا

وغير مضاف اهـ . ، وكلاهما أى الأحد والواحد كما مر عن المصباح فى وصفه تعالى مترادفان ولهذا فسرهما الخطيب بتفسير واحد ، والأحد يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية الثابتة للألوهية اهـ . (الله) أى الذى ثبتت ألوهيته وأحديته لا غيره مبتدأ خبره (الصمد) ولم يأت بالواو العاطفة لتكون هذه الجملة معطوفة على الأولى لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها ، والصمد السيد المصمد إليه فى الحوائج ، والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتعترفون أنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالألوهية لا يشارك فيها وهو الذى يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم (لم يلد) أى لم ينشأ عنه مولود لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى من يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه بدوامه فى أبديته وذلك لأن من يلد يموت ومن يرث يورث (فإن قيل) إن لم إذا دخلت على المضارع قلبت معناه إلى الماضى فيكون المراد نفى الولد فى الماضى مع أن المقصود نفيه فى جميع الأحوال (أجيب عن ذلك) بأن الاقتصار عليه للرد على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله (ولم يولد) أى لم يلده أحد أى لم يسبقه عدم ولا يفتقر إلى شىء (ولم يكن له كفواً أحد) أى لم يكن أحد له مكافئاً ومماثلا من صاحبة لأنه لو ساواه أحد فى وجوده ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولداً عن الازدواج الحاصل من الجنس الذى يكون كالأم والفصل الذى يكون كالأب وقد ثبت أنه لا يصح بوجه أن يكون فى شىء

من الولادة لأن وجوب وجوده لذاته ، قال السجاعى فى شرح حزب الإمام النووى واحد بالرفع اسم يكن وكفواً خبر قدم لأن المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى فقدم للاهتمام ونفى الكفؤ فى الماضى للرد على الكفار فى زعمهم وجود الآلهة فى ذلك ولم يزعم أحد حدوثها فى الحال أو الاستقبال ومر فى معنى لا إله إلا الله ما يتعلق بذلك .

وأما مطاوبيتها فى قوله ثلاثاً فلما ورد « قل هو الله أحد » والمعوّذتان ثلاثاصباحاً وثلاثاً مساءً تكفيك من كل شىء ، وسميتا معوذتين بكسر الواو لأنهما يعيذان قارئهما ويصح فتحها لأنه يتعوذ بهما فإذا زيدت معهما الإخلاص قيل المعوّذات .

الكلام على المعوذتين

وسبب نزول المعوذتين ما روى من طرق متعددة أنه ﷺ سحره رجل من اليهود فى مشط ومُشاطة من شعر رأسه ووضع فى جُفِّ طلعةِ ذكرٍ ووضع فى بئر ذى أروان حتى كان ماؤها كنقاعة الحناء وكان ذلك معقوداً فى وتر إحدى عشرة عقدة فأنزل الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية : سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات ؛ فكلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام ﷺ كأنما نشِط من عِقال ، وقد قرر الأئمة أن المستعاذ منه والألم واقعان بقضاء الله تعالى وقدره كما مر البرهان على ذلك فى الكلام على قوله الخير والشر بمشيئة الله بأن كل ما وقع فى الوجود من خير وشر فهو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى والطب من قضاء الله وقدره ولما روى الترمذى عن أبى خزيمة عن أبيه قال سألت النبى ﷺ

فقلت يا رسول الله أرأيت رقيا يسترقى بها ودواء يتداوى به وتقاة تقيتها هل يرد من قضاء الله شيئاً قال هو من قدر الله ، قال عمر رضى الله عنه نفرّ من قدر الله إلى قدر الله .

تنبيه

قال ابن علان فى شرح الرياض من باب التوكل وذكر الرقى قال القرطبى : الرقى والاسترقاء ما كان منه برقاء الجاهلية أو بما لا يعرف فواجب اجتنابه على سائر المسلمين واجتنابه حاصل من أكثرهم فلا يكون اجتناب ذلك هو المراد هنا ولا اجتناب الرقى بأسماء الله وبالمروى عن رسول الله ﷺ لأن ذلك إلتجاء إلى الله تعالى ويظهر لى والله أعلم أن المقصود اجتناب رقى خارجة عن القسمين كالرقيا بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين كما يفعله كثير ممن يتعاطى الرقيا فهذا ليس من قسم المحظور الذى يلزم اجتنابه ولا من قبيل الرقيا التى فيها الملجأ إلى الله تعالى فهذا القسم المتوسط يلحق بما يجوز فعله غير أن تركه أولى من حيث أن الرقى بذلك تعظيم وفيه تشبيه للرقى بأسمائه تعالى وكلماته فينبغى اجتنابه كاجتناب الحلف بغير الله تعالى ا ه ، وهذا هو الحق وطريق العارفين بالله أن لا يكون اللجاء منهم إلا إلى الله وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما سحر النبي ﷺ آتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد شكيتَ قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد والله يشفيك بسم الله أرقيك وتفسير السورتين بالاختصار (بسم الله) المستعاذ به من كل سوء (الرحمن الرحيم) هو المجير لعباده بلطفه من البلاء (قل) يا محمد (أعوذ) أى استجير وألتجىء واعتصم

واحترز (برب الفلق) أى الصبح على قول الأكثرين ومنه فالق الإصباح، والرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعاذة من المضار تربية (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لإنحصار الشر فيه لأن عالم الأمر خير كله، وقد مر بيان عالم الأمر وعالم الخلق فى الكلام على آية الكرسى و « ما » لمن يعقل وما لا يعقل فتشمل جميع من يتأتى منه الشر مع الاختيار كالإنس والجن والشياطين ونهش السباع ولدغ ذوات السموم ومع عدم الاختيار مثل الطبيعى كإحراق النار وإهلاك السموم أى موافقة القضاء والقدر كما مر التنبيه على ذلك. (ومن شر غاسق) هو القمر (إذا وَقَبَ) خسف وأسودّ وذهب ضوؤه. أو دخل فى المحاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المؤثر للتمريض. وقيل هو الثريا إذا سقطت وغابت ويقال إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذ أمرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات فى العقد) أى النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها ويرقين ، والنفث النفخ مع ريق ، فالاستعاذ هنا من سحرهن ومما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ، قال الخطيب واختلف فى النفث فى الرقى فجوّزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم واستدل لذلك بأحاديث وبحديث أصحاب القطيع من الغنم المار وأنكر جماعة النفث والتفل فى الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق ، قال عكرمة لا ينبغى للراقى أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد ، وقيل إن النفث فى العقد إنما يكون مذموماً إذا كان سحرا مضراً بالأرواح والأبدان. وأما إذا كان النفث لإصلاح الأرواح والبدن فليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب إليه اه ملخصاً ، وفى الأذكار أنه ﷺ كان إذا أخذ مضجعه ينفث فى كفيه بلا ريق ويقرأ الإخلاص والمعوذتين ويمسح بهما ما استطاع من بدنه يفعل ذلك ثلاثا وفى رواية أن النفث بعد القراءة وأنه لا ينام حتى يفعل ذلك ولما

مرض كان يأمر عائشة رضى الله تعالى عنها تفعل ذلك وأخذ من الروايتين أن النفث قبل القراءة وبعدها جمعاً بين الروايتين (ومن شر حاسد إذا حسد) أى إذا ظهر حسده لأنه لا يضر إلا مع بغيه وعدم أمن المحسود من غائلته وأشد الحساد وأعظمهم كيداً الشيطان وأعوانه من الجن والإنس لمحبتهم زوال الإيمان وما يقتضيه من دوام الطاعات لأنه لا يحسد إلا على الطاعة وما يعين عليها ، وقد قيل خير الناس من عاش ومات محسودا .

وقد ورد فى الحسد وذمه آيات وأخبار وآثار لا تحصى وإن كان من غير بغى كما مر كان أخف قال عليه السلام إذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض .

ولما أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة السلام بالاستعاذه مما تقدم أمره أيضا أن يستعيذ من شر الوسواس فقال (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس) أى خالقهم (ملك الناس) أى الذى له التصرف المطلق فيهم ونفوذ القدر عليهم (إلــه الناس) الذى لا يشاركه فى ألوهيته أحد (من شر الوسواس) هو الشيطان اللعين المغوى (الخناس) الذى يخنس أى يتأخر عند الذكر (الذى يوسوس) أى يحتال بالمعانى الضارة (فى صدور الناس) الغافلين عن الذكر (من الجنة) أى الجن المتمردين (والناس) أى أهل الاضطراب والذبذبة والشر من الإنس لأنهم ضربان كما فى الآية (شياطين الإنس والجن) .

وروى مسلم أنه ﷺ قال لقد أنزلت علىّ سورتان ما أنزل مثلهما وروى ابن ماجه أنه ﷺ قال وإنك إن تقرأ سورتين لا أحبّ ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين وفى خبر آخر أنهما أفضل ما تعوّذ به المتعوّذون .

ترتيب الفواتح بعد ما تقدم

وأما ترتيب الفواتح فهو وإن لم يذكره سيدى الحبيب أحمد فى شرحه لكنه ثابت مشهور

وكيفية ترتيبها « الأولى » الفاتحة لسيدنا الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى وأصوله وفروعهم وكافة ساداتنا آل أبى علوى بأن الله يعلى درجاتهم وينفعنا بهم وبعلومهم وأسرارهم وأنوارهم وبركاتهم فى الدنيا والآخرة ، « الثانيه » لجميع السادة الصوفية أينما كانوا وحلت أرواحهم بأن الله يعلى درجاتهم وينفعنا بهم وبعلومهم وأسرارهم ويلحقنا بهم فى خير وعافية « الثالثة » لصاحب الراتب الشيخ الكبير والقطب الشهير الحبيب عبد الله بن علوى الحداد باعلوى وأصوله وفروعهم بأن الله يعلى درجاتهم إلى آخر مامر ، « الرابعة » لكافة عباد الله الصالحين والوالدين وسائر المسلمين ويأتى بما أحب مما يجمع المصالح الخاصة والعامة ولا حرج فى الزيادة والاختصار .

وقد خص الفقيه المقدم من بين سائر الأصول الأئمة العارفين من لدن زين العابدين إلى الشيخ المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى وغيره ممن بعده ممن جمع العلوم والأعمال والمقامات والأحوال لكونه مظهر الطريقة العلويه ومشيد بنيانها وموطد أركانها كما هو معلوم فى محله ومعروف عند أهله وقوله (وأصوله وفروعهم) يجمع جميع الأصول والفروع ويشمل حتى الآباء من الأنبياء وسائر المؤمنين ثم تخصيص آل با علوى لكونهم أصوله وأقرباءه وأرحامه وأبوتهم الفائقة جامعة للشرفين وفضيلة الأصلين اللذين من جمعهما لايضاهى كما حقق ذلك الإمام أحمد زروق فى قواعد الصوفية فى مبحث النسب الروحى وقوله ﷺ «سلمان منا أهل البيت» قال لاتصافه بجوامع النسب الدينية حتى لو كان الإيمان بالثريا لأدركه .

وقد قيل فى قوله عليه السلام الأقربون أولى بالمعروف إنه يعنى إلى الله إذ لا يتوارث أهل ملتين فالمعتبر أهل النسب الدينى وفرعه مجردا ثم إن انضاف

إلى الطيني كان له مؤكداً فلا تلحق رتبة صاحبه بحال اه ، كلام زروق وإلى ذلك المقام يشير قول القطب أبي بكر العيدروس العدني نفع الله به .

فُقْنا على العشاق بكل مشهد، مَن مثلُنا ولو يطول من طال وجدَّ من جدَّ ما نالنا ، وقول صاحب الراتب نفع الله به :

سقى الله بشاراً بوابل رحمة يجود عليها بالصباح وبالإمسا
مرابع أحباب الفؤاد ومن لهم بها صدق ودّ فى سرائره أرسى
وحياهم الرحمن بالعفو والرضا وأولاهم الإحسان والقرب والأنسا
فثم أحبابى وأهلى وسادتى وأشياخنا المحسنون لنا غرسا
غرائس مجد فى حقائق نسبة مطهرة سدنا بها الغير والجنسا

وقوله فى بعض كلامه فُرش بساط للشيخ عبد القادر وطوى ثم للشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس وطوى ثم فرش لنا ويطوى ولا يفرش إلا للمهدى وذلك أن الشيخ عبد الله العيدروس كان مظهراً عظيما من مظاهر آل باعلوى وهو أول من صنف فى طريقهم وصاحب الراتب كان كالخاتم لتلك المظاهر العلوية القدسية كما قاله شيخنا العارف بالله شيخ بن محمد الجفرى جوابا عن سؤال عن ترتيب الفاتحة بعد الصلوات وفى المجموعات فقد قال بعد أن بسط النقل فى بعض ماورد فى ترتيبها وقراءتها بعد المكتوبات وبعد الجمعة وغير ذلك «وبالجملة فيستحب قراءتها بعد الصلوات ، وقراءةُ الناس لها عقب الصلوات دليل على توفيق الله تعالى لهم لينالوا فضيلة هذه السورة التى هى أعظم سور القرآن ولم يزل العلماء يواظبون على قراءتها وقد صنف فى فضائلها كتب كثيرة وألهم الله تعالى هذه الأمة العظيمة قراءة هذه السورة والإكثار منها عند حضور الجماعات وعند افتراقها من غير استشعار منهم بما فيها من الفضل

وكثرة الثواب ودفع الضرر وغير ذلك من الفوائد والأسرار المودعة فالحمد لله على توفيقه لهم على ذلك اهـ .

وقال الإمام زروف فى كتاب البدع والحوادث: ما اعتاده أهل الحجاز واليمن ومصر ونحوها من قراءة الفاتحه فى كل شىء لا أصل له ولكن قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى فى الانتصار فاستنزل ما عند ربك وخالقك واستجلب ما تؤمله من هدايه وبر بقراءة السبع المثانى التى أمرت بقراءتها فى كل صلاة وأكد عليك أن تعيدها فى كل ركعة وأخبر الصادق أن ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن مثلها وفى هذا تنبيه بل تصريح أن تكثر منها لما تضمنته من الفوائد وخصت به من الذخائر والعوائد ما لو سطر كان فيه أوقار الجمال فافهم وانتبه واعقل اهـ ، ووجدت معزوا للامام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوى فوائد .

«الفائدة الأولى» فى ذكر أسماء الفاتحة وقد مر فى أول الشرح بعضها.

«الفائدة الثانية» جميع الدين فى الفاتحة وجميع القرآن بيان وشرح لها وجميع الأحاديث بيان وشرح للقرآن وجميع كتب العلماء وكلامهم بيان وشرح للاحاديث فيرجع الكل إلى الفاتحه ولذلك تسمى الأساس ،

« الفائدة الثالثة » أوجب الله قراءة الفاتحة فى كل ركعة لأنها جمعت الأمر كله فإذا قرأها العبد فى صلاتة فقد عبد الله تعالى بالدين كله والعلم كله .

«الفائدة الرابعة» ورد فى الحديث أن الفاتحة أفضل السور وأنها شفاء من كل علة وأنها شفاء من السم وأنها لما قرئت له من قرأها بقصد شىء يحصل له .

« الفائدة الخامسة » ، ينبغى للمؤمن أن يجعل الفاتحة ورده وذكره

وعلمه وعمله لذلك فإن من قرأ أولها يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بقصد أتحصن بالله من الشيطان وضره وشره ثم يقرأ من أول الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم بقصد أتحصن وأتبرك وأستعين وأحصل مطلوبى ببسم الله ورحمة الله لأنه الرحمن الرحيم ، والحمد الشكر له لأن كل مقصود لا يحصل إلا بفضله ورحمته يقرأ هذا عشر مرات أو مائة ثم يقول يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين عشرا أو مائة ويقصد الطلب من مالك الملك والعطاء والجزاءان يجعله من عباده الصالحين فى كل حين ويعينه على كل خير وعلى مقصوده فى قلبه ثم يقرأ اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها ويطلب من الله أن يهديه الطريق المستقيمة فى الدين والدنيا وفى الأمر الذى يقصده فى قلبه وأن يهديه طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا طريق الذين غضب الله عليهم من الكفار والفجار ولا طريق الضالين من الغافلين والغالين آمين ومعناه يارب استجب لنا دعاءنا اهـ نقلته من خط العارف بالله تعالى طاهر بن الحسين ابن طاهر باعلوى قال وهو نقله من خط الشيخ عبد الرحمن بن أحمد وزير صاحب عينات وهو نقله عن سيدى عبد الرحمن المذكور نفع الله بالجميع ونقل عن الشيخ الحبيب أحمد بن زين الحبشى باعلوى نفع الله به مانقله عن الإمام زروق وهو ما ذكره فى كتاب البدع والحوادث وهو أنه قال ما اعتاده أهل الحجاز واليمن ومصر ونحوها من قراءة الفاتحة فى كل شىء الخ ما مر إلى هنا .

ومن فوائدالشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبرى الدمشقى رحمه الله تعالى قال ومنها ختم المجلس بقراءة سورة الفاتحة فينبغى المواظبة عليها لكل مؤمن راغب فى الخير وقد ذكر الأئمة لها قصة غريبة وحكاية عجيبة اهـ وما ذكره

ابن زياد من قراءة الفاتحة بعد الصلاة وبعد الجمعة فأما بعد الصلاة فقد مر في أول هذا الشرح وأنه يسن فيها وصل البسملة والحمدلة وأما بعد صلاة الجمعة فاجمع ما تتبع فيه الروايات ماذكره الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى في التحفة فإنه قال فيها .

فائدة

ورد أن من قرأ عقب سلامه من الجمعة قبل أن يثنى رجله الفاتحة والاخلاص والمعوذتين سبعاً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الأجر بعدد من آمن بالله ورسوله وفي رواية لابن السنى بإسقاط الفاتحة أعيذ من السوء إلى الجمعة الأخرى ، وفي رواية وزيادة قبل أن يتكلم حفظ الله له دينه ودنياه وأهله وولده ، ومن الفوائد العظيمة ما عزى إلى الإمام الغزالى رضى الله عنه من ترتيب الفاتحة بعد المكتوبات مائة مرة إحدى وعشرون بعد الصبح واثنتان وعشرون بعد الظهر وثلاث وعشرون بعد العصر وأربع وعشرون بعد المغرب وعشر بعد العشاء ، ولسيدى صاحب الراتب نفع الله به هذا الدعاء بعد ترتيب الفاتحة «الحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى أهل بيته وصحبه وسلم اللهم إنى أسألك بحق الفاتحة المعظمة والسبع المثانى أن تفتح لنا بكل خير وأن تجعلنا من أهل الخير وأن تعاملنا يا مولانا معاملتك لأهل الخير وأن تحفظنا فى أدياننا وأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأصحابنا من كل محنة وشدة وبؤس وضير إنك ولى كل خير ومتفضل بكل خير ومعط لكل خير يا أرحم الراحمين يكرر الدعاء ثلاث مرات والله أعلم .

الذكر الرابع والعشرون

الدعاء بعد ترتيب الفواتح فيدعو بالجوامع الكوامل بعد أن يستجمع من شروط الدعاء وآدابه ما أمكنه وأهم ذلك وأقربه إلى الإجابة تحرى الحلال مع الحضور واستقبال القبلة وحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قبله وأثناءه وبعده وورد أن الدعاء لا يُرد بل إن الله سبحانه وتعالى لا يدعوه داع إلا استجاب له فإما أن يعجل له ما سأل وإما أن يدفع عنه من البلاء أعظم من ذلك وإما أن يدخر له فى الآخرة ما هو أفضل وأكمل ، قال صاحب الراتب قدس الله سره فى النصائح فينبغى للعبد أن لا يزال داعياً ومتضرعاً فى رخائه وشدته ويسره وعسره ولا يستبطىء الإجابة ولا ييأس فقد يكون لله تعالى سِرٌّ وخِيَرةٌ فى تأخير بعض الأمور ويكون للعبد فى ذلك صلاح ونفع من حيث لا يشعر فليدع وليفوض وكلما سأل ربه شيئاً فليسأله مع اللطف العافية وصلاح العاقبة وليسأل الله ما يشاء مما فيه رضاه من أمور الآخره والدنيا ومن كل جليل وحقير ، وقد أتى بجملة من الدعوات النبوية الجامعة لخيرات الدنيا والآخرة ثم ختم هذا الراتب الشريف بدعاء جامع لخيرات الدنيا والآخرة وهو .

الذكر الخامس والعشرون

وهو (اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار — ثلاثا) سؤال الجنة ورضا الله فيها وفى جميع الأحوال هو الشأن كله لأن الله سبحانه وتعالى إذا رضى عن عبد اختاره لنفسه وخصه بالتوفيق لطاعته واجتباه

لمحبته ونعمه فى الدنيا باتباع محابّه واجتناب محارمه وأزلفه فى الآخرة إلى جنته ومجاورته فيها مع خاصته وصفوته فهذا هو الفوز العظيم والسعادة الأبدية والعيشة الراضية المرضية والاستعاذة من النار ومن سخط الله فيها من الأمور المهمة التى هى من غايات المطالب السنية والموارد السنّية فقد جمع ﷺ سؤال ذلك فى دعائه الجامع .

دعاءٌ نبويٌّ جامع

وهو « اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار .

وفى الدعاء الآخر اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك ، وورد أن من سأل الله الجنة ثلاثاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار بالله من النار ثلاثاً قالت النار اللهم أجره من النار .

فائـــدة

قال بعضهم خلق الله الجنة والنار وجعلهما دارين وجعل القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فليس بعد الدنيا إلا الجنة أو النار فالناس بعد الموت منهم منعم ومنهم معذب فى جنة أو نار فالناس وقوف فى الدنيا بين الجنة والنار حقيقة وهم لا يشعرون . والجنة والنار داران موجودتان مخلوقتان فى عالم الملكوت ، والأولى دار النعيم والملك المقيم والقرب والزلفى من الله الكريم ومجاورة أنبيائه وأوليائه وأحبائه أبداً سرمداً حشرنا الله فى زمرتهم ، وقد ورد فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة من وصف الجنة والنار ونعت فريقيهما ما هو معروف

وقد ذكر صاحب الراتب فى كتابه المسمى «سبيل الادّكار والاعتبار فيما يمر بالإنسان ويمضى له من الأعمار» طرفاً صالحاً من ذلك ومما يتعلق بالموت وما بعده، وقد نقلت منه ومن غيره فى خاتمة كتاب سميته «الدرر الفاخرة» مايصلح لى ولمثلى من العوام من التنبيهات على مانحن فيه وأهل زماننا من الغفـــلة والتساهل بحقوق الموت والموتى وغير ذلك ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه والتابعين ونسأله تعالى أن يرزقنا رضاه والنظر إلى وجهه الكريم فى دار الجزاء والنعيم مع أحبابنا ومن له حق علينا وسائر المسلمين » .

قال جامعه الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن باسودان عفا الله عنه وعنهم فرغت من تعليق هذا الشرح لإثنى عشر من شهر المحرم الحرام سنة ست وأربعين ومائتين وألف راجياً قبوله والدعاء لى ولوالدى وأحبابى بالمغفرة ممن وقف عليه وانتفع به معترفاً بأنى تهدفت لما لم أكن أهلا له إلا أن يعفو الكريم منة وفضلا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ويليـــــه

الراتب المشروح نقلا عن وسيلة العباد للعلامة السيد علوى بن محمد بن طاهر الحداد .

الراتب الشهير للحبيب

عبد الله بن علوى الحداد نفع الله تعالى به

يبدأ بقراءة الفاتحة وآية الكرسى وآمن الرسول إلى آخر السورة ثم يقول :

لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (ثلاثًا) * سُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ (ثلاثًا) * سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ سُبْحانَ اللهِ العَظِيمِ (ثلاثًا) رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إنكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمِ (ثلاثًا) * اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ (ثلاثًا) * أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (ثلاثًا) * بِسْمِ اللهِ الَّذِى لَا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (ثلاثًا) * رَضِينَا باللهِ رَبًّا وَبالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا (ثلاثًا) * بِسْمِ اللهِ وَالحَمْدُ لِلهِ وَالخَيْرُ والشَّرُّ بِمَشِيئَةِ اللهِ (ثلاثًا) * آمَنَّا بالله واليَوْمِ الآخِرْ تُبْنَا إلى اللهِ بَاطِنًا وظَاهِرْ (ثلاثًا) * يا رَبَّنَا وَاعْفُ عَنَّا وامْحُ الَّذِى كَانَ مِنَّا (ثلاثًا) * يَاذَا الجَلَالِ والإِكْرَام أَمِتْنَا على دِينِ الإِسْلَام (سبعًا) يا قَوِىُّ

يَا مَتِينُ اكْفِ شَرَّ الظَّالِمِينَ (ثلاثاً) * أَصْلَحَ اللهُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ صَرَفَ اللهُ شَرَّ الْمُؤْذِينَ (ثلاثاً) * يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ يَا عَلِيمُ يَا قَدِيرُ يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ يَا لَطِيفُ يَاخَبِيرُ (ثلاثاً) * يَافَارِجَ الهَمِّ يَا كَاشِفَ الغَمِّ يَا مَنْ لِعَبْدِهِ يَغْفِرُ وِيَرْحَمْ (ثلاثاً) * أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبَّ الْبَرَايَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الْخَطَايَا (أَرْبَعًا) * لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ (خمسين مرّة وإن بلغها إلى ألف كان حسناً) ثم يقول : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وشَرَّفَ وكَرَّمَ وَمَجَّدَ وعَظَّمَ ورَضِيَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُطَهَّرِينَ وأَصحَابِهِ الْمُهْتَدِينَ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلى يَوْمِ الدِّين .

(ثم يقرأ سورة الإخلاص (ثلاثاً) * والمعوّذتين (مرة مرة)

ثم يقول :

الفاتحة

إِلى رُوحِ سَيِّدِنَا الفَقِيهِ الْمُقَدَّمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بَاعَلَوِى وأُصُولِهِ وفُرُوعِهِمْ وكَافَّةِ سَادَتِنَا آلِ أَبِي عَلَوِيّ أَنَّ اللهَ يُعْلِي دَرَجَاتِهِمْ وَيَنْفَعُنَا بِهِمْ وَبِأَسْرَارِهِمْ وأَنْوَارِهِمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة *

الفاتحة

إِلى أَرْوَاحِ سَادَتِنَا الصُّوفِيةِ أَيْنَمَا كَانُوا وَحَلَّتْ أَرْوَاحُهُمْ أَنَّ

اللهَ يُعلي دَرَجَاتِهِمْ وَيَنْفَعُنَا بِهِمْ وبِعُلُومِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَيُلْحِقُنَا بِهِمْ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ *

الفاتحة

إلى رُوحِ صَاحِبِ الرَّاتِبِ قُطْبِ الإرْشَادِ وَغَوْثِ العِبَادِ والبِلاَدِ الحَبِيبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلَوِيّ الحَدَّادِ وأُصُولِهِ وفُرُوعِهِمْ أَنَّ اللهَ يُعْلِي دَرَجَاتِهِمْ ويَنْفَعُنَا بِهِمْ وبِأَسْرَارِهِمْ وَأَنْوَارِهِمْ وبَرَكَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ *

الفاتحة

إلَى أَرْوَاحِ كَافَّةِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَالْوَالِدَيْنِ وجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ والمُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمْ ويَرْحَمُهُمْ ويَنْفَعُنَا بِأَسْرَارِهِمْ وبَرَكَاتِهِمْ (ويدعو القارئ بما يشاء من جوامع الكلم وكوامل الثناء) ويقول فى آخر الفاتحة « وإلى حضرة النبي محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم » ثم يسكت هنيهة يدعو الله فيها رافعاً يديه ثم يضمهما ويقول « اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ ونَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ والنَّارِ » (ثلاثاً)

الفهرس

	صحيفة
الخطبــة	٣
المقدمة الأولى في معنى الذكر وسر تأثيره الخ	٨
الغاية التى شرع لها الذكر	٨
الذكر اللساني والقلبي وتعريفهما	١٠
الاشتغال بالعلم من أعظم أنواع الذكر	١١
أثر الذكر في الأعمال والقلوب	١٢
آداب الذكر	١٨
الإسرار بالذكر والجهر به	١٩
تنبيه في ضابط الإسرار والجهر به	٢٠
فضل الذكر	٢١
الذكر لا يتحقق أثره إلا مع الطاعة والحضور الخ	٢٣
المقدمة الثانية في فضيلة مجالس الذكر	٢٩
الاجتماع للذكر والجهر به وما ورد فيه	٣٢
من حقوق الذكر حسن تأديته	٣٣
اتخاذ السبحة وأصله التشريعى	٣٤
ذكر أسماء الأعداد من غير استقصاء للعدد	٣٨
المقدمة الثالثة في وضع الأحزاب والأوراد	٤٣
حقيقة الحزب والورد والراتب	٤٥

	صحيفة
شروط وضع الأحزاب والأوراد وواضعها	٤٦
آداب المرتبين لها	٤٧
ما يتعلق بالراتب المشروح	٤٨
الذكر الأول — فاتحة الكتاب	٥١
معنى الفاتحة	٥١
فضل الفاتحة	٥٨
تتمة فى وصل البسملة بالحمدلة	٦٣
الذكر الثانى — آية الكرسى	٦٣
معنى آية الكرسى	٦٣
الكلام فى الكرسى والعرش	٦٩
الحكمة فى خلق العرش والكرسى	٧٠
فائدة فى أن آية الكرسى مشملة على أمهات الآلهيات	٧٢
فضل آية الكرسى وخواصها	٧٣
فائدة تتعلق بفضل آية الكرسى	٧٥
الذكر الثالث — آخر سورة البقرة	٧٨
معنى الآية	٧٨
فضل الآية وخواصها	٨٠
فضل ترتيب هذه الأذكار الثلاثة	٨١
الذكر الرابع — لا إلـه إلا الله وحده الخ	٨٣
الكلام فى الأعداد الواردة فى الأذكار	٨٩

صحيفة

الذكر الخامس — سبحان الله والحمد لله الخ ٩١
معنى الكلمات الأربع فى هذا الذكر وفضلها ٩٢
فائدة تتعلق بالباب قبلها ٩٨
الذكر السادس — سبحان الله وبحمده الخ ٩٨
الذكر السابع — ربنا اغفر لنا الخ ١٠١
الكلام فى التوبة وطلب المغفرة ١٠٣
الذكر الثامن — اللهم صل على محمد الخ ١٠٥
معنى حديث لا تتخذوا قبرى عيدا ١٠٨
الصلاة على النبى غوث من الله لعباده المؤمنين ١٠٩
تنبيه يتعلق بما قبله ١١٢
تخصيص الأنبياء بالصلاة عليهم ١١٣
تتمة فى ترتيب الأذكار الخمسة الأخيرة ١١٣
الذكر التاسع — أعوذ بكلمات الله التامات الخ ١١٤
الذكر العاشر — بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء الخ ١١٥
الذكر الحادى عشر — رضينا بالله رباً الخ ١١٦
الذكر الثانى عشر — بسم الله والحمد لله الخ ١١٨
أفعال العباد بمشيئة الله تعالى وما يترتب على ذلك ١٢٠
المعجزات والكرامات من فعله تعالى ١٢٣
اعتقاد العامة فى الأولياء ١٢٤
العامة موحدون ١٢٥
زيارة الأولياء وأثرها فى النفوس ١٢٦

	صحيفة
كلام الشيخ أحمد زروق فى نفع زيارة القبور	١٢٦
« « الفخر الرازى « « «	١٢٧
التوسل بالأنبياء والأولياء	١٢٨
عقيدة آل باعلوى سنية	١٢٩
الذكر الثالث عشر — آمنا بالله واليوم الآخر الخ	١٣٠
التوبة باب الأبواب ، وأثرها والحث عليها	١٣٢
الذكر الرابع عشر — يا ربنا واعف عنا الخ	١٣٤
الذكر الخامس عشر — ياذا الجلال والإكرام الخ	١٣٧
الكلام فى سؤال الموت على الإسلام	١٤٠
الختم بالسوء للمتهاونين فى الفرائض	١٤١
من أسباب الختم بالخير قراءة الفاتحة بعد كل صلاة الخ	١٤٢
الذكر السادس عشر — يا قوى يا متين الخ	١٤٤
دعاء الشاذلى للنصر على الأعداء	١٤٦
الذكر السابع عشر — أصلح الله أمور المسلمين	١٤٧
الذكر الثامن عشر — يا على يا كبير الخ	١٥١
معانى هذه الأسماء الواردة به وحظ العبد منها	١٥٢
الذكر التاسع عشر — يا فارج الهم الخ	١٥٦
دعاء الله بصفاته الكمالية	١٥٧
الكلام فى المغفره	١٦٠
الذكر العشرون استغفر الله رب البرايا الخ	١٦١
تنبيه وإيقاظ للنبيه فى تفسير حديث لولا تذنبون وتستغفرون الخ	١٦٤

صحيفه

سيد الاستغفار ١٦٩
شرح حديثه ١٦٩
الاستغفار أفضل أم كلمة التوحيد ١٧٠
تتمة لبحث الاستغفار ١٧١
الـكلام فى حديث (انه ليغان على قلبى) ١٧٥
الذكر الحادى والعشرون (لا إله إلا الله) ١٧٨
مبحث إعرابها ١٧٩
مبحث فضلها على سائر الأذكار ١٨٠
كيفية أدائها ١٨٥
جميع العلوم فروع للعلم بها ١٨٦
تضمنهـا جميع معانى الأذكار وهى أجمع الأذكار وأنفعها ١٨٧
للكلمة الشريفة خاصية فى تنوير الباطن ١٨٨
الخوف من سوء الخاتمة بسبب المعاصى ١٩٠
تأثير كلمة التوحيد إنما يكون مع الإخلاص الخ ١٩١
الذكر الثانى والعشرون ١٩٢
الذكر الثالث والعشرون — قراءة المعوذات ١٩٤
فضل سورة الإخلاص ١٩٥
كلام الغزالى فيهـا ١٩٥
ورود السنة بكثرة قراءتها فى أوقات مخصوصة ١٩٧
معنى سورة الإخلاص ١٩٨
الـكلام على المعوذتين ٢٠٠

صحيفة

تنبيه — كلام القرطبي في الرقى والاسترقاء ٢٠١

تفسير السورتين باختصار ٢٠١

مبحث النفث في الرقى ٢٠٢

ترتيب الفواتح الأربع ٢٠٣

استحباب قراءة الفاتحة بعد الصلوات ٢٠٥

فوائد ذكرها الشيخ عبد الرحمن بالفقيه باعلوى ٢٠٦

فائدة متعلقة بما تقدم ٢٠٨

الذكر الرابع والعشرون — الدعاء ٢٠٩

الذكر الخامس والعشرون سؤال الرضا والجنة الخ ٢١٠

دعاء نبوى جامع ٢١٠

فائدة في الجنة والنار ٢١٠

الراتب المشروح نقلا عن وسيلة العباد ٢١٢

تم بحمد الله وتوفيقه طبع هذا الكتاب على نفقة ثرى وجيه تقى صالح محب للعلم وأهله ، وتم ضبطه وتنقيحه وتصحيحه ووضع فهرسه وتراجمه بيد الفقير إلى عفو ربه الرؤف حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر ، عفا الله عنه ، في اليوم الثلاثين من شهر المحرم من سنة ١٣٧٩ هـ (الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٥٩ م) بالقاهرة